▫ الأزمة المالية العالمية دروس وعبر ▫ وما عليك ألا يزكى؟ ▫ البطل الأسطوري والتدليس على الأمة



AL BAYAN

السنة الثالثة والعشرون - العدد ٢٥٦ - ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨ م

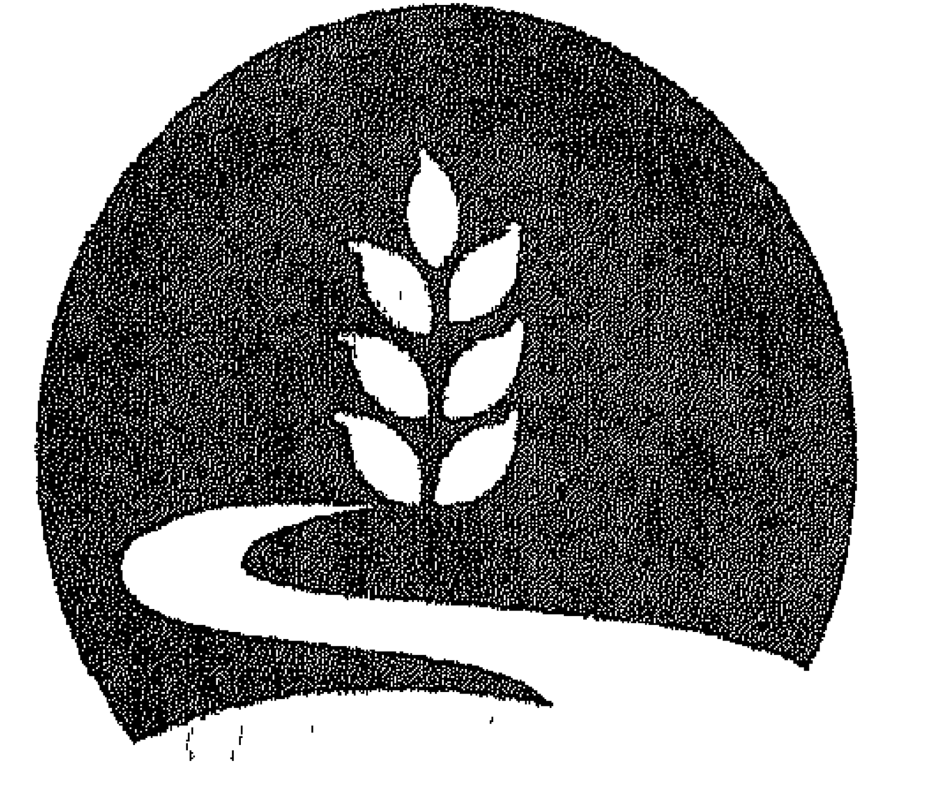
▫ (أوباما)! نريد برهاناً، لا رهاناً

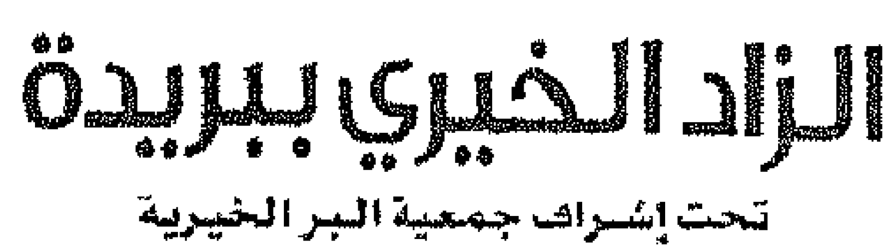
▫ الدكتور جمال المراكبي رئيس أنصار السنة:
التصفية والتربية أهم دروس التجربة المصرية



الإعلام المقاوم

صناعة للوعي... وإشراقة في ظل الاحتلال





فـــتـــوى

سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة لشيخ العلامة/ [illegible] رحمه الله حول جواز صرف الزكاة في إركاب وإنفاق الحج لفقراء المسلمين الذين لا يملكون شيئا لأداء الفريضة والذين هم معفون منها ، فأجـابت اللجـنة بما نصه : يجوز صرف الزكاة في إركاب فقراء المسلمين لحج فريضة الإسـلام ونفقتهـم فيه ، لدخوله في عموم قوله تعالى : ((وفي سبيل الله)) وبـالله التوفيق .

فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء صفحة ٣٨ من المجلد العاشر



على أداء فرضي ••

فقط بـ 4500 ريـــال

تُعين محتاجاً على أداء فرضه



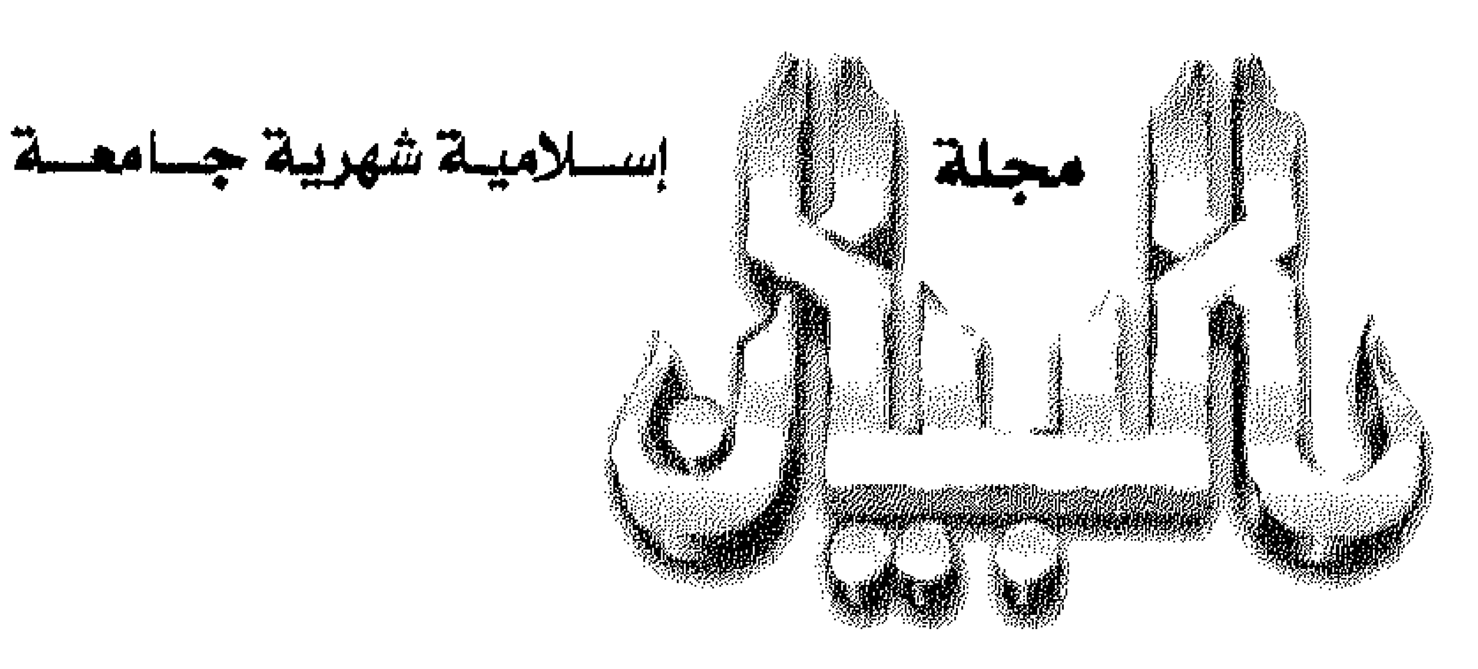
للتواصل

هاتف/ 06 3841111

جوال/ 0553841111

للمساهمة مصرف الراجحي

212608010000531



مجلة إسلامية شهرية جامعة



رئيس التحرير

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير

أحمد بن عبد العزيز العامر

نائب مدير التحرير

د. عبد الله بن سليمان الفراج

الإخراج الفني

محمد سالم لرضي

المراسلات والإعلانات:
الدول العربية:
□ السعودية:
ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦،
هاتف الاشتراكات مباشر: ٢٢٥١٩٦٧
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٢٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني:
التحرير
editors@albayan.co.uk
الاشتراكات:
sub@albayan-magazine.com
التسويق:
sales@albayan-magazine com

عنوان المجلة على الشبكة العالمية: www.albayan-magazine.com

الموزعون:

■ الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٢٧٥ هاتف: ٥٢٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.

■ الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف: ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦١١٢٦.

■ سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠.

■ البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

■ السعودية: الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.

■ السودان: الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.

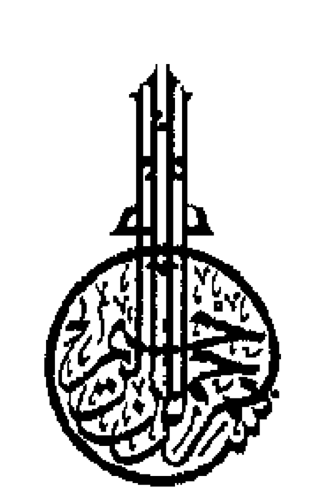
■ قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ ـ ٤٥٥٧٨١١ ـ ٤٥٥٧٨١٢ ـ فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.

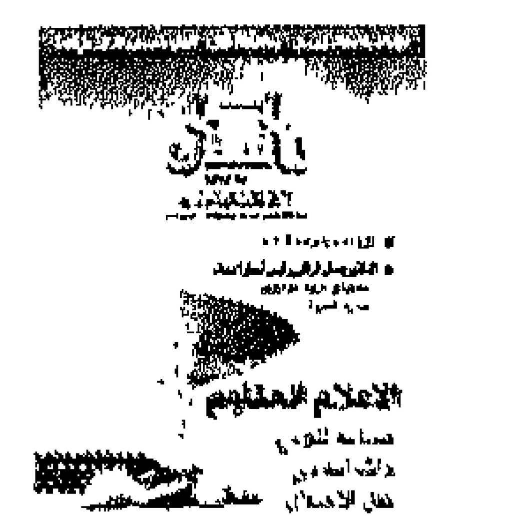
■ الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.

■ المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.

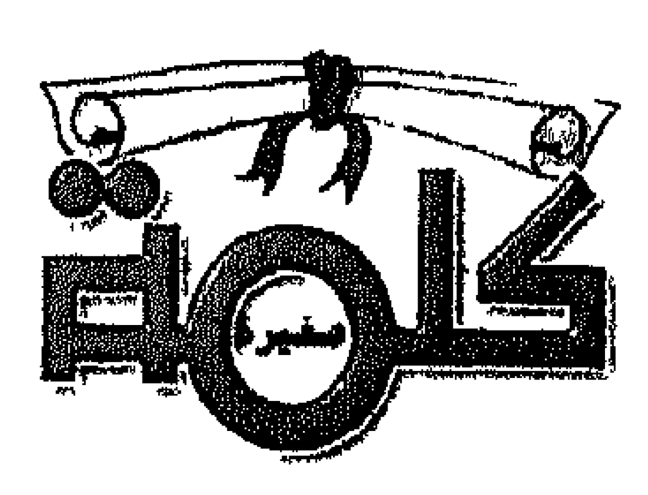
■ اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء: ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥

■ طبعت بمطابع الأهرام التجارية – ٦ أكتوبر





الحسابات:
■ السعودية: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة ـ شارع الأربعين ـ حساب مجلة البيان رقم ٧/٢١٠٠
ـ مصرف فيصل الإسلامي ـ حساب رقم: ٠٠٢ ـ ٤٥١٤ ـ ٤٢ ـ ١٠٩
ـ الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي ـ حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
■ الإمارات: بنك دبي الإسلامي ـ (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
■ قطر: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ١١١١٠٠٥٤٢٢٠٠١



الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين، وبعد:

فإن الأسرة هي نواة المجتمع، وهي الحصن الحصين الذي يضمن تماسكه واستقرار نسيجه الاجتماعي والثقافي.

لقد اعتنى الإسلام ببناء الأسرة من خلال منظومة عقدية وقيمية متناسقة وشاملة، يقوم أساسها على تحقيق مبادئ عظيمة، من أهمها: العدل والمحبة والرحمة، كما قال الله - تعالى -: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]، وقال - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل: ٩٠].

والمتأمل في واقع الأسرة المسلمة اليوم يجد أنها بدأت تفقد بعض تأثيرها ودورها الريادي في بناء الشخصية الإسلامية الفاعلة؛ وذلك بسبب الضعف الملحوظ في البناء الإيماني والتربوي لبعض الأسر، وبسبب ضعف الثقافة الأسرية؛ لهذا وغيره من الأسباب ظهرت في المجتمع مشكلات كثيرة ومتشعبة، وزاد من حدتها وتنوعها الانفتاح الثقافي، وطغيان العولمة الإعلامية والاجتماعية، وأصبحت الأسرة المسلمة تتعرض لتغيرات سريعة من خلال غزو ثقافي ومفاهيمي في كثير من مكوناتها، كما تتعرض لتحديات خطيرة تهدد هويتها وتماسكها واستقرارها.

من أجل ذلك عقدت مجلة البيان بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في السعودية، وبرعاية كريمة من صاحب المعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد)؛ ندوة (الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة)، وحضر الندوة أكثر من ٢٥٠ مفكراً وداعيةً ومتخصصاً في شؤون الأسرة، وعالجت الندوة ثلاثة محاور:

المحور الأول: التماسك الأسري في ظل العولمة، وأدار الجلسة الأستاذ الدكتور خالد الدريس، وتحدث فيها كل من: الدكتور إبراهيم الدويش، والدكتور وليد بن عثمان الرشودي.

المحور الثاني: التربية الأسرية.. قراءة وتقويم، وأدار الجلسة الأستاذ الدكتور عبد المحسن آل الشيخ، وتحدث فيها كل من: الأستاذ الدكتور عبد العزيز النغميشي، والدكتور عبد الله بن وكيل الشيخ.

المحور الثالث: الإعلام العربي ودوره في التغيير الاجتماعي والأخلاقي، وأدار الجلسة الدكتور خالد العجيمي، وتحدث فيها كل من: الأستاذ الدكتور محمد بن سعود البشر، والدكتور محمد الخرعان.

ونشرت جميع أوراق العمل في موقع المجلة على الشبكة العالمية.

سعر العدد:

السعودية ١٠ ريالات — قطر ١٠ ريالات — الأردن ٧٥ قرشاً
الكويت ٨٠٠ فلس — اليمن ١٥٠ ريالاً — الإمارات العربية ١٠ دراهم
مصر ٥ جنيهات — السودان ٢٠٠ دينار — البحرين دينار واحد
المغرب ١٣ درهماً — سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة — فلسطين نصف دولار أمريكي
أوروبا وأمريكا ٢,٧٥ يورو أو ما يعادلها

الاشتراكات:

السعودية ودول الخليج	١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا	٤٧ يورو
أوروبا	٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠ يورو



وفي الابتلاء حكمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

فإنه تمرُّ بالناس - سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو الجماعة أو الدولة - فترات تتباين فيها الأحوال: من خير وشر، وغنى وفقر، وصحة وسقم، ورخاء وقحط، وانتصار وهزيمة، وعلوٌ وانكسار. وقد يحار كثير من الناس في تفسير ذلك، ويخطئ كثيرون منهم عندما يرون أن ذلك من دورات الزمان المتعاقبة التي تمر بالأمم في مختلف العصور ولسان حالهم بل مقالهم: ﴿ قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴾ [الأعراف: ٩٥].

والحقيقة أن ما نراه من تقلُّب الأحوال وتغايرها إنما هو أثر من آثار حكمة الله الحكيم الخبير؛ فإن لله - تعالى - الأسماء الحسنى، وله تسع وتسعون اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة؛ كما ثبت ذلك في الحديث النبوي، وإن من هذه الأسماء الحسنى اسم «الحكيم».

وقد ورد اسم «الحكيم» في القرآن في أكثر من ٩٠ موضعاً من كتاب الله - تعالى -؛ سواء كان معرَّفاً بـ «ال» أو بدونها، قُرِنَ فيها أكثر ما قُرِنَ باسم «العزيز» واسم «العليم». ومن هنا يتبين أن أكثر ما يناسب الحكمة (الصفة في اسم الحكيم): العزة والعلم؛ فبالعلم تُوضع الأمور في أماكنها اللائقة بها، وبالعزة يتم إنفاذ ما قضاه الله - تعالى - حيث لا يغالبه في ذلك أحد.

والحكيم: هو الذي يُحْكِم الأشياء ويتقنها، والحكيم: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم.

وحكمة الله - تعالى - تتناول سائر الموجودات؛ فتتناول الخَلْق والتقدير والتشريع؛ فما خلقه الله - تعالى - خلقه على أحسن خَلْق يليق به وبدوره في الحياة والغاية التي خُلق لأجلها، وما قدَّره الله - تعالى - من الخير والشر والرخاء والشدة؛ فقد قدره على غاية الإتقان والتدبير، حتى إذا كُشف للناس ما خبَّأه الله من غيب وراء هذه الأمور المقدَّرة؛ أدركوا أن هذا التقدير في غاية الحسن، ولا مزيد عليه، وما شرعه الله مما أمر به أو نهى عنه، وما رتّب على ذلك من المكافآت أو العقوبات؛ قد أوفى على الغاية في تحقيق ما لأجله شرع؛ إذ يدرك الناس بعد التعب والشدة واللَّأْواء جرَّاء بُعْدهم عما شرعه الله - تعالى - أنه لا يُصلحهم ويُصلح حياتهم إلا اتِّباع شرع الله، حتى لينادي بتطبيق شرع الله من لا يؤمن بالإسلام؛ لمعرفته أنه لا يخرجهم من هذه الورطة إلا تطبيق الشرع في هذا الجانب. وها نحن أولاء نجد الغرب المشرك الذي يعادي الإسلام ورسوله ولا يدين دين الحق، بل كل همه وشأنه القضاء على دعوة الحق؛ نجد بعض المتخصصين والمثقفين فيه بعد الأزمة المالية الطاحنة التي تمر بهم قد تعالت أصواتهم بتطبيق الشريعة الإسلامية في الجانب الاقتصادي، وكأن هذا تفسير معاصر لقوله - تعالى -: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

وتفصيل هذه الجملة لا يفي به في الحقيقة المجلدات الكبار؛ فإن النظر في حكمة الله - تعالى - يعني النظر فيما تقدم كله، وما تقدم أفراده لا تنحصر؛ فكيف يمكن الإحاطة بها؟ ومن ثم نقتصر في حديثنا على الحكمة الواضحة من سنة الابتلاء التي وجدت مع الخليقة وستبقى ببقائهم؛ فهو - سبحانه وتعالى - يبتلي من يبتلي على علم، وهو قادر على إنفاذ ما ابتلى به لا يغالبه في ذلك أحد.

وأصل الابتلاء في اللغة: الاختبار والامتحان، وهو الذي يبيِّن موقف المبتلَى مما ابتُلي به وتصرُّفه حياله، وبذلك تتباين درجات الناس وتتحدد مقاديرهم ومنازلهم في الآخرة، والابتلاء كما يكون بالضراء يكون أيضاً بالسراء، وكما يكون بالخير يكون بالشر، وقد يكون الابتلاء بالسراء أشد من الابتلاء بالضراء، والابتلاء بالخير أشد من الابتلاء بالشر، أو العكس، وكما يحدث الابتلاء للمؤمنين فإنه يحدث للكافرين، وله - تعالى - في ذلك كله الحكمة البالغة.

من حكمة الابتلاء:

لم يكن الابتلاء بالسراء والضراء والحسنات والسيئات والخير والشر مجرد حالة أو موقف، بل كان سُنَّة ربانية ماضية في الناس، كما لم يكن مجرد انتقام من الناس وعقاباً لهم على طغيانهم وضلالهم ومعصيتهم، وإن كانوا مستحقين لذلك بسبب ما كسبت أيديهم، بل كان ذلك لحِكَم جليلة ذكرتها النصوص، وإن كانت الحكمة العامة التي تجمع كل ذلك هو اهتداء الناس وتعبُّدهم لله وحده، والبُعْد عن طريق التمرُّد والعصيان وهو طريق الشيطان:

- التضرع والتذلل والخضوع لرب الأرض والسماوات:

إن الله - تعالى - لا يرضى لعباده الكفر ولا يحبه لهم؛ لذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب تحضُّ الناس على الخير والحق، وتأمرهم بهما، وتبغِّض إليهم السوء والشر وتنهاهم عنهما، لكن من الناس من لا يكفيهم ذلك، فيبتليهم الله - تعالى - ليفيقوا من سكرتهم ويرجعوا إليه، فإن لم يستجيبوا تابع عليهم الابتلاء بأشكاله المتعددة من خير وشر وسراء وضراء؛ لعلهم يتوبون ويؤوبون. وقد بيَّن الله - تعالى - لنبيه أن الابتلاء سنة ماضية في الأمم التي سبقته فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، والبأساء: شدة الفقر والضيق في المعيشة، والضراء: الأسقام والأمراض العارضة في الأبدان، بل بيَّن الله - تعالى - أنه ما أرسل رسولاً منه إلى أمة من الأمم فعتوا عن أمره ونهيه وعصوا رسله؛ إلا ابتلاهم؛ حتى يتضرعوا له فيذلوا له ويستكينوا لعزته. قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]. لم تكن العقوبات أو الابتلاءات عقاباً صرفاً، بل كانت تهدف إلى حمل الناس على التضرع إلى الله - تعالى - وحده والخضوع لعظمته واللجوء إليه؛ لأن ترك اللجوء إلى الله والتذلل له خاصة عند الشدائد هو من الاستكبار، كما أن اللجوء إليه وإلى غيره من أهل الصلاح أو غيرهم شرك به، والله - تعالى - لا يقبل هذا ولا ذاك، وقد بيَّن الله - تعالى - علة ما يرسله من عذاب على من خالف أمره وأمر رسوله الذي أرسل إليه، فقال: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣]؛ وقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]. ولو أن الإنسان إذا جاءه بأس الله تضرَّع لله واستكان له لكشف عنه ما ألمَّ به، لكن الشيطان لا يزال يغوي ابن آدم ويعده ويمنِّيه؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]، وقد يأتي بعد الابتلاء بالشدة والبأساء والضراء الابتلاءُ بالرخاء والدَّعَة الذي يعقبه العذاب والعقاب؛ أعاذنا الله من ذلك؛ كما قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فبدَّل الله ضيق عيشهم رخاء وسَعَة، وبدَّل أمراضهم صحة في الأجسام وسلامة في الأبدان، وقد فرحوا من شدة جهلهم بهذا التبديل وتغيُّر الأحوال من بأس وشدة إلى دَعَة وراحة، ولم يعلموا سنة الله في الابتلاء؛ فأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤ - ٩٥].

- إرجاع الناس إلى الحق وتذكيرهم به:

وقد كانت الغاية الشرعية من هذا الابتلاء أن يرجع الناس إلى ربهم؛ خالقهم ورازقهم؛ محييهم ومميتهم؛ كما قال الله - تعالى - عن اليهود: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، فاختبرهم الله - تعالى - بالرخاء في العيش، والصحة والعافية، والسعة في الرزق؛ وهي الحسنات، كما اختبرهم بالشدة في العيش، والشظف فيه، والأدواء في الأبدان والمصائب والرزايا في الأموال؛ وهي السيئات؛ ليرجعوا إلى طاعة ربهم وينيبوا إليه، ويتوبوا من معاصيه، فلم يكن الابتلاء لمجرد الانتقام؛ وإن كان الناس يستحقونه بسبب عتوهم وعدم انقيادهم للحق، لكن الله الحكيم لم يعاجلهم بالعقوبة، بل مدَّ لهم وفسح؛ لعلهم يرجعون، حتى إذا أخذهم بعد طغيانهم وشدة إعراضهم وتناسيهم لما أمرتهم به رسلهم؛ لم يكن لهم حجة أو عذر يعتذرون به، وقد تكرر هذا

المشهد مع كثير من الأمم؛ كما في قوله - تعالى -: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقوله - تعالى -: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، وكقوله - تعالى -: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨]، وكقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، فكانت الشدة والبأس الذي يصيب الله - تعالى - به العباد من تمام الرحمة بهم، وذلك لردِّهم عن غيِّهم وإرجاعهم إلى الطريق المستقيم.

- تمييز الصفوف وبيان حقيقة الإيمان:

لا يُظهر معادن الناس على حقيقتها إلا ما يقدره الله - تعالى - على الناس من شدة أو رخاء، كما أن كثيرين منهم لا تتبين حقيقة معادنهم إلا فيما يكلف الله به من الأمر والنهي؛ لذلك كان الابتلاء هو الذي يبين ذلك ويظهره. قال الله - تعالى -: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وقال الله - تعالى -: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال - سبحانه -: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقال - تعالى -: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال - تعالى -: ﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]، فلولا ما يقدره الله - تعالى - من الابتلاء والاختبار ما تميز الصابر من الجازع، وما تبيَّن الصادق من الكاذب، ولا تبيَّن المؤمن من المنافق، ولا تبيَّن المجاهد من القاعد.

- الإقرار وترك التكذيب:

عندما يتمادى الناس في طغيانهم ويزداد عتوهم؛ فإن الله - تعالى - يبتليهم حتى يضطرهم البلاء إلى الاعتراف والإقرار بما كانوا عليه معترضين، والتصديق بما كانوا به مكذِّبين، ولقد أخذ الله - تعالى - آل فرعون بأنواع متعددة من الابتلاءات، حتى اضطرهم ذلك إلى أن يطلبوا من موسى - عليه السلام - أن يدعو لهم الله كي يكشف عنهم البلاء، وفي ذلك إقرار منهم بنبوة موسى - عليه السلام - فلما وقع عليهم الرجز قالوا: ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٤٩ - ٥٠]، لكنهم لم يستقيموا على هذا الوعد، بل لما كشف الله عنهم العذاب نكثوا عهدهم، فمن علم الله فيهم خيراً ثبَّتهم على هذا الاعتراف والإقرار، وإلا كان الابتلاء في هذه الحالة عذاباً وعقوبة على الكفر والطغيان، كما حدث لفرعون حينما أدركه الغرق هو وجنده ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، لكن الإيمان لا ينفع العبد إذا عاين عذاب الله ونقمته، وهذه سنة ماضية؛ كما قال - تعالى -: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

كانت هذه بعض الحِكَم التي يمكن رؤيتها بيُسْر مما يقدره الله - تعالى - من الابتلاء، ولا ينبغي أن يكون التصرف الوحيد حيال الابتلاء هو التسخُّط والجزع في حالة الشدة، أو الاختيال والفخر في حالة اليُسْر والدَّعَة والسَّعة، بل يبحث الإنسان في نفسه ومجتمعه ودولته ليعلم الأسباب التي عرَّضتهم لذلك البلاء؛ حتى يدفعوها ويدافعوها بالتوبة والإنابة والإخبات وعمل الصالحات.

وفي وقتنا المعاصر قد نزلت الشدائد والبلايا بالمسلمين، فاحتُلَّت كثير من أراضيهم، وقُتل كثير من رجالهم ونسائهم وأطفالهم، ونُهبت كثير من ثرواتهم، واعتُدي على دينهم وعقائدهم، وقد حلَّ القحط وضيق العيش وغلاء الأسعار بكثير من مجتمعاتهم، كما قد فُتح على بعض منهم حتى غدا يرتع ويلعب وكأن ليس بعد اليوم غد، ولن ندفع بلاء الشدة ولا بلاء الرخاء إلا بمعرفة سنة الله - تعالى - في ذلك حتى لا تحملنا أمواج الأماني والغرور أو اليأس والقنوط، وليس هناك نُجْحٌ إلَّا بالتذلل والخضوع والتضرع لله وطلب هدايته الصراطَ المستقيم، والعمل بما نعلم من الخير والصبر عليه، واجتناب ما علمنا من الشر والصبر عنه. نسأل الله بفضله ومنِّه أن نكون ممن اختبرهم فوجدنا أحسن عملاً، وأن يرزقنا الثبات على ذلك حتى الممات، اللهم آمين!



حكم الهجرة من فلسطين

أ. د. يونس الأسطل(*)

الحمد لله الذي جعل فلسطين أرضاً مباركة للعالمين، وقضى أن تكون حاضنة للطائفة المنصورة التي لا يَضُرُّها مَنْ خالفها، ولا من خذلها إلى يوم الدين، كما قَدَّر أن يُفْسِدَ فيها بنو إسرائيل مرتين، وأن يعلوا علواً كبيراً؛ فيحق عليهم القول؛ فيدمِّرهم تدميراً، ويرسل عليهم عباداً له أُولي بأس شديد؛ فيجوسوا خلال ديارهم، ويسوؤوا وجوههم، ويتبِّروا ما علاه بنو إسرائيل تتبيراً، فقد تأذَّن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب؛ جزاء اعتدائهم في السبت، وادِّعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقد ضرب عليهم الذلة والمسكنة بكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، كما لعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم عليهم السلام، وباؤوا بغضب على غضب، وللكافرين عذاب مهين.

أما بعد:

فإن الحديث عن الحكم الشرعي للهجرة من فلسطين يستوجب أن أعرض لبعض الأحكام المتعلقة بالهجرة، وخاصة أسباب مشروعيتها وحكمتها، والإلمام بمفهوم دار الإسلام ودار الحرب، وهل يُلتحق بدار الحرب أرض البغاة، وأقاليم البدعة، أو أرض الحرام والفتنة؟

إن من المعلوم أن السابقين الأولين من المؤمنين قد اضطروا إلى الهجرة إلى الحبشة؛ فقد كان فيها مَلِكٌ لا يُظلَم عنده أحد، هو النجاشي رضي الله عنه؛ فقد أسلم، وكتم إيمانه، حتى نعاه النبي ﷺ يوم موته، وأقام عليه صلاة الغائب.

ثم كانت الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة، فقام سلطان الإسلام، ورُفِعَتْ راية الخلافة، وكانت طَيبَةُ مستقراً للمهاجرين، حتى بعد فتح مكة، فقد تَبَوَّأ أهلها الدار والإيمان، وكانوا ممن يؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة.

إن الهجرة دأب الأنبياء من قبل، فهذا سيدنا إبراهيم يهاجر ومعه ابن أخيه لوط عليهما الصلاة والسلام؛ فقد ترك العراق، وتوجه تلقاء فلسطين، كما أوى إليها سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام - قبل النبوة بعشر سنين، ثم هاجر إليها ثانية، ولم تكتحل عيناه بها؛ بسبب التيه الذي ضُرِبَ على قومه أربعين سنة حين قالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا ههنا قاعدون؛ حتى إذا أدركه الموت سأل الله أن يُدْنيَه منها رمية حجر، فكان قبره هناك على حدود العريش.

إن أصحاب الكهف قد عزموا على الهجرة فراراً بدينهم من الفتنة، غير أنهم لما أَوَوْا إلى الكهف ضرب الله على آذانهم فيه سنين عدداً، فلبثوا رقوداً وتحسبهم أيقاظاً ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، وكنتَ لو اطَّلعت عليهم لولَّيت منهم فراراً، ولملئت منهم رعباً.

ويحسن بنا أولاً أن نقف على مفهوم الهجرة قبل الحديث عن حكمها أو حكمتها:

أولاً: معنى الهجرة والألفاظ ذات الصلة بها:

أ - الهجرة - بالكسر - مفارقة بلد إلى غيره؛ فإن كانت قُربةً لله فهي الهجرة الشرعية[1]، وهي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام؛ خوف الفتنة، أو المحنة[2].

ب - دار الإسلام: هي كل بقعة تكون فيها أحكام الإسلام ظاهرة.

(1) المصباح المنير (٦٣٤)، المكتبة العلمية، لبنان.

(2) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، الأستاذ سعدي أبو جيب (٣٦٥)، دار الفكر، ط. ١٩٨٨م. وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ٣٦٠)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط. ١٩٦٧م.

(*) أستاذ في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بغزة، ونائب في المجلس التشريعي.

ج - دار الحرب: هي كل بقعة تكون أحكام الكفر فيها ظاهرة.

والعلاقة بين هاتين الدارين وبين الهجرة أن دار الحرب تكون منها الهجرة، بينما دار الإسلام تكون إليها؛ ابتغاء وجه الله[1].

ثانياً: حكم الهجرة:

كانت الهجرة في الفترة المكية جائزة مباحة؛ لذلك فقد هاجر بعض الصحابة إلى الحبشة مرتين؛ إذ ترامى إلى مسامعهم أن أهل مكة قد أسلموا، فعادوا أدراجهم، ثم تبيَّن لهم أنهم لا زالوا يقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن، والْغَوْا فيه لعلكم تغلبون، فانقلبوا إليها كَرَّة أخرى، وظلوا هناك إلى فتح خيبر، ثم قَدِموا وعلى رأسهم جعفر؛ رضي الله عنهم أجمعين.

وقد صارت الهجرة من بعدُ واجبةً يوم وصل النبي ﷺ إلى المدينة، فاستأسدت قريش على من بقي من المسلمين، وراحت تفتنهم في دينهم، فصار الفرار بالدين، واللحاق بخاتم النبيين؛ نصرةً لله ورسوله؛ كتاباً مفروضاً[2]، ولم يُستَثْنَ من ذلك إلا المستضعفون من الرجال والنساء والولدان، لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً؛ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفواً غفوراً.

وقد تكفَّل ربنا - تبارك وتعالى - لمن يهاجر في سبيل الله أن يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة، وأرض الله واسعة، ولا حجة لمن يخاف من الموت أو القتل؛ فكل نفس ذائقة الموت، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت؛ فقد وقع أجره على الله، ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون، كما أنكم إذا خفتم على أموالٍ اقترفتموها، أو تجارةٍ تخشون كسادها فاعلموا أن معظم الدواب لا تحمل رزقها، فالله يرزقها وإياكم، ولو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصاً، وتروح بطاناً[3].

ثالثاً: حكم الهجرة بعد فتح مكة:

بعد أن عادت مكة المكرمة داراً للإسلام لم يعد هناك حاجة إلى الهجرة منها، ومع ذلك فإن هناك طائفةً من الأحاديث في الهجرة بعد الفتح ظاهرها التعارض.

فقد روى البخاري من حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية»[4]؛ أي: الخروج للجهاد، أو لنية طاعةٍ؛ كسفر الحج، أو طلب العلم، أو الضرب في الأرض يبتغون من فضل الله ورزقه[5].

وفي المقابل فقد أخرج أبو داود من حديث معاوية - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»[6].

وقد اجتهد العلماء في إزالة هذا التعارض[7]؛ فقال بعضهم: إن النفي منصرف إلى الهجرة الواجبة، وبقيت المندوبة؛ كالخروج للقتال، أو لألوان الطاعات والمعايش، بينما ذهب آخرون إلى أن الهجرة المرتفعة هي التحول من مكة إلى المدينة، أما الرحيل عن دار الكفر التي يخضع فيها المسلم لأحكام الكفار، واللحاق بدارٍ يُحكَم فيها بالشريعة؛ فباقية إلى يوم القيامة، وراح فريق ثالث يحصرها في المعنى المجازي، وهو هَجْرُ السيئات؛ استناداً إلى حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عند البخاري: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[8].

وللعلماء تفاصيل[9] في إلحاق دار البغي ودار البدعة؛ بدار الكفر، وحتى الخروج من أرض الحرام، ولو بغَنَم يتبع بها شَعَفَ الجبال؛ فراراً بدينه من الفتن؛ كما في حديث البخاري من رواية أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه[10]، ويضيق مقالنا هذا عن تتبُّعها؛ خاصة رأي المالكية الذين قسموا الضرب في الأرض إلى قسمين: الهرب والطلب، ثم جعلوا الأول ستة أقسام، وقسموا الثاني إلى نوعين: طلب دين، وطلب دنيا، وحصروا طلب الدين في تسعة فروع.. إلخ.

ولا أرى حاجة إلى حشو كل ذلك التفريع في هذا المقال؛ لعدم الحاجة إليه فيما يتعلق بالهجرة من فلسطين.

رابعاً: حكمة الهجرة وأسباب مشروعيتها:

يمكن القول: إن الحِكَم الكبرى لوجوب الهجرة ثلاث، تتعلق اثنتان منها بالأفراد، بينما تختص الثالثة بالجماعة[11].

أما الأولى: فإن المسلم لا يقبل أن يعيش ذليلاً مَهيناً، لا يقدر على أن يقيم شعائر دينه ولو سراً؛ فوجبت عليه الهجرة إلى دار الإسلام، أو إلى أي بلد لا يفتن فيه في دينه، وإلا كان عاصياً، ما لم يكن ممن عذرهم الله تبارك وتعالى.

وأما الثانية: ففي حقِّ من أسلم في بلدٍ غير إسلامي، ولا يوجد فيها من يفقهه في الدين، ولو بنصاب ما يطيع به ربه وخالقه؛ فوجبت عليه الهجرة إلى حيث يجد ما يتفقه به في الدين.

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف بالكويت، (٤٢/١٧٧)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
(٢) المصدر السابق (٤٢/١٧٩).
(٣) انظر هذه المعاني في: سورة النساء (٩٧-١٠٠)، والعنكبوت (٥٦-٦٠).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب: وجوب النفير، الحديث (٢٨٢٥).
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٦/٣٩)، المطبعة السلفية.
(٦) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: في الهجرة هل انقطعت؟ الحديث (٢٤٧٩).
(٧) الموسوعة الفقهية (٤٢/١٨٠) وما بعدها.
(٨) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، الحديث (١٠).
(٩) الموسوعة الفقهية (٤٢/١٩٠).
(١٠) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الدين الفرار من الفتن، الحديث (١٩).
(١١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٥/٢٩٥)، الهيئة المصرية، ط.١٩٧٣م.



وأما الثالثة: المتعلقة بالجماعة، فهي أن المسلمين يجب عليهم أن يقيموا لهم سلطاناً وكياناً له شوكة؛ حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، فإذا كانت الدولة ضعيفةً ويُخشى أن يتخطفها الناس من حولها؛ وجب على المسلمين في الأرض أن يهاجروا إليها، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله، حتى يكونوا كالحواريين الذين قالوا: نحن أنصار الله، آمنا بالله، واشهد بأنا مسلمون[1].

خامساً: حكم الهجرة من فلسطين:

بعد ما تقدَّم من بيان الهجرة حُكْماً وحِكْمة أستطيع أن أصدح بحُكْم الهجرة من فلسطين مطمئناً إلى أن هذا الاجتهاد ينال أجرين بفضل الله وتوفيقه:

إن الحرية الدينية التي يرفل فيها أهل فلسطين محرومٌ منها كثيرٌ من أبناء الدول العربية وبعض إخواننا في الشعوب الإسلامية؛ فإن المساجد لا تكاد تغلق أبوابها حتى بالليل، وإن النشاط الوعظي والخطابي، وكذا الجهد التعليمي والتربوي يُمارَس في معظم المساجد بحرية كبيرة؛ فضلاً عن تحفيظ القرآن الكريم، والنشاط الاجتماعي.

فإذا انضاف إلى ذلك تمكُّننا من ذروة سنام الإسلام رباطاً في سبيل الله، ومقاومة للعدو وابتغاء مرضاة الله، وثأراً من جرائم بني إسرائيل وأوليائهم من بني جلدتنا، ودفاعاً عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وتخفيفاً عن الثكالى واليتامى والأسرى، وسعياً لتحرير المسجد الأقصى وعموم الأرض المقدسة من دنس الاحتلال، وغير ذلك من المقاصد والأهداف؛ فإنني أقرر موقناً أنه يحرم على المسلم أن يهاجر من أرض فلسطين، ويجب عليه الثبات فيها والصبر، ما دام قادراً على إظهار دينه، واجداً لنصاب ما يحفظ عليه حياته من العيش الكريم والنفقة الكافية، وذلك للأسباب التالية:

١ - انتفاء الحكمة التي كانت سبباً في مشروعية الهجرة، فلا يفتن المسلم عندنا في دينه غالباً، ولا هو عاجز عن التفقُّه في الدين، فإن أساتذة الشريعة وأصول الدين من حملة الشهادات العليا بالمئات، ولا تكاد تخلو منهم أية محافظة، وإن خريجي الكليات الشرعية بالآلاف، ولا يكاد يفتقدهم حَيٌّ أو قرية.

٢ - ثم إن الحكومة الشرعية الفلسطينية ومقرُّها قطاع غزة حكومة إسلامية، قد حازت الثقة على برنامج الإصلاح والمقاومة؛ فالأصل أن يهاجر المسلمون إليها، لا أن يهاجر الناس من حِجْرها، ولولا عدم القدرة على استيعاب المهاجرين للجهاد إليها لدعونا الشباب إلى اقتحام الحدود، والالتحاق بصفوف المرابطين على أرض فلسطين.

٣ - إن اليهود حريصون على استفزازنا من الأرض لإخراجنا منها، حتى تخلو لهم وحدهم، لذلك فقد اتبعوا سياسة التهجير والإبعاد، وتضييق الخناق على الناس؛ لعلهم يهربون بحثاً عن الأمن ولقمة العيش، وهم حريصون على إلغاء حق العودة، كما ظهر في مسوَّدة إعلان المبادئ التي طرحها طاغيتهم (أولمرت) مؤخراً، وكما جاء في وثيقة جنيف من قبل، بل هي بند في المبادرة العربية عام ٢٠٠٢م.

لذلك فإن الرباط فوق أرض فلسطين هو الذي يُفشِل مخطط الصهاينة، ويقف شوكة في حلوقهم.

٤ - إن الهجرة اليوم حتى لو قامت أسبابها ليست ميسورة لمن أراد؛ فالحدود والتأشيرات والإقامات وفرص العمل مِنْ أعقد ما يكون، فإن حرية الحركة مقيدة إلى حدٍّ كبير، وإذا كنا عاجزين في قطاع غزة عن إخراج مرضانا للعلاج، فضلاً عن الطلبة وأصحاب الوظائف في الخارج؛ فكيف يمكن للمجاهدين أو المطاردين أن يغادروا؟!

إن كثيراً من الأنظمة العربية تضطهد الفلسطيني على جنسيته، فكيف لو علموا أنه من المجاهدين؟! لقد عُذِّبَ شبابنا بالكهرباء وغيرها من ألوان الخسف التي فاقت اضطهاد الاحتلال أضعافاً مضاعفة في أكثر من دولة عربية مجاورة.

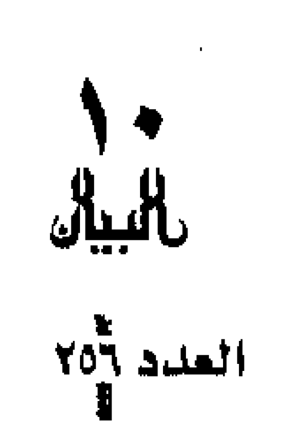
٥ - كان فضيلة الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في آخر حياته، وقبل خمسة عشر عاماً تقريباً، قد أفتى بوجوب هجرة أهل فلسطين؛ بدعوى أنها أرض محتلة، وأن أهلها يتعرضون للفتنة في الدين، ولا يتمتعون بحرية الشعائر الدينية.. إلخ.


ولم يشايعه على رأيه هذا إلا القليل، بينما انبرى الكثيرون لبيان أن هذه فتوى أوراقٍ ونصوص، وهي في غياب عن الواقع؛ فالحرية الدينية في فلسطين لا تضاهيها فيها كل البلاد العربية، ومعظم البلاد الإسلامية، وكثير من بقاع الأرض. وقد أوقع الشيخ الألباني - رحمه الله - في تلك الورطة بعضُ المندسين من حوله، ممن زَجَّتْ بهم مخابرات دولة عربية مجاورة لفلسطين؛ لاستدراجه إلى تلك الفتوى التي لا تخدم إلا الاحتلال. ومن المعلوم أن بعض الأنظمة ساهرة على أمن الاحتلال، هذا إذا لم تكن قد أنشئت ابتداءً لهذه المهمة؛ كاتفاقية أوسلو الأمنية التي اختفت وراء المشروع السياسي الكاذب.

٦ - ولا ننسى أن فلسطين هي الأرض المباركة، ومن بركتها أن فيها الطائفة المنصورة التي لا يضرها من خذلها، ولا من خالفها، وستظل قائمة على أمر الله حتى يأتي أمر الله وهم كذلك؛ إنهم هنا في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

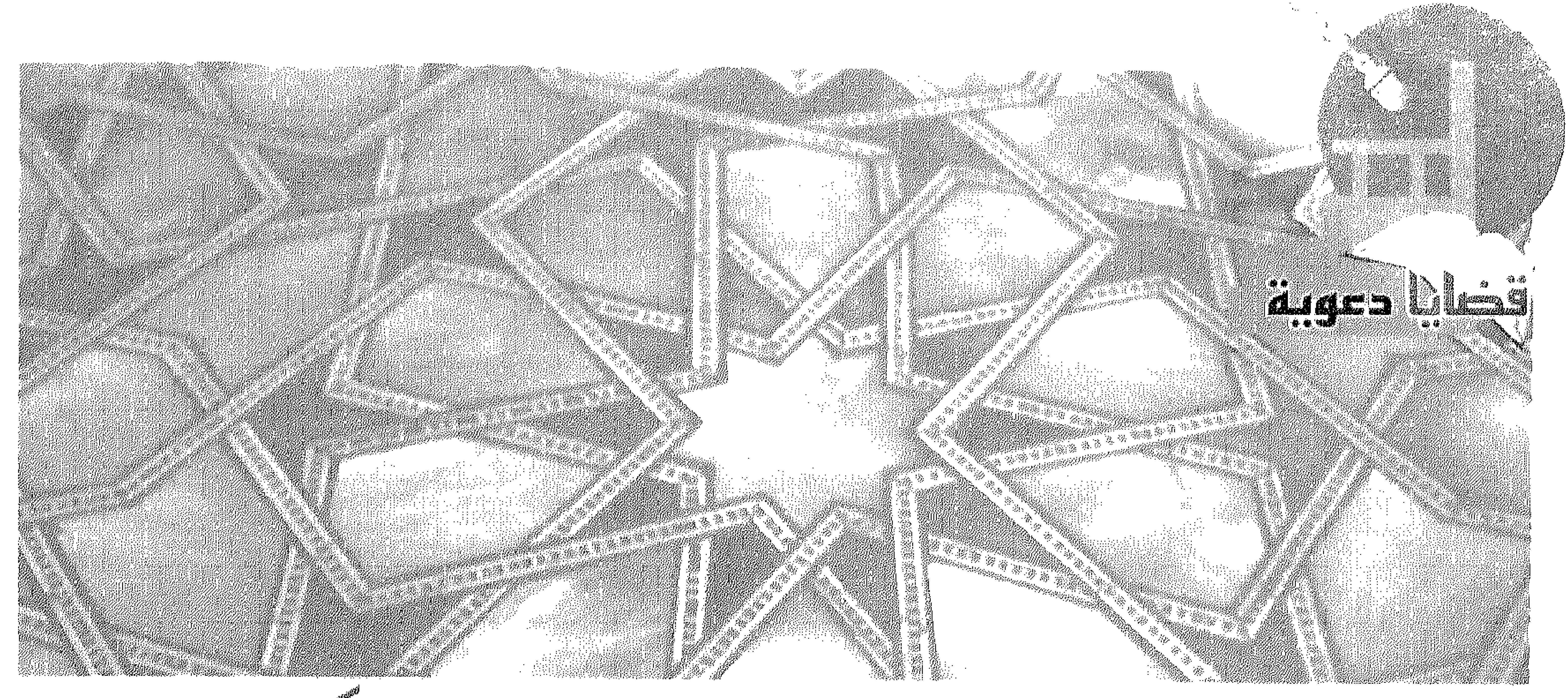
فليتق اللهَ امرؤٌ جهول بالدين وبالواقع، يرى أن على أهل فلسطين أن يهاجروا منها، ليخلو فيها الجو لبني إسرائيل وأضرابهم من المفسدين، أولئك الذين طغوا في الضفة الغربية، فأكثروا فيها الفساد، وأهلكوا الحرث والذرية، وأخذتهم العزة بالإثم.

(١) انظر: سورة آل عمران (٥٢)، وسورة الصف (١٤).





البيان
مساهمة فاعلة
بثقافة راشدة
نحو تربية إسلامية راشدة
العالم الإسلامي
تحديات الواقع
واستراتيجيات المستقبل
المعين
على فهم الجزء الثلاثين
المرأة
للحصول على
إصدارات البيان
اتصلوا بنا مكتب السودان



وما عليك ألا يزكى؟

د. إبراهيم بن صالح الدحيم - رحمه الله(*)

ما أعظم القرآن، وما أجمل آياته وأعذب ألفاظه وأبلغ عظاته! تأملت في هذه الآية الكريمة فكأنني أسمعها لأول مرة، تأملتها ولسان حال بعض إخواننا الدعاة يقول: لا بد أن يتزكى!

كان النبي ﷺ مشغولاً بدعوة رجل من كبراء قريش، فجاءه عبد الله بن أم مكتوم الأعمى - رضي الله عنه - فجعل يقول: يا رسول الله! علِّمني ممّا علَّمك الله! فأعرض عنه ﷺ وأقبل على ذلك السيد الكافر رجاءَ إسلامه، فنزل العتاب الربَّانيّ الشديد من فوق سبع سماوات: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ أَن جَاءَهُ الأَعْمَى ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۝ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى ۝ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ۝ وَهُوَ يَخْشَى ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١ - ١١].

سبحان الله! ماذا فعل الرسول الكريم ﷺ؟ لقد رام مصلحةً كبيرةً للإسلام والمسلمين وقدَّمها على مصلحة صغرى، لقد حرص على هداية ذلك العظيم من عظماء قريش؛ لأن في هدايته نفعاً عظيماً للمسلمين، وتقوية لهم، ودفعاً للأذى عنهم في زمن اشتدت فيه كربتهم وضاقت حيلتهم.

وأمّا هذا الرجل الأعمى الضعيف فلا يضيره ولا يضر الإسلام قليلاً حتى يتفرغ النبي ﷺ لتعليمه؛ فهو رجل مسلم مؤمن، ولا ضرر في الإعراض عنه لذلك الهدف النبيل... هكذا يبدو للناظر، ولكن ليس الأمر كذلك في ميزان السماء.

إنّ الحرص على هداية الناس ولا سيّما الأكابر ومَنْ يُرجى بإسلامه أو هدايته نفع كبير للإسلام والمسلمين، من أعظم واجبات الدين ومهماته. وتقديمُ المصالح الكبرى العامة على المصالح الصغرى الخاصة أمرٌ جاءت الشريعة بتقريره وتأكيده، ولكن يُشترط ألا يترتب على ذلك الإخلالُ بفريضة من فرائض الدين، أو انتهاك شيء من حدوده، فإن الشريعة كلها مبنية على تحقيق المصالح ودرء المفاسد.

ما أحوجنا إلى تدبُّر هذه الآيات الكريمة في مقدمة سورة (عبس) في هذا الوقت الذي انتشر فيه ما يسمّى بفقه التيسير؛ الذي يتضمن في كثير من الأحيان تقديمَ المصلحة على النصّ، والبحثَ عن الرُّخَص والأقوال الضعيفة التي تتوافق مع ظروف الناس اليومَ وترغِّبهم في الدين (زعموا!)، ونحن نحسن الظنّ بكثير من أصحاب هذه الدعاوى، ولكنّ الغاية لا تبرر الوسيلة.

(*) أستاذ مساعد في جامعة القصيم - قسم القرآن وعلومه - السعودية - توفي - رحمه الله في شهر رمضان الماضي.

لقد كان لهذا المنهج الفقهي آثار سلبية تمثلت في مظاهر منها: الاستخفاف بكثير من المحرمات، والتقصير في الواجبات، وعدم إنكار بعض المنكرات، ولا سيّما إذا وافقت هوى في النفس وضعفاً في الدين والورع، وأخطر من ذلك أنها ربما مهّدت لتقبّل الفكر الإرجائي الذي انبعث من جديد.

وهنا أؤكد على بعض المعالم المهمة التي لا تخفى على القارئ الكريم، وهي:

١ - أن هذه الشريعة المحمّدية مبنية على اليُسر والسماحة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، فليست بحاجة ألبتّة إلى من يزيدها يسراً وسهولةً.

٢ - ينبغي أن يُعرَض دينُ الله كما نُزِّل من عند الله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، مع مراعاة التدرّج في الدعوة.

٣ - كل مصلحة تعارض نصاً من الكتاب أو السنة أو الإجماع فهي مصلحة ملغاة لا اعتبار لها، وكل مصلحة متحققة لا تُترَك لأجل مصلحة متوهَّمة، والشرع أدرى بمصالح العباد من العقل.

٤- أنّ هذه الشرعية السَّمحة صالحة لكل زمان ومكان، لا حرجَ فيها ولا عَنَت، يستطيع المسلمون في هذا الزمن الالتزام بحدودها وإظهار شعائرها في أغلب البلدان.

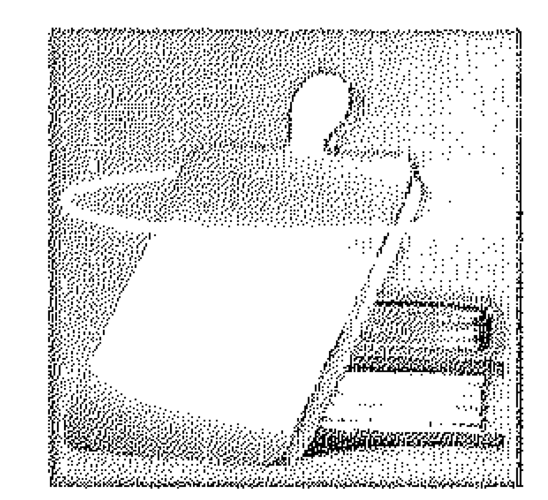
٥ - من قواعد الشريعة المُجمَع عليها أن الضرورات تبيح المحظورات؛ فإذا اضطر الإنسان لترك واجب أو فعل محرم جاز له ذلك، ولكنَّ الضرورة تُقدَّر بقدْرِها وزمانها ومكانها، ولا يترخَّص بها جميع الناس.

٦ - لم نرَ لهذا التساهل والتَّرخُّص أثراً واضحاً في دعوة غير المسلمين، أو توبة بعض المذنبين، بل ثبت أن الكفّار وأهل الكبائر من المسلمين يزدرون من يداهن في دينه.

هذه وقفة سريعة حول هذه الآية الكريمة.

وأخيراً أوصي من تصدَّر للفتوى من أهل العلم أن يتقي الله - تعالى - في فتواه، وأن يعلم أنه موقِّع عنه - جلّ في علاه - قائم بين يديه، وليحذر كل الحذر أن يجرِّئ الناس على حدود الله.

نسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.





غازي عبد العزيز عبد الرحمن(*)
aboalatheeralnasri@hotmail.com

إن صنعة التعليم - كما سمَّاها ابن خلدون - قد نالها من التغيير في عصرنا ما نال كثيراً من المهن والصنعات الأخرى، ولكن التغيير هنا غالباً ما يكون في الشكل وليس في المضمون؛ حيث إن المدرسة العربية في كثير من البلدان لم تعد مقتصرة على شيخ واحد، أو معلِّم واحد، ولم تعد مقتصرة على البنين دون البنات، ولم تعد مقتصرة - أيضاً - على غرفة واحدة يتجمَّع فيها صبيان الحيِّ، إنما تغيرت فيها كثير من المعالم؛ فالأبنية تعدَّدت وتطوَّرت من حيث التهوية فيها والإضاءة والساحات والمخابر والمعامل، وبعضها زُوِّد بتقنيات حديثة ومتطورة، وكذلك شمل التغيير بعض النُّظم من حيث أعداد الطلاب في الفصول وأعمارهم، وإلزامية التعليم، والعناصر المشرفة على العملية التعليمية وغير ذلك من الأمور التي لا تخفى على أحد، حتى إن التغيير شمل أيضاً أدبيات النُّظم التعليمية؛ فقد أصبح أغلبها يتوخَّى - نظرياً - الارتقاء بمستوى الطلاب الإدراكي، وتمكينهم من محاكاة القضايا، وحلِّها حلاً منطقياً ينسجم مع معطيات الواقع وإمكانات المتعلِّم الذهنية والمهارية.

أما واقع الحال داخل الحجرة الصفِّية فمختلف تماماً؛ حيث إن النتاج الذي تمخَّض عن هذا الواقع لا يلبِّي حاجات المجتمع من حيث الكيف، وإن كان يلبِّيها - أحياناً - من حيث الكم، ومن مؤشرات ذلك: حصول بعض الدول العربية مؤخراً على ترتيبات متأخرة تعليمياً، وكذلك عدم رضى بعض الجامعات العربية عن مستوى خريجي الثانوية العامة ممن ينتسبون إليها، وليس هذا بسبب قصور في عقل الطالب العربي، إنما ثبات الجوهر في أساليب التعليم وآلياته حال دون انفتاح هذا العقل في سنِّ الدراسة وعدم إتاحة فرص الإبداع والابتكار له؛ فاستسهل السير على خطى أساتذته ونهج نهجهم؛ فتعالت الصيحات نحو شمَّاعة التلقين لتعلَّق عليها أسباب قصور هذه النتاجات من جهة، ولتصرف النظر عن الاهتمام بالعلوم النقلية والشرعية القائمة على الفهم

(*) مشرف تربوي وتعليمي في مدارس الأرقم في الرياض - السعودية.

والمشـــافهة من جهة أخرى، لكنهم لو وقفوا قليلاً مع التلقين وعادوا إلى مفهومه الحقيقي من خلال التجربة الإســـلامية لوجدوا أن المســـألة ليست في التلقين؛ فالتلقين يكفيه فخراً أنه الأسلوب العملي الأمثل لتناقل القرآن الكريم بين صدور الحافظين؛ نصّاً وحُكْماً وتطبيقاً.

جاء في لســـان العرب: لَقِنَ الشـــيءَ يَلْقَنُه لَقَناً، وكذلك الكلامَ، وتلقَّنه فهمه، ولقَّنه إياه: فهَّمه، وقد لقَّنني فلان كلاماً تلقيناً أي: فهَّمني منه ما لم أفهم، وغلامٌ لَقِنٌ: سريع الفـهم، وفي حديـث الهجرة: «ويبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ»؛ أي: فَهِمٌ حسنُ التلقين لما يسمعه، وفي حديث الأخدود: «انظـروا لي غلاماً فَطِناً لَقِناً»[1]، فالتلقين يعني: التفهيم، ولا يعني: الحشو والحقن.

وها هم صحابة رسول الله ﷺ وتابعوهم يتناقلون كتاب الله بالتلقين القائم على الفهم والتُّؤَدة والتطبيق العملي؛ فقد رُوي عـــن عبد الله بن مســـعود - رضي الله عنه - أنه قال: كان الرجل منّا إذا تعلَّم عشـــر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين يُقْرِئوننا أنهم كانوا يســـتقرئون من النبي ﷺ، وكانوا إذا تعلَّموا عشـــر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً[2].

ورُوي عـــن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: تعلَّم عمر البقرة في اثنتي عشـــرة سنة[3]، فطول هذه المدة - كمـــا يذكر أهل العلم - ليســـت لضعـــف مَلَكة الحفظ لديه وإنما للتدبُّـــر والتـفقُّه ولترجمـــة مضمون الآيات إلى ســـلوكيات عملية يطبِّقها في حياته اليومية، وهذا هو ســـرُّ نجاح المدرســـة النبوية وأساتذتها من صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم.

أما عبد الرحمن بن خلدون المتوفَّى ســـنة ١٤٠٦م فقد وضَّح فـــي مقـدمته أن وجـــه التلقين المفيـــد إنما يكون بالتدريـــج، واســـتعداد المتعلِّـــم لفهم المعلومـــة، وذكْر أوجه الخلاف في المســـائل، وتقريب المعلومة بالأمثلة الحســـية. واهتمَّ ابن خلدون - أيضاً - بالجوانب العملية في تعلُّم اللغة دون الاقتصار على القواعد والقوانين والاصطلاحات، وقد مثَّل لهذا بالشـــخص الذي يتقن النجارة أو الخياطة وغيرها مـــن الصنعات نظرياً ولا يكون لـــه أيُّ دراية بهذه الصناعة عملياً[4].

فمن هنا نقول: إن المسألة ليست في التلقين الحق، إنما في مسائل متعددة، ومنها:

١ - الحقن والحشو:

إن الطالب العربي في ســـنِّ الدراســـة يقع تحت تأثير شيئين:

الأول: عدم اكتســـاب المعلومة بالممارسة، أي: لا تُتاح له فرص البحث والتجريب ليكتســـب المعلومة بنفســـه ويتلذذ بمتعة الاكتشـــاف، إنما تأتيه جاهزة؛ فهو مجرد مســـتهلك وليس منتجاً للمعلومة.

الثاني: عدم ممارسة المهارة المكتسبة وتحويلها إلى سلوك يعتاده في حياته اليومية، إنما تبقى المعلومات مجرد شـــحنة طازجة على أبواب الذاكرة لتفرغ بعجالة في ورقة الاختبار.

ثم إن الحقن والحشـــو أخذا شكلاً أكثر سلبية ليس في العلوم النقلية المســـتندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي لها؛ كما صنَّفها ابـــن خلدون، وإنما في العلـــوم التطبيقية التي ينبغي أن يصل إليها الإنســـان ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، فاليوم لا غرابة إن قلت: إن حلَّ مسألة الرياضيات يُحْفَظ عن ظهر قلب، وكذلك تجربة الفيزياء، أما التدريبات فباتت تُحَلُّ بطريقة الكلمات المتقاطعة، فالإجابة تأتي جاهزة مـــن المعلِّم بوضع الكلمـــة الفلانية في الفراغ الفلاني، أو وضع خط تحت هذه وخطين تحت تلك، أو صِلْ كـــذا بكذا، أو ضعْ علامة (√) هنا وعلامة (×) هناك، دون أن تترك أية فسحة للطالب للتفكير في حلِّ هذه التدريبات؛ لاكتشاف الفروق الفردية بين الطلاب على الأقل، أما الحجة في ذلك فهي ضيق الوقت وكثافة المنهج.

ويأتي في ســـياق الحشـــو والحقن التعليم المعلَّب الذي بـــدأ يهدِّد بإلغاء دور الكتاب باقتصاره على رؤوس أقلام في ملخصات أُعدَّت من مدرِّسٍ ما أو ابتيعت من مكتبة تجارية، وكذلك الوَجْبَات التعليمية السريعة التي يتناولها الطالب مع مدرِّسٍ ما ليلة الاختبار.

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣/ ٣٩٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: ١/ ٤.

(٣) الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ١/ ٥٤.

(٤) مقدمة ابن خلدون، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م، دار القلم، بيروت - لبنان، ص ٥٣٣، فصل: وجه الصواب في تعليم العلوم، وص ٥٥٤، فصل: اللغة ملكة صناعية.

٢ - الإرسال من جهة واحدة:

كـون المعلم في المدرسـة العربية هو المصـدر الوحيد للمعلومـة، وكون المعلم قد يمتلـك مصير الطالب في أغلب الأحيان، وكون أحد معايير نجـاح المعلم هو ضبطه للفصل وهيمنته عليه؛ فإن الطالب بات يزهد في البحث عن المعلومة من مصادر أخرى حتى إن توفرت هذه المصادر، وبات يتقبَّل المعلومة وإن كان لا يثق بها أحياناً؛ لأنه لا يملك حق المناقشة والردِّ عليها؛ فهـذا يقودنا إلى القول: إن قنوات الحوار بين الطالب والمعلم مغلقة؛ فثمَّة إرسـال مـن المعلم فقط وفي أحسن الأحوال استماع من الطالب، ما لم يكن هذا الطالب قد انصرف بذهنه عن الاسـتماع وظلَّ جسـداً مُسْنداً إلى خشبة الدرس.

٣ - اللاءات (لا، لا، لا):

لم تنجح المدرسة العربية في استهواء الطالب واستقطابه إليها؛ فما أكثر اللاءات التي تشنِّف أذنيه من أول يوم يدخل فيه المدرسـة.. لا تتكلم، لا تتحرك، لا، لا... حتى بات يعدُّ المدرسة نظاماً قسرياً مفروضاً عليه، ومن ثم كادت دافعيته تجاهها أن تنعدم؛ فهو لم يفرح للإجازة فحسـب إنما يفرح إذا غاب معلمه، أو قد يستثير أبويه إذا غضب لسببٍ ما؛ بأنـه لن يكتب الواجب، أو لن يذهب إلى المدرسـة غداً؛ لأنـه لا يجد فيها ما يستهويه ويريحه ويمارس فيها هواياته العلميـة والعملية ويروِّح عن نفسـه ويجد فيها شـخصيته وحريته واستقلاليته؛ من خلال الحوار والمناقشة مع معلِّميه وزملائه بدلاً مـن أن يقضـي جـلَّ وقتـه سـاكناً مستمعاً لا يتحرك.

وكـذلك فإن المـدرسـة لم تُقنـع طالبـها بأهميتها بالنسـبة له ولمسـتقبله؛ فهو - مثلاً - لا يؤدِّي الواجب لأنه وسـيلة للتحصيل العلمـي أو لقيـاس الناتج التعليمي، إنما يؤدِّيه ليفلـت من العقاب أو ليخرج عـن دائرة المخالفة للنظـام، وقـد يصل الأمر إلـى أن يحقـد الطالب على المدرسـة، أو على الكتاب؛ إذ كثيـراً ما نجد بعض الطلاب يحـاول تخريب بعض ممتلكات المدرسـة، أو يمزِّق كتبه في نهاية الاختبارات.

٤ - ضعف معايير القياس:

في أحسـن الأحوال يحدَّد مسـتوى الطالب من خلال مـا يفرِّغه مـن معلومات على ورقة الاختبـار أو من خلال الكمِّ الـذي يسـتظهره في المواد الشـفوية أو التطبيقية أيضـاً، فالمعلومـة أو حتى المهـارة العمليـة تُقاس من الناحيـة النظـرية فقـط ولا تُقـاس من خلال ممارسـة الطـالب لهـا أو من خـلال تأثُّـر سلوكه بهـا، وقد ينتقـل الطـالب إلى سنـة دراسيـة تاليـة بانتهـاء المنهـج الـذي كان يلقيـه المعلِّـم علـى مسـامعه خـلال فتـرة زمنيـة معـينـة، بمعنـى: أوتـوماتيكيـة النجاح وخاصة في المرحلة الابتدائية، وكأننا حكمنا على مستوى الطالب من خلال أداء المعلِّـم لا من خلال أثر هذا الأداء في سـلوك الطالب وفي تحصيله.

٥ - التجرُّؤ على مهنة التعليم:

أصبحـت المدرسـة العربية اليـوم مجـالَ عـملٍ لمـن لا عمـل لـه؛ فالكثير من خـريجـي الجامعات وحـملة الثـانويـة العامة في بعض البلـدان العربية عندما تضيق بهم السُّـبل ولا يجدون وظائف؛ يلجـؤون إلى مهنة التعليم دون قناعـة أو إمكانات، بـل إن بعضهـم يتقدَّم للعمـل في وزارات مختلـفة لكـنه يتجـرَّأ فيشـغل نفسـه بالتعلـيم - ويُتـاح له هذا - ريثما تتهيَّأ له الوظيفة الأساسـية التي ينتظرها، وبعضهم يمارس عمله الأساسي موظَّفاً في المساء ويقضي صباحه معلِّماً في مدرسـة خاصة أو أهلية؛ فأنَّى لهذيـن الصنفين أن يكون مخلصاً لمهنـة التعليم في الوقت الذي ينبغي فيه أن يُعَدَّ الشخص إعداداً جيداً ويؤهَّل نفسياً وتربوياً وتعليمياً ومادياً؛ لكي يصل إلى المرتبة التي تؤهله لأن يكون معلِّماً؟! فأية وزارة أو مؤسسـة تسمح لأيِّ مهندس أن يشيد بناء دون خبرة كافية وتجارب ميدانية تشهد بكفاءته؟ وأيُّ مشـفى يسـمح لطبيب أن يجري عملية جراحية مهما كانت بسـيطة دون كفاءة أو خبرة كافية؟ فإذا كان المهندس يتعامـل مع الحجارة، والطبيب يتعامل مع الجسـد؛ فالمعلم يتفاعل مع عقل الإنسان وتفكيره، وهما أسمى من الحجارة والجسـد؛ ناهيك عن أن المعلم هو الذي شـقَّ الدرب لهذا المهندس أو ذاك الطبيب.

وختاماً أقول: إن المدرسـة العربية قد تمحو الأمية في القـراءة والكتابة؛ لكنها لا تمحـو أمية التفكير، وقد تخرِّج حملة شـهادات؛ لكنها لا تخـرِّج حملة علم فـي كثير من الأحيان.



التربية على الاعتدال

د. محمد بن عبد الله الدويش
dweesh@dweesh.com

مفهوم الاعتدال ودائرة اتصاله بالشخصية أوسع مما يتصور كثير منا؛ فهو ليس مقابلاً للغلوّ في الدين فحسب، وليس قاصراً على مجال التديُّن وحده وإن كان من أهمّ مفرداته وصوره.

إنه سِمَة للشخصية تترك أثرها على نظرة الإنسان وفهمه للدين، وعلى ممارسته له، وعلى تعامله مع المخالفين.

كما أنها تترك أثرها على أخلاق الإنسان وسلوكه، وعلى قراراته وإدارته لحياته الشخصية، وعلى تعامله مع الأفكار؛ قبولاً وردّاً، ونقداً وتقويماً.

وحين ننظر إلى الاعتدال هذه النظرة الأوسع ندرك اتِّساع الخلل في البناء التربوي؛ فغياب الاعتدال في المنتَج التربوي ليس حالة شاذة ولا قليلة، بل نجد صوره ونماذجه بارزة، وهو ما يتطلب من المربِّين ضرورة الحرص على بناء الاعتدال والتربية عليه.

وبناء الشخصية المعتدلة لا يتأتَّى من خلال الحديث مع المتربين عن ضرورة الاعتدال ومساوئ التطرف؛ فكثير ممن يذمون التطرف ويدعون إلى الاعتدال لا يسلمون من التطرف والتربية عليه من جهة أخرى.

يحتاج المتربي حتى ينشأ على الاعتدال إلى ما يلي:

• أن تتاح له فرص نقاش الآراء والأفكار التي يسمعها وإثارة التساؤلات حولها وإبداء رأيه بكل هدوء، وألا يتردد في مخالفة رأي المربي أو يجد حرجاً في ذلك.

• أن يعتاد سماع اللغة الهادئة والناضجة في نقاش الأفكار والقضايا والحديث عنها؛ نفياً وإثباتاً وتقويماً ونقداً.

• أن يعتاد سماع المنطق النسبي(1) في التعامل مع المواقف والأفكار، دون اللغة الحادة والقاطعة التي تصنف الأشياء في دائرتي القبول والرفض، الصواب والخطأ.

• أن يتربَّى على ممارسة التفكير الحر، والتحليل العميق للأفكار، والنظرة الواسعة التي تتعامل مع الموقف من زوايا عدة ولا تختزله في زاوية واحدة.

• العناية باتِّساع الثقافة والمعرفة وعمقها، وتنوُّع مصادرها؛ فالتطرف يتسع أكثر لدى من يعيش ضحالة فكرية وثقافية، أو يتعامل مع مصدر محدود.

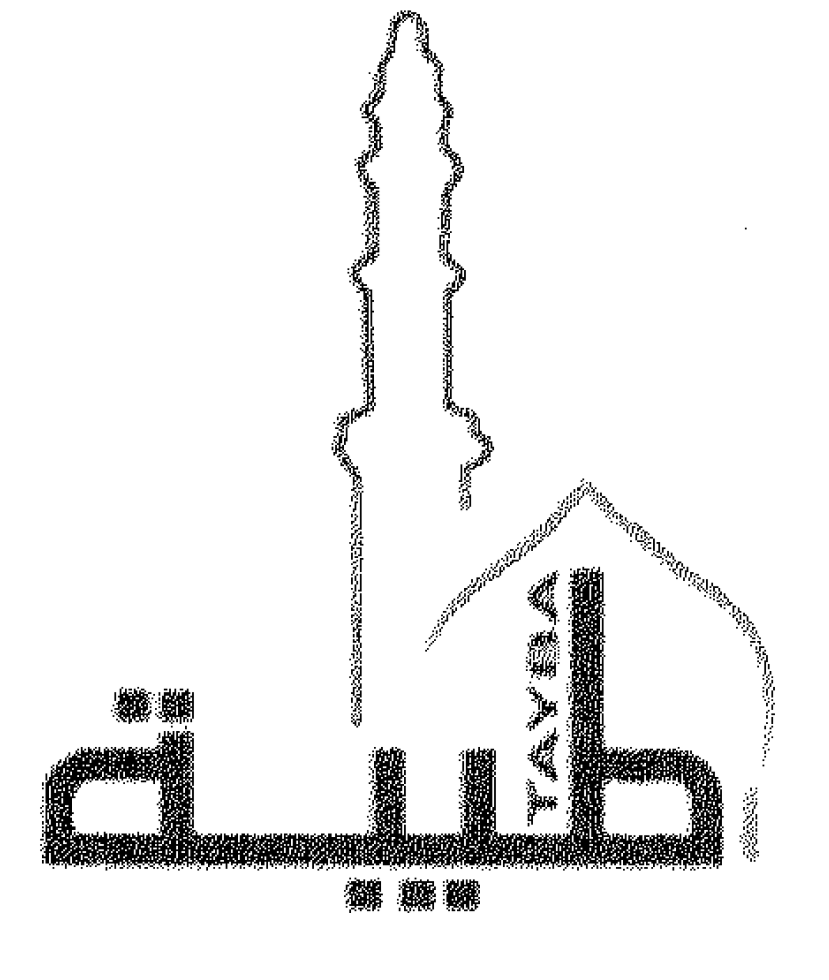
إننا بحاجة إلى أن نكون جريئين في نقد واقعنا، وفي الاعتراف بأننا نعاني من حدة وتطرف في تفكيرنا، وأن اتفاقنا مع آراء من نحبهم ونُجِلُّهم لا يعني بالضرورة أنهم قد تجاوزوا مرحلة الحاجة إلى بناء الاعتدال والتربية عليه.

ونقطة البداية من وجهة نظري الشخصية تتمثل في العناية بتربية المربين على الاعتدال، وكسر حدة التطرف والانغلاق في التفكير.

إن حالات الغلوّ في الدين لا تزال محدودة - رغم خطورتها - لدى المربين، لكن الحالة الأكثر انتشاراً هي الحدة والتطرف في التفكير، وهي تقود إلى كثير من الصراعات داخل الصف الإسلامي، وإلى التشنج في إدارة الخلاف، والضيق في التعامل، وهو ما يتطلب العناية به في تربية الشباب وإعدادهم.

(1) هذا لا يعني القبول بالتطرف المقابل الذي يفترض النسبية في كل شيء، ويلغي دائرة الحق والباطل تماماً؛ فهو تطرف آخر مقابل لهذا التطرف.





www.tayba.fm

إذاعة طيبة

خدمة رسائل

جوال طيبة

1 رسائل الاذكار

2 رسائل الفتاوى

3 رسائل المرأة المسلمة

4 رسائل أفراح الزوج

5 هذا الحب يا حبيب

6 معاني كلمات القرآن الكريم

7 مواقيت الصلاة

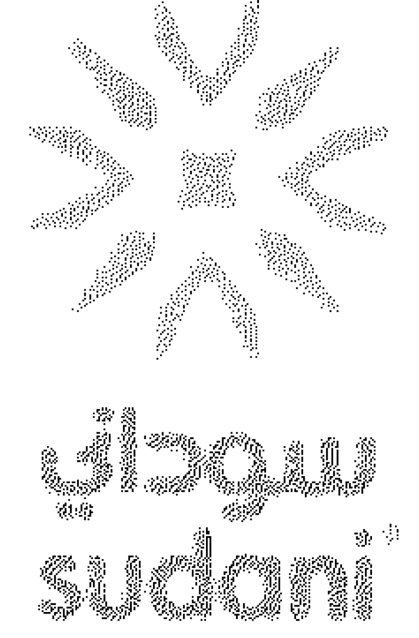
8 مهارات النجاح

9 حكم وأمثال

للإشتراك في خدمة رسائل جوال طيبة أرسل رسالة نصية SMS تحتوي على رمز الخدمة إلى الرقم 1030

طريقة إلغاء الخدمة أرسل حرف U زائداً رقم الخدمة

عبر شبكتي سوداني و زين







هل تستعيد أمريكا مركزها؟

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

وهكذا يُنتخب (أوباما) رئيساً للولايات المتحدة، أول رئيس أسود لأب إفريقي كيني مسلم. وكان من أقوى أسباب انتخابه وعـده الأمريكيين بأنه سيحدث تغييراً بعد سنيّ (بوش) العجاف؛ فهل يستطيع (أوباما) أن يصلح ما أفسده (بوش)؟ يعلّق كثير من الأمريكيين آمالهم على رئيسهم الجديد، غير أن بعض كتّابهم ومفكريهم يرون أن عهد القيادة والسيطرة الأمريكية قد انتهى إلى غير رجعة، ويستدلون على ذلك بأدلة تبدو مقنعة.

من ذلك: قولهم: إن القيادة الأمريكية بدأت في نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥م حيث كانت أمريكا بالإضافة إلى كندا وأستراليا هي الدول الوحيدة التي خرجت سالمة من ويلات الحرب العالمية الثانية. أما الدول الأخرى: بريطانيا وألمانيا وفرنسا وروسيا واليابان والصين؛ فقد خرجت من الحرب منهكة على درجات متفاوتة. وكان نتيجة ذلك أن بلغت قوة الاقتصاد الأمريكي مبلغاً لم تبلغه بعد ذلك أبداً؛ نصف إنتاج العالم تقريباً، وهذا هو الذي أهّلها إلى أن تكون الدولة القائدة. أما الآن فإن الأمر مختلف، فقد ظهرت دول كثيرة في أوروبا وآسيا تنافس أمريكا في الإنتاج، فالصين والهند تنموان بمعدل ٨٪، وتسيران بخطى سريعة نحو التحديث، فشركة (China Mobile) الصينية - مثلاً - هي الآن أكبر شركة جوالات في العالم، وتضيف إلى شبكتها الملايين من المشتركين في كل شهر.

ويقولون: إن النمو الذي حدث في مثل الهند والصين صاحبه شيء آخر، هو الشعور بالعزة واستحقاق الاحترام، وصاحبه أيضاً الاقتناع بأن الطريق إلى التحديث والتقدم لا يلزم أن يكون سيراً في خطوات أمريكا، فالصين - مثلاً - يحدث فيها تحديث حتى من غير حاجة إلى نظام ديمقراطي.

ثم جاءت الأزمة، وإن شئت فقل: الكارثة المالية، فزادت من ضعف أمريكا الاقتصادي بالنسبة للدول التي أخذت في طريق النمو، لكن هذا الضعف - وهو أمر نسبي - لم يكن وحده الذي أدّى إلى فقدان أمريكا مركزها القيادي؛ كما يرى هذا كثير من الكتّاب الأمريكان والأوربيين الذين لا يُشك في إخلاصهم لبلدهم وحضارتهم ولا في معرفتهم بما يحدث في بلادهم. فهذا (فوكوياما) الكاتب الذي اشتهر بنظريته في نهاية التاريخ يكتب مقالاً في مجلة (نيوزويك) بعنوان: سقوط أمريكا، يرى فيه أن الضرر الأكبر الذي أحدثته الأزمة المالية هو الضرر الذي أصاب النموذج الأمريكي الاقتصادي والسياسي. يقول (فوكوياما): إن النمو الكبير الذي شهدته أمريكا جعلها تتجاهل منتقديها من الاشتراكيين ومن دول أمريكا اللاتينية، لكن تلك القاطرة التي أحدثت ذلك النمو قد خرجت عن قضيبها وتنذر بأن تهوي جارَّة بقية العالم وراءها.

وما أسماه (فوكوياما) بـ (النموذج الأمريكي) هو في الحقيقة (النموذج الرأسمالي). والضرر الذي حدث له ضرر بالغ؛ إذ إن الولايات المتحدة التي كانت تتفاخر بالتمسك أكثر من غيرها بالفلسفة الرأسمالية التي تدعو إلى عدم التدخل في النشاط الاقتصادي؛ اضطرت إلى أن تفعل شيئاً كان يعدُّ أمراً منكراً بحسب تلك الفلسفة، لكنها فعلته ولم تسمّه باسمه. لقد اضطرت الدولة إلى أن تتدخل تدخلاً مباشراً

يســـميه الناس في الـــدول الأخرى بـ (التأميـــم)، حيث إنها اضطرت إلى أن تشتري بعض البنوك وأن تنقذ أخرى بأموال دافع الضرائب.

أقول: لقد أثبتت الأزمة فشـــل النظريـــة التي قام عليها النظام الرأســـمالي؛ لذلك ترى الأصـــوات ترتفع الآن منادية بإدخال تعديلات عليه، وهي تعديلات يغيِّر بعضها من جوهره وإن كان أصحابها ما يزالون يطلقون كلمة الرأســـمالية عليه حتـــى بعد هذه التعديلات الجوهريـــة؛ لأنهم يعتقدون - كما قلت في مقال آخر - أن سبب هذا هو اعتقادهم الغالط بأن كل نظام ســـوق يُباح فيه البيع والشراء والامتلاك وغير ذلك؛ هو نظام رأسمالي، مع أن الحقيقة أن النظام الرأسمالي إنما هو نوع خاص من أنظمة الســـوق، وهناك أنظمة سوق أخرى غير رأسمالية، منها: نظام الاقتصاد الإسلامي.

مـــن ضمن ما يذكره (فوكوياما) وغيره من أســـبابٍ في تدهور الولايات المتحدة: أن العجز الهائل في الميزان التجاري الـــذي بلغ ٧٠٠ بليون دولار في العام بحلول عام ٢٠٠٧م؛ أمر لا يمكـــن اســـتمـــراره. إن الدول الأخرى ستكتشـــف - كما يقول - عاجلاً أو آجلاً أن أمريكا ليســـت المكان المناسب الذي تودع فيه أموالها.

وممـــا يذكرونه أيضاً: أن أمريكا في عهدها الأول للقيادة كانت تســـعى إلى أن تكـــون القرارات بالتعـــاون مع الدول الديمقراطيـــة الصديقة. أما في عهد (بـــوش) فقد جنحت إلـــى الفردية والعزلة، فحربها علـــى العراق - مثلاً - لم يكن بقرار من مجلس الأمن يبيح لها فيه استعمال القوة. هذا أمر يعترف به الآن كل مـــن (أوباما) و (مكين). يقول (مكين) في إحدى خطبه: «في عالم كهـــذا تتوزع فيه القوى بكل أنواعها توزعاً واسعاً ومتوازياً؛ فإن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تقود اعتماداً على قوتها وحدها».

وحـــرب العراق لم تـــؤدِّ إلى إضعاف أمريـــكا اقتصادياً فحسب، لكنها أفقدت الناس الثقة بها، والدولة لا تكون قائدة بغيـــر أتباع يثقون بها. لم يعد الناس يثقون بمصداقية أمريكا بعدما ظهر لهم أنَّ تسويغها لحرب العراق كان مبنياً على كذبة بلقاء هي امتلاك (صدام حســـين) لأســـلحة الدمار الشامل، وبعد أن رأوها تشن على هذا البلد حرباً فاجرة تستعمل فيها كل وسائل القتل والتعذيب والتدمير، ولم يعودوا يثقون بقِيَمها الخُلقية بعدما رأوا ما حدث في سجن أبي غريب، ولم يعودوا يثقون بعدالـــة نظامها القانوني وهم يرون ما يحدث للأبرياء في غوانتنامو.

والمعجبون بنظـــام أمريكا الديمقراطي - لا ســـيما بعد رؤيتهم إياه يؤدي إلى انتخاب رجل أسود - لم يعودوا يعتقدون بأن أمريكا تريد لهم ما تريد لنفســـها بعد أن رأوها تســـوِّغ غزوها للعراق بدعوتها إلى الديمقراطية.

بعد أن ذكرنـــا أدلة بعض الكتّـــاب والمفكرين نذكر الآن آراءهم مجردة.

(فوكوياما) كما رأينا يجعل ســـقوط أمريكا عنواناً لمقاله في مجلة (نيوزويك).

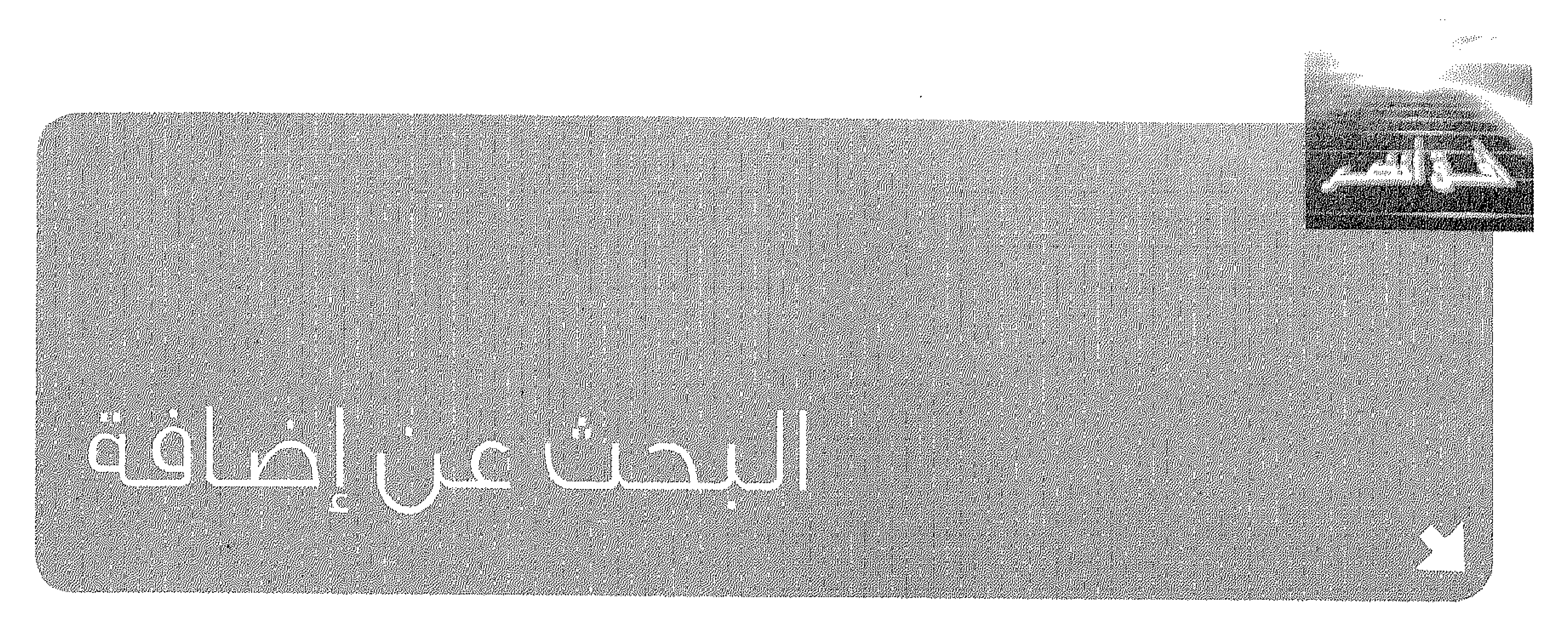
(مايـــكل إليوت) يكتـــب مقالاً في مجلة (تـــايم) بعنوان: (أمريكا القائد المفقود) ويقول فيه: إن استطـــلاعات الـــرأي لا تكـــذب. إن أمريكا ينظـــر إليها - حتى بين حلفائها - على أنها خطرة ولا يوثق بها.

وينقل (إليوت) عن وزير خارجية فرنســـا - الذي وصفه بأنه صديق لأمريـــكا - قوله: (عندما ينظر بقية العالم اليوم إلى أمريكا «لقد بطل الســـحر»)، وعندما ســـئل عما إذا كان بإمكان الولايات المتحدة أن تصلح الضرر الذي لحق بسمعتها في الســـنين القليلة الماضية كان جوابه: (لـــن تكون أبداً كما كانت من قبل).

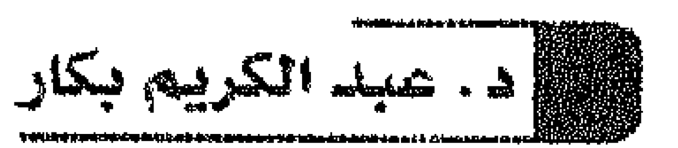
وهـــذا الكاتـــب والمحلـــل السياســـي (بوكانـــن) (Pat Buchanan) - الذي كان من المرشـــحين للرئاسة الأمريكية بعد نهاية فترة (بوش) الأب الأولى - يكتب مقالاً بعنوان: (لقد انتهى حفل الســـمر)، يقول فيـــه: «إن الأزمة المالية قد تكون بدايـــة عهد جديد تكون فيه أمريكا أكثـــر ضموراً مما كانت عليـــه. إن القول: إن أمريكا هي (القوة الوحيدة) وإنها (الأمة التي لا غنى عنها) قد أصبح تاريخاً. إن مســـتوانا المعيشـــي ســـينخفض لا محالة. إن ما نشـــهده اليوم هـــو كيف تنتهي الإمبراطوريات».

وهذا الكاتب البريطانـــي (جون جراي) (John Gray) يقول في مقال كتبه فـــي جريدة (الأبزيرفر) البريطانية: «إن الأزمة المالية ستترك الولايات المتحدة تترنَّح كما ترنَّح الاتحاد الســـوفييتي بعد سقوط حائط برلين». «إن هذا الثوران الذي نشـــاهده هو أكثر من أزمة اقتصادية مهما عظمت. إنه تحول جغرافي سياســـي يتغيـــر فيه ميزان القوة فـــي العالم تغيراً نهائياً. لقد انتهى عهـــد القيادة الأمريكية العالمية التي بدأت منذ الحرب العالمية الثانية».

إذا كان كل هـــذا صحيحـــاً فـــإن الســـؤال لا يكون: هل ستســـتطيع أمريكا اســـتعادة مركزها؟ وإنما ســـيصبح: هل تســـتطيع أمريكا أن تحافظ على مركزها الحالي المتدني أم أنها ســـتتدهور أكثر فأكثر؟ الذي يبدو أنها ستتدهور ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].



البحث عن إضافة



د. عبد الكريم بكار
www.islamtoday.net/bakkar



جعل الله - تعالى - هذه الدنيا داراً للابتلاء، فوفَّر فيها كل شروط الابتلاء، وإن استحضار هذه الحقيقة شيء أساسي؛ حتى لا يمضي الناس في طرق الانحطاط والخسران من حيث لا يشعرون.

حين يكون كل ما حولنا متحركاً وفي كل اتجاه وعلى كل مستوى؛ تصبح مسألة الإضافة والتجديد والتقدم خارج حدود الرفاهية أو حدود المستحسَن، وتدخل في حدود الواجب الحضاري، وفي حدود المحافظة على الوجود المادي والمعنوي.

أنا هنا لا أتحدث عن الإضافة على الصعيد السياسي أو الصناعي.. وإنما أتحدث عنها على الصعيد الفكري والثقافي؛ لأن الإضافة على هذا الصعيد هي التي تفتح الطريق أمام كل الإضافات. ولعلّي أشير في هذا السياق إلى الأمور الآتية:

١ - التقدم الحضاري الحادث الآن فتح شهية الناس على فضاء لا محدود من الرغبة في الاستهلاك والبحث عن الجديد، وهو ما جعل الجدَّة الافتراضية لبعض المنتجات التقنية لا تزيد على عشرة أيام حيث ينزل الجديد إلى السوق ويتم الحكم على ما سبقه بأنه قديم. واللافت للنظر أن هذا بات ينسحب على الأفكار والمقولات وأساليب الدعوة والإقناع؛ حيث مضى - على ما يبدو - ذلك الزمان الذي يتعلَّق فيه الناس بخطيب أو متحدث أو كاتب؛ عشرات السنين ما لم يبذل جهداً استثنائياً في تلمُّس الجديد وتقديم المفيد والمثير على نحو مستمر.

٢ - نحن نعاني من مشكلة يمكن أن نسمِّيها مشكلة (المطالب المتناقضة)؛ حيث إن كثيرين منَّا يزهدون فيما يقدِّمه الكاتب والخطيب والمفكر إذا لم ينطوِ على جديد، ويُعْرِضون عنه، وربما أطلقوا ألسنتهم فيه، وإذا جاء كاتب أو مفكر بشيء جديد لم يجدوا لديهم من الأريحية والشجاعة ما يحملهم على شكره والاعتراف به، بل إنهم يقفون منه موقف المتشكِّك المتردِّد، وهذا إذا لم يعثروا فيه على مأخذ أو مغمز، فإذا وجدوا شيئاً لا يروقهم، ولا ينسجم مع معارفهم ومخزوناتهم الثقافية؛ فإنهم لا يعذرون، ولا يحقِّقون فيما أنكروه، ولا ينظرون إليه على أنه جزء من تكاليف الإبداع والاجتهاد، وإنما يهاجمون صاحبه، ويتجاوزون المعطيات الملموسة إلى النوايا والمقاصد، ويوسِّعون دائرة النقد على أسس واهية أو مختلف فيها! هذا تناقض ظاهر، وقد أدَّى الخوف من ألسنة هؤلاء وأقلامهم إلى جنوح بعض الكُتَّاب إلى التشدُّد، وإلى الإحجام عن الاجتهاد والتجديد، وفي هذا خسارة كبرى للقضية الإسلامية عامة وللصحوة خاصة!

٣ - لدينا شـريحة من أهل الغيرة والحمية الإسـلامية، لم يعمل الذين ينتمون إليها على تأهيل أنفسهم لتقديم شيء نافع، ولا يملكون مقومات التفكير الإيجابي، وهم ميَّالون إلى الصمت في معظم الأحيـان، ولكنهم يمتلكون مهارات النظر الحرفـي الضيق، وهـؤلاء لهم دور مفيد - ولا شـك - في منع بعض الشـطط الذي يقع فيه بعـض المنظِّرين والكُتَّاب والمتحدثين والمفتين، لكن مشكلتهم أنهم يريدون من الجميع أن يمارسوا على نحو دائم نوعاً من الترديد للبدهيات والأصول والكليات، وإلا كانـوا موضـع اتهـام بالانحـراف أو التقصير، وما درى هـؤلاء أن الكليات والأصول والبدهيات والثوابت لا يُنص عليها في مناسـبة وفي غير مناسـبة، إنها تُسـتبطن وتُراعى، ويُحسب حسابُها؛ لأنها إطار يلتزم به المفكر والداعية والكاتب المسلم. وبعضهم لا يرى في الفكرة وفي الرأي ما يثير الحماسة والإعجاب إلا إذا كان مؤيَّداً بالنصوص والشواهد، وهـذا أيضاً غير لازم؛ لأن الشـواهد يُؤتـى بها في حالات الاختلاف والشك وحين يخاطب المرء العامةَ وأشباههم ممن لم يُؤْتَوْا إلا القليل مـن العلم، أما الصفوة والخاصة وطلاب العلم؛ فإنهم ينتظرون التحليل الجديد والتعليل المبتكر والفكرة البكر التي تفتح أفقاً للتأمل أو حقلاً للممارسة. والمهم دائماً عـدم الاصطدام بالثوابت والقطعيات وعدم الاصطدام بروح الشريعة الغراء.

حين تكون الأمة في حالة ركود حضاري؛ فإن وعيها يُفتَن بالكمِّ وينشغل بالأشكال والمظاهر، وهذا ما نلاحظه في كثير من قضايانا وجوانب حياتنا، وعلى سـبيل المثال: فإن رسائل الدكتوراه والماجسـتير قد تضخمت فـي كثير من الجامعات حتى بلغت الواحدة منها ألف صفـحة - إي والله ألف صفحة -، وحـين تقرأ فيها وتبحث عن الإضافة التي جاءت بها وعن الجديـد الذي توصـل إليه الباحث؛ فإنك ستشـعر بالكثير من خيبة الأمـل، وفي أحيانٍ كثيـرة لا يتجاوز الجديد ٥ ٪ من البحث، والسـبب هو الاجتـرار للمعلومات وعدم تدقيق المشـرفين والمناقشـين في تلك الأعمال وعدم تأكيدهم على الكيف وعلى الجديد.

إذا رأيت كتاباً كبيراً يتحدث عن قضية صغيرة محدودة؛ فاعلم أن فيه الكثير من اللغو والكثير من الاسـتخفاف بعقل القـارئ، ونحن اليوم في أمسِّ الحاجة إلى الكثير من الأفكار العملية المبدعـة، ولو كانت صغيرة، وكان مـن أتى بها غير مشـهور، أو كانت في رسالة صغيرة، المهم أنها تشكل إضافة حقيقية لمحصولنا الثقافي والفكري.



عمل خيري.. بلا وُجَهاء!

إبراهيم الحيدري(*)
alhaidari@hotmail.com

لجميع أفراد المجتمع؛ رجاله ونسائه، فقيره وغنيه؛ الحقُّ في أن يشارك في العمل الخيري بمفهومه العام الذي يشمل أغلب مناحي حياة الإنسان وما يتعلق به. ولوُجَهاء المجتمع - من شخصيات حاكمة أو شرعية أو تجارية - حق مماثل بلا شك، بل إن وجودهم في ميدان العمل الخيري في كثير من الظروف هو دعم لمسيرته وتشجيع لممارسته، إلا أن التحدي الذي يواجه تشكُّل العمل الخيري في المجتمع العربي حالياً هو ذاته ما واجه بعض الدول المتقدمة في أوروبا - على سبيل المثال - إبَّان نشأة المنظمات الخيرية قبل ما يقارب مئة عام، وهو أن ينحصر العمل الخيري فيما كان يُطلَق عليه: طبقة النبلاء وعِلّية القوم؛ لتصل رسالة غير مباشرة إلى بقية أفراد المجتمع أن لا حق لهم في تكوين عمل خيري منظم.

هذه زاوية يمكن النظر من خلالها إلى هذا الموضوع، إلا أن زاوية أخطر وأعمق أثراً؛ ويبدو أن بعض أفراد المجتمع هم من يشارك في ظهورها وترسيخها في خريطة العمل الخيري في الدول العربية الذي ما زال في كثير من دوله في بداية تشكُّله، هذه الظاهرة هي سعي بعض الخيِّرين إلى ضمِّ أسماء لامعة وشخصيات وجيهة إلى قائمة المشرفين أو المسؤولين على منظماتهم الخيرية؛ حتى لو كان ذلك شرفياً كما يعبِّر عنه؛ رغبةً في دعمها في الدوائر الحكومية أو نيل ثقة المجتمع الداعم.

إن لوجود شخصية وجيهة في كثير من جمعياتنا الخيرية على المدى القصير منافع وإيجابيات؛ إلا أن له على المدى البعيد سلبيات قد تعيق وجود ونمو عمل خيري ناضج وتهدِّد رسالته؛ بحيث يتحول من عمل خيري يعكس نوايا وأهدافاً تطوعية لمؤسِّسيه إلى عمل شبه خيري يعكس رغبات تلك الشخصية الوجيهة وميلها ويدور حول رحاها.

إن فلسفة العمل الخيري هي أن يكون حقاً مشاعاً لشرائح المجتمع كافة؛ في نشأته وإدارته وقيادته، لا أن يعتمد على شريحة دون أخرى. كما أن طريقة التقييم الصحيحة لدعم المنظمات الخيرية من قِبَل الناس ينبغي أن تعتمد على فكرة المنظمة الخيرية وتميُّز أهدافها وجودة أدائها، بدلاً من اعتمادها على الأسماء التي تستند إليها وواجهة تلك الأسماء.

لم ينطلق العمل الخيري في الدول المتقدمة ويزدهر إلا بفعل عدة عوامل، كان منها: انعتاقه من قبضة النبلاء وانتشاره بين شرائح المجتمع المختلفة، حتى أصبحت المنظمات الخيرية هناك بأرقام فلكية وخدمات غاية في التنوع.

(*) ماجستير في الإدارة، باحث في إدارة العمل الخيري.

الإعلام المقاوم

صناعة للوعي.. وإشراقة في ظل الاحتلال

إعداد: مجلة البيان

المشاركون في التحقيق:

- الأستاذ رأفت مرّة: رئيس تحرير مجلّة «فلسطين المسلمة».
- الأستاذ عبد الرحمن سلوم الرواشدي: المشرف العام على وكالة «حق» الإخبارية العراقيَّة.
- الأستاذ فتحي حمّاد: رئيس مجلس إدارة شبكة «الأقصى» الإعلاميَّة، والمشرف العام على قناة «الأقصى» الفضائيَّة.
- الأستاذ مصطفى الصواف: إعلامي ورئيس تحرير صحيفة «فلسطين»، ورئيس مركز «الجيل» للصحافة.
- أبو مجاهد: الناطق الرسمي لألوية الناصر صلاح الدين «أحد الفصائل الجهاديَّة في فلسطين».

▪ تمهيد ومقدمة:

يُعدُّ الإعلام المقاوم أولوية مركزية لدى حركات التحرر في أنحاء العالم كافة، وعندما يتم تداول اصطلاح «صناعة الإعلام المقاوم» فإن أول ما يتبادر إلى الذهن أن الأمر يتعلق بنوع من الإعداد والتجهيز؛ كما تتم عمليات صناعة السلاح والعتاد وتأهيل الأفراد.

ولأهمية دراسة هذا الجانب خصوصاً أن المواجهة مع قوى الاحتلال تزداد يوماً بعد يوم في مناطق عديدة من العالم؛ فقد كان لا بُدَّ من تسليط الضوء على موضوع الإعلام المقاوم بشقّيه: النظري والتطبيقي، ومدى نجاعة هذا النوع من الإعداد، وسبل تطويره ليتوافق مع مقتضيات كل مرحلة وحسب خصوصية الظروف المكانية والزمانية لكل مواجهة؛ ذوداً عن بيضة الأمة، ودفاعاً عن دينها وكرامتها.

التحقيق التالي يستطلع آراء نخبة من قادة الإعلام المقاوم

ومنظّريه في الساحتين الأشد نزفاً «الفلسطينية والعراقية»؛ لما لهذه الشخصيات من دور هام في تبنّي فكر المقاومة والصدح بأولوية انتهاجه عبر كل الوسائل الإعلامية.

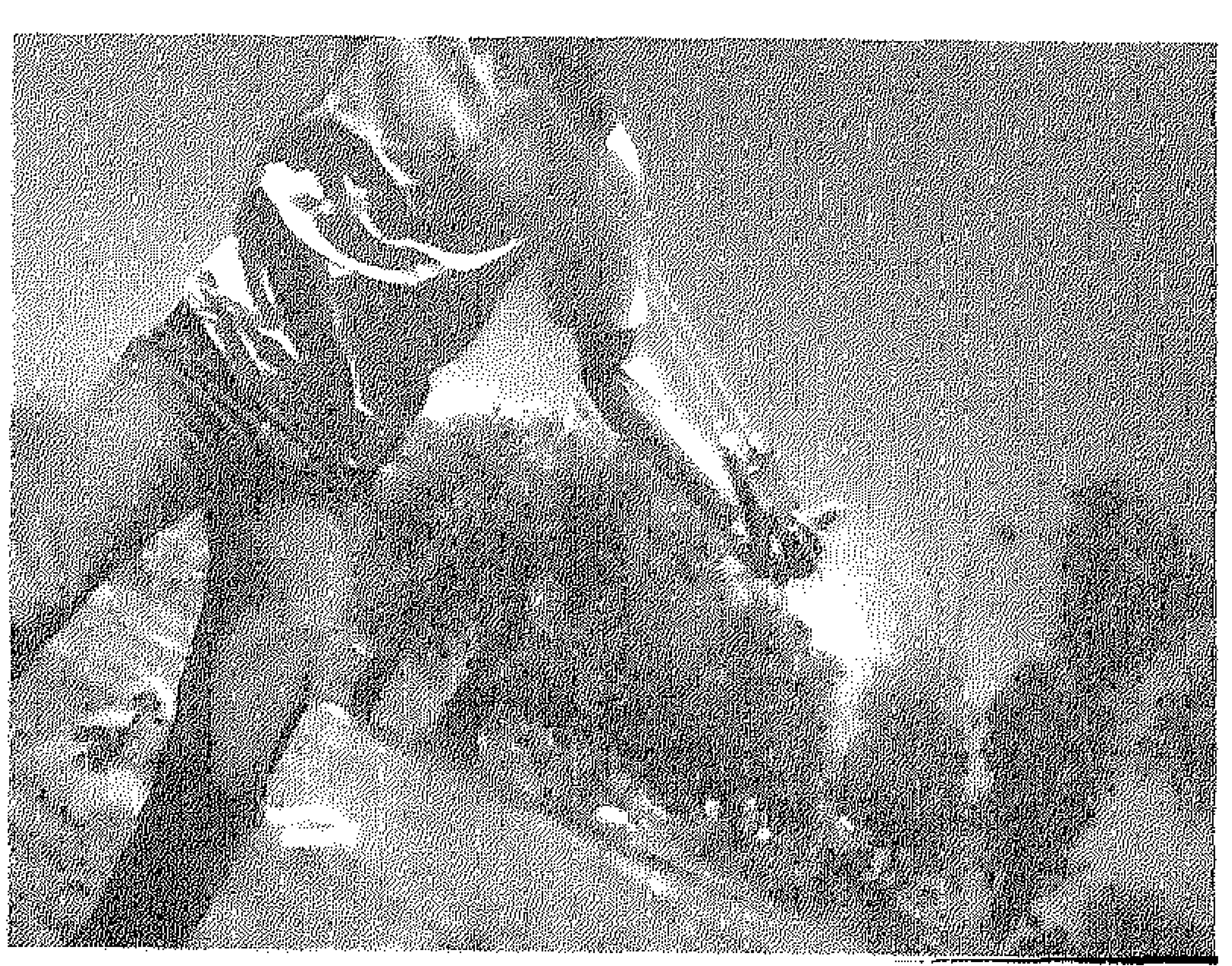
انتقاء هؤلاء الأشخاص - نحسبهم والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحداً - ممن صدّق قولَهم عملُهم، فعاشوا تجربة الإعلام المقاوم واقعاً بين خنادق المجاهدين وعلى أطراف الثغور وتحت مرمى نيران الأعداء، أو من كان قدرهم حياة المنافي فتجاوزوا أثقال شتاتها؛ انتقاء هؤلاء الأشخاص يمنح تحقيقنا هذا مزيداً من الشمولية ويسعى باتجاه تعزيز مصداقية ما سيرد في هذا التحقيق من أقوال ومواقف.

▪ تعريف الإعلام المقاوم:

لا وجود لاختلاف جوهري في تعريف الإعلام المقاوم؛ وإن تباينت بعض التفاسير له حسب خصوصية كل حالة، غير أن جميع هذه التفاسير تصبُّ في نهاية المطاف في بوتقة التعريف الشمولي للمعنى.

يعرّف الأستاذ «رأفت مرّة» - رئيس تحرير مجلة «فلسطين المسلمة» الصادرة في لندن - الإعلام المقاوم بأنه: «الإعلام الذي يحمل مشروع المقاومة وهويتها، ويتبنى المقاومة نهجاً أساسياً وقضية دائمة، وليست موسمية أو آنية، أي في وقت الأحداث فقط، ويتحمل النتائج المترتبة على ذلك».

ويقول الأستاذ «فتحي حماد» - رئيس مجلس إدارة شبكة «الأقصى» الإعلاميَّة -: «الإعلام المقاوم هو الإعلام الذي يدافع عن قضايا الأمة، والذي يتمسك بالثوابت الإسلاميَّة والوطنيَّة دون دعم أي مفاوضات يتم من خلالها التنازل عن هذه الحقوق».



لكنَّ الأستاذ «عبد الرحمن سلوم الرواشدي» - المشرف العام على وكالة «حق» الإخبارية العراقية - يرى «أن المصطلح الشرعي هو الإعلام الجهادي، أما الإعلام المقاوم فهو قاسم مشترك بين كل الجماعات المقاومة على اختلاف مرجعياتها الفكرية ودوافعها القتالية. ومقاومة الاحتلال هي مقصد من مقاصد تشريع الجهاد، فإن لم يقتصر على مفهوم الإعلام الجهادي فيمكن الجمع بينهما تحت مسمى إعلام المقاومة الجهادية»، ويقصد به «تزويد الجماهير بحقائق المقاومة الجهادية ومقاصدها وآثارها، ونقل الأخبار والوقائع والمعلومات المتعلقة بها بصورة صحيحة ومنضبطة وموثّقة داخل الأمة الإسلامية وخارجها؛ بقصد الإقناع والتأثير من خلال الوسائل الإعلامية، وكذلك رد الشبهات والافتراءات والشائعات التي تثار حول المقاومة للطعن فيها وفي أهلها، وتحفيز المسلمين لأدائها أو دعمها».

أما الإعلامي «مصطفى الصوّاف» - رئيس تحرير صحيفة «فلسطين» اليومية الصادرة في فلسطين - فيضيف إلى تعريفه للإعلام المقاوم بُعداً تكاملياً يركز على حشد الرأي العام، ويرى بأنه يعبّر عن مقاومة شعب ضد المحتل من خلال إستراتيجية إعلامية تعتمد على دعوة الرأي العام إلى مساندة المقاومة ودعمها والتركيز على دورها وأهميتها وتضحياتها وإنجازاتها.

▪ أهمية وجود إعلام مقاوم:

بما أن الإعلام المقاوم يُعد أداة أساسية لصدِّ العدوان؛ فأهميته تنبع من كونه وسيلة «تعريف بمشروع المقاومة وأهدافها، والدفاع عنها، والتعريف ببرامجها»؛ كما يرى الأستاذ «مرّة»، ويقول أيضاً: إنه «مهم من ناحية كشف نقاط ضعف العدو وإبراز إنجازات المقاومة وتأثيراتها على الأعداء».

ويعتقد الأستاذ «الرواشدي» أن الإعلام المقاوم هو «إحدى أهم أدوات المعركة؛ لذا يقول - عليه الصلاة والسلام -: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» أخرجه أبو داود وأحمد والنسائي.

كما يستشهد بأقوال منظّري السياسة والحرب الغربيين وسلوكياتهم؛ فـ «أنتوني سميث» يقرّ في كتابه «الجغرافية السياسية للإعلام» بأن «الإعلام هو مرتكز السيادة»،

ويؤكد ذلك «لوسيان كي تراسكوت» في مقالته في صحيفة «إنترناشيونال هيرالد تريبيون» بقوله: «إن وسائل الإعلام تحولت إلى سلاح في الحرب».

وعلى المستوى العملياتي يستشهد «الرواشدي» بتصريح النقيب «ديفيد كونيللي» مدير إدارة الشؤون الإعلامية في مقرِّ القيادة الأمريكية في الكويت إذ يقول: «ينبغي أن نعدّ الإعلام أحد مكونات منظومة سلاح يمكن أن يحقق لنا أغراضاً عسكرية من غير أن يكون مهلكاً».

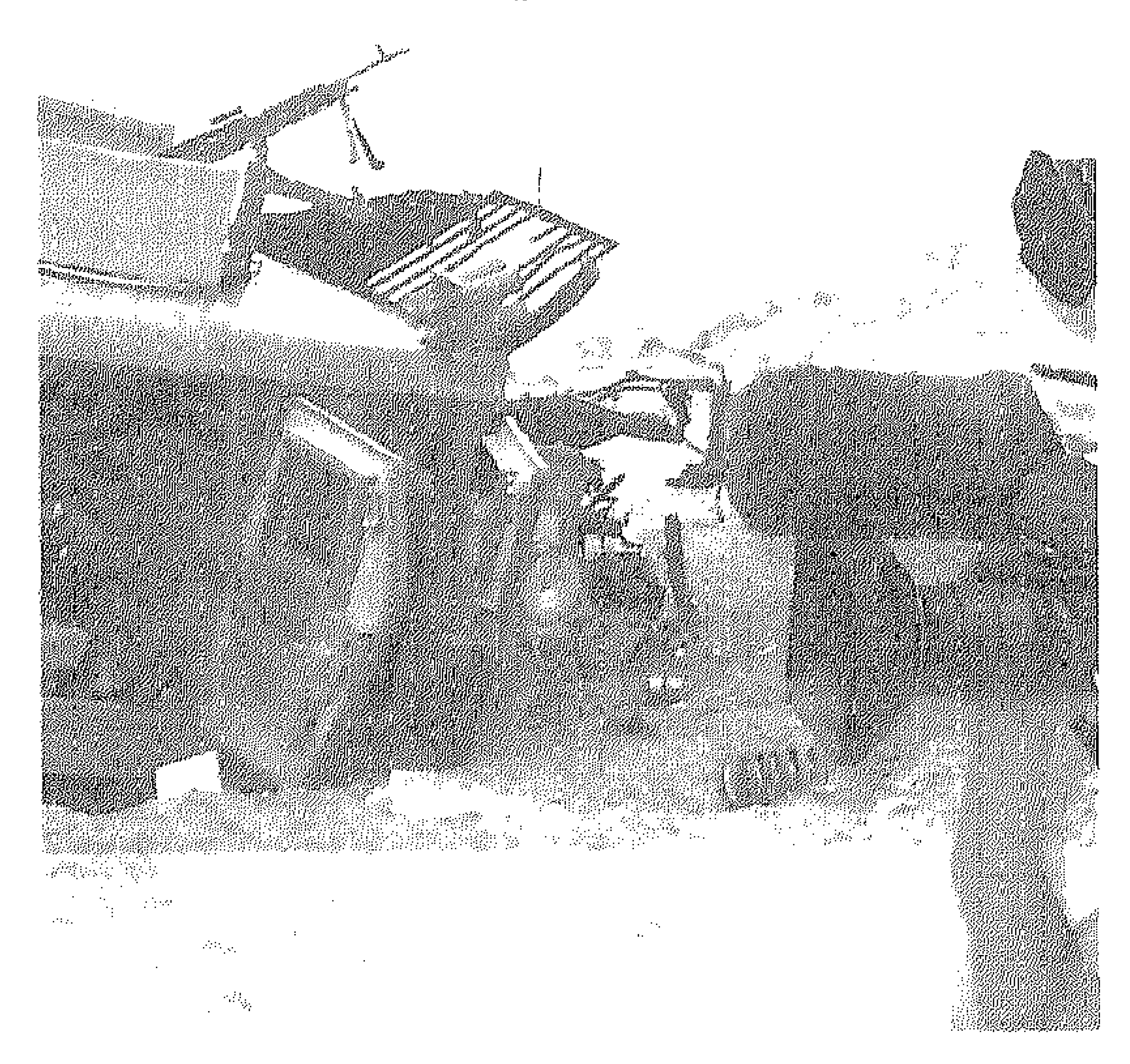
وفي هذا الإطار قرر مخططو الحرب أنه إذا لم تتم السيطرة على الإعلاميين فبالإمكان استعمالهم؛ لذا سعى الأمريكيون للسيطرة على مسيرة الحرب بالتحكم في أخبار المعارك بأسلوب مستحدث آنذاك، ضمن سياسة «بركة الأخبار» ومن ثَمَّ سياسة الإعلام المرافق، فقد سمحوا لحوالي ثلاثة آلاف من الإعلاميين الدوليين بالوجود تحت مظلتهم في الكويت وقطر بشكل خاص، من بينهم «٥٠٠» مراسل مزروعون ضمن الوحدات العسكرية في أنحاء العراق كافة. ولهذا - يضيف «الرواشدي» - فإن الضرورة تقتضي تشكيل وعي إسلامي جديد يدرك أهمية إعلام المقاومة الجهادية، وينظر إليه بوصفه سلاحاً أكثر فتكاً من القنبلة، وأنه أحد الأسلحة التي يستخدمها الأعداء وحلفاؤهم ضمن منظومة الأسلحة التي يخوضون بها حروبهم. والحملات الإعلامية - كما يقول أحد الباحثين - تسبق الحملات السياسية والعسكرية، بل إنها تشارك في صنعها، وفي بعض الأحيان يكون الإعلام هو السلاح الوحيد المستخدم في المعركة.

ويرى الأستاذ «الصوّاف» أن وجود إعلام مقاوم من الأهمية بمكان؛ نظراً إلى حالة الانبطاح السياسي والإعلامي التي يشهدها العالمان العربي والإسلامي. هذا الإعلام المقاوم كفيل بانتشال الأمة من حالة الاستسلام والخنوع؛ ليشحذ الهمم ويحشد الطاقات، ويوضح دور المقاومة مع الإرادة في تحقيق مصالح الأمة وإمكانية تحقيق انتصارات وهو ما يعزز الثقة بالنفس.

ويرى الأستاذ «فتحي حماد» أنّ أهمية الإعلام المقاوم تكمن في مقاومة التهويد على جميع المستويات: الثقافي منها والصحي والاجتماعي، والاعتقالات والاغتيالات، واغتصاب الأراضي وبناء المستوطنات، وكذلك تغيير الثقافة الفلسطينية.

ويختصر رأيه في ذلك بقوله: «الإعلام المقاوم هو إعلام مقاوم من حيث الجهاد والسياسة والصحة ومناحي الحياة كافة للدفاع عن الشعب الفلسطيني».

"اليوم أصبح المقاتل إعلامياً والإعلامي مقاتلاً"



▪ الأهداف والغايات:

لقد كان الإعلام المقاوم تاريخياً - خصوصاً في الحقبة الإسلامية - درعاً حمى حدود المسلمين، وردع المعتدين عن انتهاك حرماتهم، بل مثَّل أحياناً قوة إقناع لنشر دين الله في أرضه، من خلال مقاومته ظلم الأفكار والأديان الأخرى.

وفي هذا الإطار كان حديث المصطفى ﷺ المتفق عليه في رواية جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر...»، حيث كان التخطيط الإعلامي النبوي في غزوة تبوك بمنزلة «بثّ فضائي» سبق جيش المسلمين مسيرة شهر ليحسم المعركة؛ فيدحر الجاهلية ويحقن دماء المسلمين.

وبقدر ما يعدّ الإعلام المقاوم قوة دفاع فهو أيضاً قوة هجوم، ولا أدلَّ على ذلك من موقفَي الخليفة العباسي هارون الرشيد وولده المعتصم؛ فالأول ردَّ على ملك الروم الناكث للعهد بوسيلة الإعلام الوحيدة السائدة في القرن التاسع الميلادي، وهي بضع كلمات كُتبت على رسالة تنصُّل «نقفور» من اتفاقية الصلح والموادعة مع الرشيد، فكتب - رضي الله عنه - على ظهر رسالة «نقفور» نفسها: «من هارون الرشيد

أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم: قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة! والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام»؛ لتدفع هذه الرسالة الإعلامية شديدة اللهجة عظمة الإمبراطور إلى الإذعان.

أما المعتصم فعندما صنع من صرخة المرأة المسلمة المستغيثة به في أسر «توفيل بن ميخائيل» ملك الروم في عمورية سنة (٢٢٣هـ / ٨٣٨م) ملحمةً فداء وكرامة؛ ابتدأها أيضاً برسالة إعلامية قصيرة لكنها جامعة لمعاني معاقبة من استحلَّ الحرمات وقتل الآمنين وأسر ألف امرأة مسلمة وقطع آذان الأسرى وأنوفهم وسمل أعينهم في إحدى المدن الصغيرة على أطراف الدولة العباسية.. «من أمير المؤمنين المعتصم بالله، إلى كلب الروم: أطلق سراح المرأة، وإن لم تفعل بعثت لك جيشاً أوله عندك وآخره عندي»، ثم كان الفتح المبين لعمورية.

وحين سألنا الأستاذ «فتحي حماد» حول أميز مواصفات الإعلام المقاوم؛ أجابنا بأنَّه لا بد أن تتوفر عدة صفات لهذا الإعلام؛ كأن ينطلق من خلال العقيدة الإسلامية والإيمان الواضح والراسخ، وأن يكون محافظاً على الثوابت الفلسطينية، وعدم مجاراة كل فكر غربي صهيوني يحاول أن يستأصل شأفة الشعب الفلسطيني وارتباطه بالعمق العربي والإسلامي، وكذلك أن يكون مدرسة خاصة ليست تابعة لأي مدرسة؛ سواء كانت أمريكية أو صهيونية أو غيرهما، فالإعلام المقاوم هو إعلام ينبع من واقع الوطن ومن واقع الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية للشعب الفلسطيني.

ويرى الأستاذ «الرواشدي» أن أهداف الإعلام المقاوم المحورية تكمن في التعريف بحقيقة الرسالة وطبيعة الصراع، وتقديم صورة حقيقية وصادقة للوقائع والأحداث المتعلقة بعمل المقاومة الجهادية ومحيطها، كما أن للإعلام المقاوم هدفاً دعائياً يسعى إلى رفع معنويات المجاهدين وتعبئة مؤيديهم؛ بعرض إنجازات المقاومة الجهادية وخسائر العدو، وتصعيد الحرب النفسية ضد العدو ليؤثر ذلك في معنويات جنوده وإضعاف دعم الرأي العام له في حروبه العدوانية.

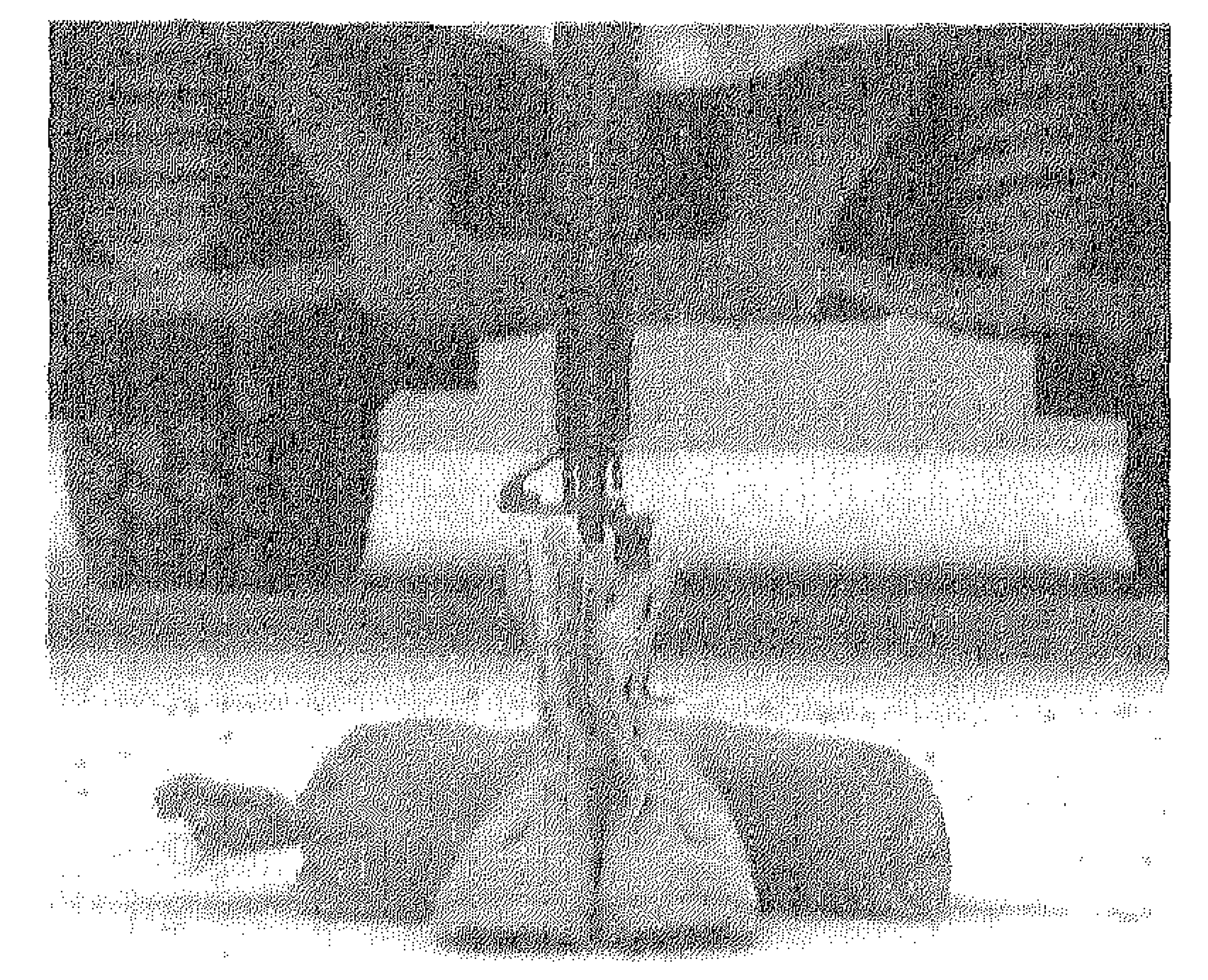
وفي حين يرى الأستاذ «مرّة» أن «الإعلام المقاوم يأتي كاملاً ضمن إستراتيجية المقاومة ولا يختلف عنها»؛ فإن «الصوّاف» يعد رسالة الإعلام المقاوم ذات شقين:

الشق الأول: موجَّه إلى الجمهور الصديق؛ بهدف تعزيز الثقة بالنفس، وحشد الطاقات لمواجهة العدو، وبيان قدرة المقاومة على تحقيق إنجازات لصالحها، والعمل على نشر فكرها.

والشق الثاني: موجَّه إلى العدو على شكل حرب نفسية ضد الرأي العام الداعم له؛ بهدف بثِّ روح الإحباط والتشكيك في قدرته على مواجهة المقاومة، ومن ثم إلحاق الهزيمة النفسية به قبل الهزيمة المادية. وهناك العديد من المعارك حقَّق فيها الإعلام نصراً قبل البندقية، وهناك شعوب ودول استسلمت دون قتال، وهذا يعود إلى قدرة الإعلام في إحداث الهزيمة النفسية، والمهزوم نفسياً لا يمكن له أن يقاوم.

على الاتجاه ذاته تسير خطى قوى المقاومة؛ فالناطق باسم لجان المقاومة الشعبية الفلسطينية «أبو مجاهد» يعتقد أن هدف العمل المقاوم هو التحرك في اتجاهين: الأول: دفاعي، والثاني: هجومي، وهذه هي رسالته وهدفه، فهو يسعى للتصدي ومجابهة الإعلام المعادي من جهة، ويتقدم ليصنع حضوره ويستقطب مؤيدي رسالته في الأنحاء كافة من جهة أخرى. والعمل المقاوم لا يملك التعبير عن ذاته وعن حقه وواجبه في العمل والوجود دون الدور الإعلامي المعبر عنه.

ويقول «أبو مجاهد»: «نحن في لجان المقاومة الشعبية وضعنا خطوطنا العريضة لرسالتنا الإعلامية على اعتبار أن الأطر الأساسية التي تعنينا هي الدفاع عن ديننا الحنيف أولاً، ثم الدفاع عن أرضنا وشعبنا وقضيتنا الفلسطينية. وكما آلينا على أنفسنا دعم وترسيخ فكر المقاومة وإرادتها وجدوى العمل المقاوم بوصفه خياراً لنيل الحقوق؛ فقد سعينا للتصدي لكل المثبطين الداعين إلى الانهزام واستجداء الأعداء في صيغة حلول تفاوضية سقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع».



■ فن صناعة الإعلام المقاوم:

لا شـــك أن صناعة الإعلام المقاوم تبدو مســـألة بحاجة إلى قـــدر كبير من التخطيط والخبـــرة والمهنية؛ لبلوغ درجة الاحتـــراف. وإرادة صناعة الإعـــلام - أي إعلام - كما يقول «الرواشـــدي» تستلزم إدراك المشـــكلة الرئيسية الماثلة، وهذا الإدراك حتى يكون علمياً وعملياً ودقيقاً لا بد له من تخطيط يستند إلى إجراءات مدروسة لتحديد المشكلة وتحرّي أسبابها وصياغـــة الحلول اللازمة لها ووســـائل إعلامها، وصولاً إلى تحقيق النجاح.

فأية خطة توضع لصناعة الإعلام لا بد أن تشـــتمل على أربعة عناصر، هي: فهـــم الواقع، وتحديد الأهداف، واختيار أنسب الوسائل، والمتابعة والتقييم.

يضيف «الرواشـــدي»: وصناعة الإعلام المقاوم تتأتّى من خلال مسلكين، الأول: الإعلام الميداني؛ وتفعيله يكون من قِبَل المقاومة وهيئاتها وأقســـامها الإعلامية، حيث يترابط العمل المقاوم بالمقاومة الإعلامية أكثـــر من أي وقت مضى؛ فاليوم أصبـــح المقاتل إعلامياً والإعلامي مقاتـــلاً، بقدر ما تمددت رقعة الميدان وســـاحة المعركة من الأرض إلى الفضائيات ثم إلى الفضاء الافتراضي على «الإنترنت».

يقـــول أحد المحللين: لا ينتصر المقاوم إن لم يكن إعلامياً فاعلاً، ولذا ينبغي أن يترســـخ في ذهـــن المجاهد الإعلامي مفهوم «البندقية المقاتلة» و «الحاســـوب المحارب». وجاء في مشـــارع الأشواق: «وينبغي للقائد أن يكتب على السهام أخبار ومعلومات تطابق ما وصل إليه من الجواسيس ويرمي بها في جيش العدو».

أما المسلك الثاني في صناعة إعلام المقاومة فهو: الإعلام الحرفي، وهذا مسؤولية الإعلاميين خارج الميدان؛ ليستثمروا ما يقدمـــه الإعلام الميداني وتوظيفه بأســـلوب مهني متنوع، ثم تقديمه للـــرأي العام دعاية لقضية الجهاد، والاســـتنفار لدعم هذه الفريضة وتوثيقها بالأفلام والتقارير والأناشـــيد الشرعية.

ويـــرى الأســـتاذ «مصطفى الصـــوّاف» أن نجاح صناعة الإعلام المقـــاوم يكمن فـــي التركيز علـــى دور المقاومة في تحقيق الإنجازات المادية والمعنوية، وطبيعة الرسالة الإعلامية الموجهـــة، بحيث تكون قوية في كلماتهـــا، وقوية في صورها، وصادقة إلى درجة كبيرة، ومراوغة وتحاول استغلال اللحظة المناسبة والمشهد المناسب لبثّ روح الهزيمة في نفوس العدو؛ لأن الكلمة أو الصورة تســـاوي في بعض الأحيان ألف قذيفة، وتحقق المرجو منها؛ خصوصاً في المعركة، وتبين للعدو صلابة المقاومة وصرامتها وصدقيتها.

أما القيادي في لجان المقاومة الشـــعبية الفلسطينية «أبو مجاهـــد»، فيأخذ بزمام صناعة الإعلام من النظرية إلى واقع أرض المعركة في فلســـطين، مؤكداً أن الإعلام هو اســـتثمار لـــدور العمل المقاوم القائم على جهـــاد وصبر وصمود وإرادة أبناء أهل فلســـطين، وهذا ما يُستشـــف من الآية القرآنية: ﴿ قَاتِلُوهُـمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُـمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْـفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤]، فخزي الأعداء وشـــفاء صدور المؤمنـــين يترتبان على العمل وإيقـــاع الألم بالأعداء. وعندما قدَّر المولى - عز وجل - لفرســـان جهازنا العســـكري «ألوية الناصر صلاح الدين» تدميرَ دبابة (المركافا) الصهيونية التي صُنعت خصيصاً لحماية طاقمها العسكري؛ فقد أصبح بإمكان الإعلام الفلســـطيني وكل من يناصره أن يصنع حرب الرعب بالقدر ذاته الذي انتصرت به الإرادة الفلسطينية على الدبابة الصهيونية، وكذا الحال في عملية أســـر الجندي الصهيوني «جلعاد شاليط» في العملية المشـــتركة بين ذراعنا العسكري «ألويـــة الناصر صلاح الـدين» و «كتائب الشـــهيد عز الدين القســـام» و «جيش الإسلام»؛ ليؤثر ذلك على نفسية الجندي الصهيوني ويحدد له احتمالاته في المعركة؛ إما أن يكون قتيلاً أو معاقاً أو أسيراً.

وتعقيباً على مقـــدار التفوق التخطيطي والتقني ما بين العدو الصهيوني والمقاومة الفلسطينية؛ فيرى «أبو مجاهد» أن العدو الصهيوني بإعلامه واســـتخباراته وأجهزة التوجيه النفســـي لديه التي تعمـــل باتجاه رفع معنوياتـــه ومحاولة النيل من نفسية الشعب الفلســـطيني والمقاوم الفلسطيني؛ سيكون الخاســـر على الأرض؛ بفضل قوة الإرادة والمعنويات والإيمان، والاستعداد للتضحية والاستشهاد رغم الإمكانيات المتواضعـــة، ويختم قائلاً: «إن العمل هو من يصنع رســـالة الإعلام وتأثيرها وليس العكس، وهذا هو صلب قناعتنا بأن العمـــل المقاوم هو الخيار والســـبيل لإحراز الانتصارات في المجالات كافة».

▪ وحدة الأمة في إعلامها المقاوم:

تظل مسألة تفرُّق الأمة وتشتُّتها في الوقت الراهن هاجساً يؤرِّق كل الغيورين على مستقبل أجيالها ومصير قضاياها المهمة. والتساؤل الذي جرى طرحه في هذا السياق يتناول العلاقة بين الإعلام المقاوم وجمع شمل الأمة نحو وحدة كلمتها وتمتين صفوفها.

ويرى الأستاذ «رأفت مرّة» الإعلام المقاوم بوصفه جسراً حقيقياً بين المقاومة والأمة؛ من خلال لغة الاتصال والتواصل وتوجيه الرسائل المختلفة ذات الأبعاد العقلية والنفسية. ويفسّر الأستاذ «الصوّاف» هذه الرؤية قائلاً: إن الإعلام المقاوم يلعب دوراً كبيراً في جمع الشمل؛ لأن مقاومة العدو قضية إستراتيجية للأمة المحتلة أراضيها، وأصدق ما يمكن الحديث عنه فلسطين، وكيف تمكَّن إعلام المقاومة من إحياء الأمة وانتشالها من الهزيمة المعنوية التي حاولت الأنظمة بثَّها في النفوس تحت وَهْم وذريعة «عدم القدرة»، فكانت صورة المقاومة في فلسطين وإنجازاتها ضد العدو دافعاً ومشجعاً لبثِّ الحياة وإعادة الروح إلى جسد الأمة وأن هزيمة العدو باتت أمراً ممكناً.

ويستدل «الصوّاف» على ذلك بمجموعات بسيطة ومحاصرة، قليلة الخبرة والتدريب، تتمكن من إحداث هزيمة للعدو أو منعه من تحقيق أهدافه، وإظهار ذلك عبر وسائل الإعلام؛ ليغذّي ذلك جسد الأمة من محيطها إلى خليجها بجرعة معنوية كبيرة تؤهِّلها للتحرك؛ ثأراً لكرامتها.

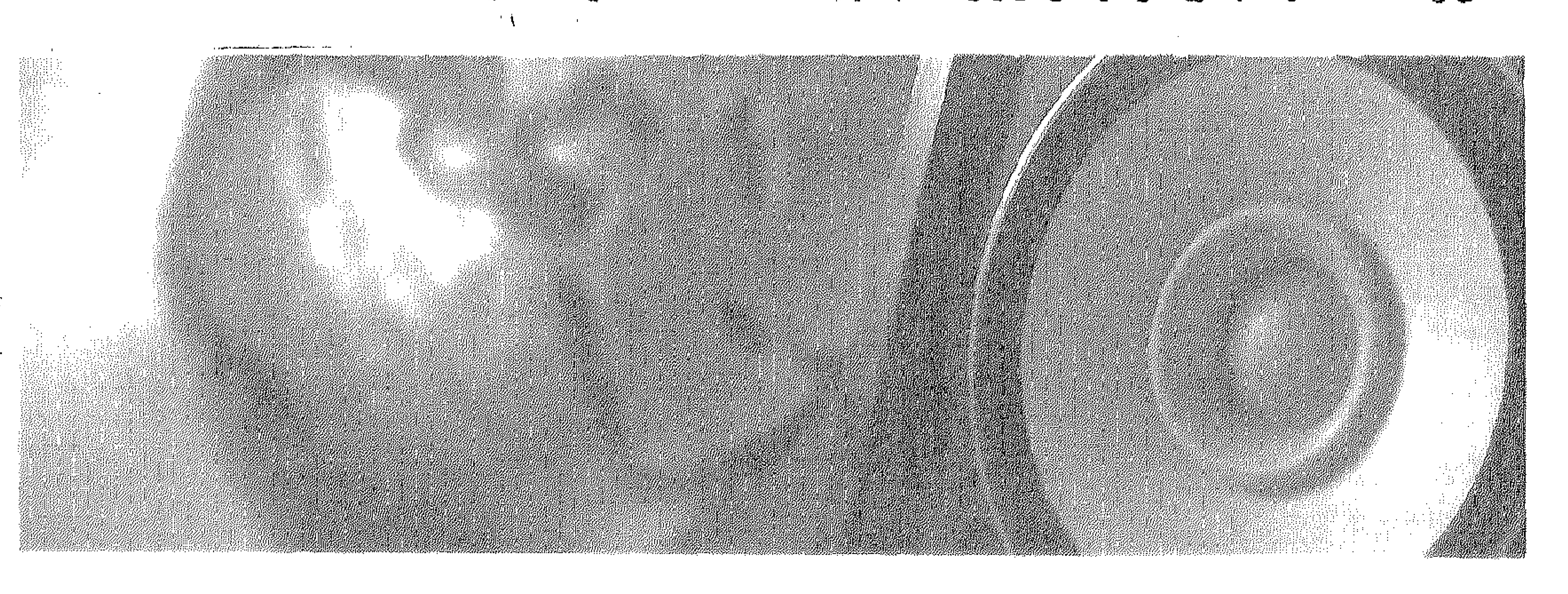
ويقول الأستاذ «فتحي حماد»: يقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فالأمة العربية والإسلامية تحمل رسالة سامية للبشرية، ولا يمكن أن يتوحد البشر إلا في ظل الإسلام؛ لذلك نسعى جاهدين لهذا الأمر، وهناك بشائر قرآنية تبشرنا بأن الأمة ستتوحد.

ويضيف الأستاذ «الرواشدي» إلى ما سبق قائلاً: إن إحياء فريضة المقاومة الجهادية وديمومتها هو الذي يبعث في الأمة الإرادة على تجاوز التحديات والشدائد وعلوِّ الكفار عليها، وأن تسمو مرة أخرى لتعود إليها الشوكة والريادة. وإعلام المقاومة يجمع بين مفهومَي الجهاد والإعلام، وهما وسيلتان ما شُرعتا إلا لتحققا مقاصد الشريعة الإسلامية المبنية على جَلْب المصالح ودَرْء المفاسد، وأعظم المصالح بعد كلمة التوحيد هي وحدة كلمة المسلمين؛ لذا يقول الله - سبحانه -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ويتابع «الرواشدي» قائلاً: إن إعلام المقاومة الجهادية يشيع روح التماسك بين أبناء الأمة ويدعوهم إلى الاعتصام بحبل الله جميعاً والدفاع عن حقوقهم الإنسانية وحرياتهم وكراماتهم.

وبالقدر ذاته الذي يدفع فيه الإعلام المقاوم الأمة نحو وحدة هدفها؛ يمكن للأمة إسناد إعلامها المقاوم وإفشال سياسات العدو ومخططاته، على اعتبار أن المعركة تستهدف كسب العقول والقلوب والمواقف، كما تستهدف كسب الأرض والخيرات والموارد والأسواق، وهو ما يعني توفر فرص المشاركة بالمقاومة الجهادية - عن بُعد - عندما يكون الجهاد في البلاد الإسلامية المحتلة غير متاح.

ويفصِّل «الرواشدي» ذلك بقوله: «عندما نعمِّم أخبار المجاهدين في بلادنا وفي العالم أجمع، باللغة العربية أو الإنكليزية أو غيرهما من اللغات؛ فإننا نساهم بالجهاد الإعلامي، ونصبح مرآة حيّة للجهاد على الأرض، وعندما



نحاجـج وندحض من يشـككون بالمقاومـة الجهادية وجوداً وعملاً؛ فإننا ندعـم المجاهدين علـى الأرض، ونمنع العدو من محاصرتهم سياسـياً وإعلامياً، ونوجد أفضل الظروف السياسية والإعلامية لاستمرار المقاومة الجهادية ودعمها.

ولا يغيب عن بال الأسـتاذ «الرواشدي» في هذا السياق استعراض بعض الصور المهمة لتعزيز وحدة الصف، من خلال ابتعـاد المجاهدين عن كل عمل يسـيء إلى الجبهة الداخلية للمجتمع الإسـلامي، وخاصة التكفير وحرمة دماء الأبرياء، وهي من المسائل التي أَوْلتها فصائل المقاومة العراقية اهتماماً متزايداً.

▪ أولويات الإعلام المقاوم:

تسـخير الإعلام المقاوم لخدمة ديـن الأمة ومصالحها يتطلـب إخضاع هذا الإعـلام لفقه الأولويـات، بحيث يتم توجيهه لإنجاز الأجندة المحددة وبلوغ الأهداف المرجوة.

وهناك العديد من الموضوعـات التي تنتظر من الإعلام المقاوم أن يطرقها أو يستمر في التأكيد عليها في هذه المرحلة من تاريخ الأمة. وفي هذا الصدد يشـير الأستاذ «الصوّاف» إلى أن إذكاء الشـعور بالتفوق علـى العدو ورفض مقولة: إن قوته لا تُقهر، ونزع الخوف والوهن من نفوس الناس، وشـحذ هممهم، وعرض إنجازات المقاومـة وانتصاراتها وبيان صور قوتها وشـجاعة أبطالها واختراقهم للحصون، وتقهقر العدو وإظهار حالة الرعب التي تصيبه جرّاء تلك المقاومة؛ كل ذلك يمثـل أهم الأولويات الراهنة؛ لدوره في بثّ روح القوة والثقة والتحدي لدى الجماهير.

ويقترح الأستاذ «الرواشدي» على الإعلام المقاوم السعي باتجاه إبـراز القضايا التـي هي محل نقاش فـي الدوائر الإعلامية؛ سـواء كان ذلك على الصعيد العام أو على صعيد البلدان المحتلة؛ كالعراق، ومن أهمها:

- البُعْد الإنساني في الرسالة التي يحملها الإعلام المقاوم «تنظيراً وتطبيقاً»، وأن يكون أنموذجاً عملياً لوصايا النبي ﷺ لقادة الفتح الإسـلامي، مع الحرص على توثيق هذه النماذج وتقديمها.

- التأكيد على أن المقاومة تحرص على أن تجعل عملياتها بعيدة عن المدنيين، وأن معظم العبوات التي تنفجر بين المدنيين هي من طرف المحتل أو من الحكومة؛ بهدف إيقاع الفتنة بين المقاومة وأهلها من المدنيين، وأن المقاومة تحتكم إلى الشـرع الإسلامي في كل عملها، وفضح ممارسات الحكومة الطائفية وقوات الاحتلال في قتل المدنيين دون الاكتراث بعدد أرواحهم المزهقة، وفضح ممارسات الاحتلال في اتخاذ مساكن المدنيين مقرات عسـكرية ودروعاً بشرية للاختباء بينهم غير مكترث لتعريض حياتهم للخطر.

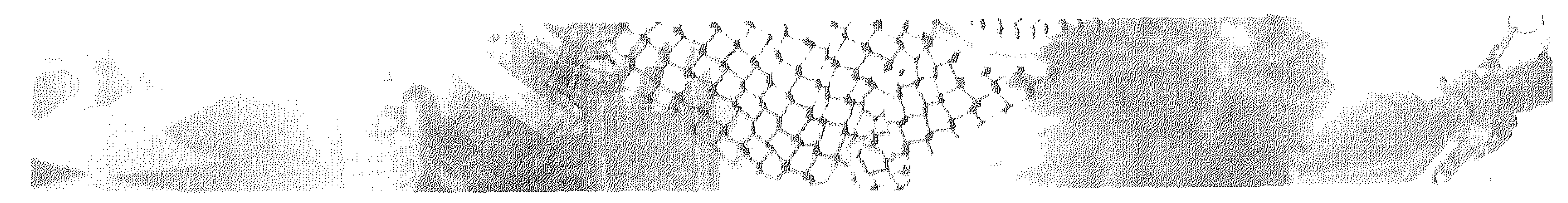
- التأكيد على أن المقاومـة هي من أبناء الأمة الخيرين المدافعين عن بلدهم والذين رفضوا وقاوموا مشـروع المحتل وتصدّوا لـه، وهم الممثلـون الحقيقيـون لإرادة الرافضين للاحتلال ومشـاريعه، وأن المقاومة لا تديـن بالولاء إلا لله، وأن أعمالها المسـلَّحة تهدف إلى تحرير البلاد من الاحتلال ومرتزقته، وبنـاء الدولة وَفْق ثوابت الأمة وقيمها وبما يحقق العدل والمساواة واحترام الحقوق.

- التأكيد على أن المحتـل الأمريكي جاء لتحقيق أهدافه وأهداف الصهاينة في قتل المسلمين وتفتيت وحدتهم ومصادر قوتهم، وتدمير العراق وتقسيمه إلى دويلات صغيرة تدخل في دوامـة حرب أهلية لا تنتهي؛ ليتمكن اليهود من تحقيق حلمهم في بناء دولتهم المأمولة من الفرات إلى النيل، وأن المحتل أدخل العراق في دوامة العنف بعد أن أسلمه إلى الميليشيات الطائفية وترك إيران تعيث في أرضه فساداً. ولو أن المحتل كان حريصاً على العراق وشـعبه وبناء دولته المستقرة؛ لاستطاع في غضون أشهر معدودات أن يدعم تشكيل نظام متوازن لقيادته.

- ضرورة تصحيح المفاهيم المضللة التي يروج لها الإعلام المضاد ضمن سياسته في الحرب الدعائية والنفسية؛ كالإساءة إلى الجهاد والمجاهدين، بل الإسـاءة إلى الرسالة الإسلامية التي بُعث بهـا النبي ﷺ، ولمز الجماعات الجهادية بافتقارها إلى البرامج السياسـية وغيـاب القيادة عنهـا. والرد على القوى الأخرى التي تسـعى لحرف المفاهيم الجهادية بالدعوة إلـى أيديولوجيتها الضالة والمنهزمة باسـمه، ومصادرتها لما حققته (المجاميع) الجهادية من نصر وتمكين وتوظيفه خدمة لأهدافها ومصالحها.

- تقـديم البدائل المناسـبة لمعالجة الوضـع بعد خروج الاحتـلال أو إعلانـه جدولة الانسـحاب، وهو مـا يبعث بالاطمئنان لأبناء العراق وجيرانه.

وإن كانت هذه الأولويات تخص الحالة العراقية أساسـاً؛ فبالإمكان الاسـتئناس بها في تناول حالات العدوان الأخرى، مع الأخذ في الحسبان خصوصية كل حالة.



■ موضوعية إعلام المقاومة:

السؤال المطروح في هذا السياق: هل يمكن وصف الإعلام المقاوم بالموضوعية في ظل اهتمامه بالتدفُّق الإعلامي في اتجاه واحد «ضد الاحتلال»؟ وهل بإمكان هذا الإعلام المواءمة ما بين الموضوعية والمصداقية والقدرة على الإقناع والتأثير؟

في إجابته عن هذا السؤال يرى الأستاذ «رأفت مرّة» أن الاحتراف والمهنية والتخصص والحقيقة والحذر من المبالغة والموضوعية؛ هي مواصفات أساسية لإعلام المقاومة. والموضوعية - هنا - تعني: الاقتراب من الحقيقة، وهي تختلف عن الحيادية، إذ لا يمكن للإعلام المقاوم إلا أن يكون منحازاً للمقاومة دون مبالغة أو مكابرة فيْ التغطية والتحليل.

أمَّا الأستاذ «فتحي حماد» فإنَّه يرى أن الموضوعية يجب أن تتسم وَفْق أهداف وغايات سامية، فالموضوعية هي أن يكون هناك حرية لكل الناس، والموضوعية لا بد أن تأتي وَفْق تعاليم الإسلام؛ لذلك يجب أن تتفق الموضوعية مع تعاليم الإسلام.

من جانبه يرى القيادي «أبو مجاهد» أنَّ عبارة (الحرب خدعة) لا تعني ضياع المصداقية لصالح تقوية حجة ومصداقية عدونا، بل في ظل الصراع الإعلامي القائم والمفتوح أمام كاميرات العالم تغدو الحقيقة والمصداقية سلاحنا الذي نتبارى على امتلاك أدلته. والفرصة التي تهيأت للمصور «طلال أبو رحمة» لالتقاط الفيلم التسجيلي لقتل الطفل محمد الدرة بدم بارد وعلى مدار دقائق عديدة، أو للمصور زكريا أبو هربيد في التقاط صورة اغتيال أسرة هدى غالية على شاطئ بحر غزة بقذيفة صهيونية، وغيرها من المشاهد التي تتكرر آلاف المرات ولم يتسنَّ لها أن تجد من يصورها؛ تدعم مصداقية الطرح الإعلامي المقاوم وموضوعيته.

ويوضح «أبو مجاهد» الفرق بين الحضور الإعلامي المتقدم في الانتفاضة الفلسطينية الحالية وبين الحضور الإعلامي في الانتفاضة الأولى والتي رغم قوة أحداثها ومدى افتراض تأثيرها الإعلامي إلا أنها لم تحظَ بمثل ما حظيت به الانتفاضة الثانية، إذ لم تتوفر القنوات الفضائية ولا المصورون في حينها.

من ناحيته؛ يعتقد الأستاذ «الرواشدي» أنه من غير المقبول أن تكون الموضوعية بتسويق مفاهيم العدو وادعاءاته في إعلامنا؛ خاصة أن وسائل العدو لم تفسح مجالاً لعرض قضيتنا من وجهة نظرنا أو القريبة منها، بل إن وسائل إعلام الغرب هي أبعد عن ذلك. وما محاربة الإدارة الأمريكية لقناة «الجزيرة» - رغم أنها لا تخضع للإدارة الأمريكية ولا للمقاومة أيضاً - إلا بسبب عرضها الحقائق بموضوعية ومهنية. قال القائد الأمريكي «كيمت» في آذار ٢٠٠٤م: «الحل الذي لديَّ هو تحويل هذه القناة - الجزيرة - إلى محطة جديدة شرعية ونزيهة وجديرة بالثقة، فالقنوات التي تظهر جنوداً أمريكيين يقتلون عن عمد نسوة وأطفالاً لا تُعد مصادر إخبارية شرعية».

يتابع «الرواشدي» قائلاً: وفي آب من العام نفسه تحدث وزير الدفاع الأمريكي آنذاك «رامسفيلد» أمام مجلس العلاقات الخارجية في شيكاغو عن قناتَي «الجزيرة» و «العربية» قائلاً: «إنهما أقنعتا شريحة واسعة من الناس أن الولايات المتحدة الأمريكية في العراق إنما هي قوة احتلال، وهذه أكذوبة واضحة، وإنهما تمكَّنتا من إقناع أناس آخرين بأن الجنود الأمريكيين يقتلون المدنيين الأبرياء بصورة عشوائية، وهذه أكذوبة أخرى»، ولم يشفع لهاتين القناتين استضافة أطراف الحدث جميعاً؛ خاصة الجزيرة التي تبنَّت سياسة الرأي والرأي الآخر.

ولم يغفل «الرواشدي» التأكيد على أن الإعلام المقاوم هو جزء من الإعلام الإسلامي الذي يعالج مرحلة تمر بها الأمة، وهي القتال في سبيل الله تعالى، وهذا يملي عليه سياسات إعلامية تتوافق وطبيعة المرحلة وخطورتها، ولا ضيرَ في إمكانية التوسع وإفساح المجال أمام الرأي الآخر. ومن ناحية أخرى؛ فإن موضوعية إعلام المقاومة تحتم عليه الوقوف على أخطاء الفعل المقاوم، وتحليل أسبابها وتداعياتها وكيفية تجاوزها بما يحفظ مشروع المقاومة، ومن يتدبَّر القرآن الكريم وخاصة آيات القتال، ويطالع السنة النبوية خاصة الغزوات؛ يجد شواهد كثيرة على ذلك.

▪ النهج الإستراتيجي للإعلام المقاوم:

يتحتم على إعلام المقاومة انتهاج إستراتيجية واضحة المعالم ينظر من خلالها إلى الأحداث بهدف تقييمها ومعالجتها. ويختصر الأستاذ «رأفت مرّة» أهم معالم هذه الاستراتيجية بـ: المصداقية في النقل، والعمق في التحليل، ونشر المعلومات الحقيقية.

ويعد الأستاذ «الرواشدي» المبدئية والواقعية والفاعلية والوضوح والاستمرارية ركائز متينة يعتمدها الإعلام المقاوم في رسالته الإعلامية، أي: أنه يجمع بين الشرعية في المنهج، والمعاصرة والتطور في الوسائل والأساليب، والتكامل في الرؤية والتشخيص والعلاج. كما تقتضي الحاجة أن لا يغلب الجانب العاطفي والانفعالي في تحليل إعلام المقاومة رغم أهميته في التعبئة؛ فديمومة العمل وتواصله يقوم على البعد الموضوعي، وعمق التحليل، ودقة التشخيص، والترابط المنطقي وَفْق سنن الله - تعالى - في الأفراد والجماعات، واعتماد الحقائق الموثقة والإحصائيات المدققة، فكلها عوامل تقوي العمل الإعلامي المقاوم.

ومن الجدير ذكره - كما يؤكد «الرواشدي» - أن يكون إعلام المقاومة مبادراً في مواقفه متجدداً في مادته، وأن يتجاوز مرحلة ردود الأفعال والتفكير في: ماذا يفعل الآخرون لنا أو ضدنا؛ إلى مرحلة الإعلام المبادر؛ بحيث يجعل العدو ووسائله الإعلامية تحتار في الرد وكيفية صدّ هذه الأفكار المتجددة.

ويزيد «الرواشدي» القضية جلاء فيقول: ومن الأهمية بمكان أن يبقى إعلام المقاومة تواصلياً مع الحدث والجمهور، وأن يتجنب الاستعلاء والاستغناء والاستعداء، مع الاحتفاظ بالعزّة التي هي لله ولرسوله وللمؤمنين، وبالتميز من غير انغلاق يؤدي إلى الانعزالية، وعليه أن يلمَّ بطبيعة الساحة التي يعمل فيها؛ حتى لا يكون غريباً عن واقعها فيخطئ تشخيص الأحداث ومعالجة آثارها.

ومع تعدُّد التحديات وتكالب الخصوم؛ فعلى إعلام المقاومة أن يوظف التعريض والتلميح والخطاب غير المباشر ليصلح الناس من غير إحراج، وليتجنب الآثار التي يولدها التصريح خاصة مع أبناء جلدتنا من النفور والفجور، فقد كانت الحدود الشرعية تدفع في ساحات القتال خشية أن يفرَّ أصحابها إلى العدو. وهذا يستدعي أن يستثمر إعلام المقاومة طاقات الأمة وإمكاناتها كافة، وأن يوظف الكفاءات والخبرات جميعاً، كل في مجال عمله؛ ما دامت ضمن الولاء العام للإسلام، والعزيمة الصادقة في نصرة قضايا الأمة؛ فمعركة الأمة أوسع من حصر العمل الإعلامي المقاوم في دوائر ضيقة.

> **"الإعلام المقاوم قاسم مشترك بين كل الجماعات المقاومة على اختلاف مرجعياتها الفكرية ودوافعها القتالية"**

ويرى الأستاذ «الصوّاف» من ناحيته أن من أهم مرتكزات إستراتيجية الإعلام المقاوم: التقييم الموضوعي للعدو دون مبالغة أو تهوين، ووضع الأمور في نصابها، والبحث عن مواطن الخلل في النظام الاجتماعي له، ودراسة سيكولوجية سكانه، والتركيز على مواطن الضعف واستغلالها بما يخدم مصلحة الإعلام المقاوم، ويمكِّنه من توصيل رسالته بأسرع وقت ممكن وبأقل التكاليف الزمنية والمادية، وكذلك القدرة على التغلغل والوصول إلى الرأي العام المتعلق بالعدو وفهم الأساليب المؤثرة فيه؛ حتى يتم صياغة الرسالة الإعلامية المناسبة والعمل على متابعة ردود الأفعال لتعديل السلوك من قِبَل الإعلام المقاوم.

أما القيادي «أبو مجاهد» فيؤكد على وجود مدرستين إعلاميتين؛ ترتكز الأولى على جرائم عدونا والجوانب المأساوية لفواجع شعبنا ومعاناته اليومية، ويتبنَّى إستراتيجيتها أصحابُ النهج التفاوضي واستدرار تعاطف الرأي العام، وهو الأمر الذي قد يعود سلباً على غرس فكر المقاومة والتحدي في أذهان الناس حين يقوم ذلك الإعلام بالتركيز على مواطن جراح شعبنا ويهمل كل مواطن قوته وتأثيره وإيلامه للعدو حتى يصل به الأمر إلى تسخيف المقاومة ووسائلها. أما المدرسة الثانية فإنها تتعالى على الجراح وتستلهم من صبر

شـــعبنا وإرادته وبإمكانياته المتواضعة قوة التحدي والمواجهة، فتبرز العمل المقاوم وإرادة المقاومة وصمود الشعب واستعداده للتضحيات.

▪ تأثيـر الإعلام المقـاوم على الـرأي العام العالمي:

يسعى الإعلام المقاوم بشكل حثيث من أجل ترسيخ مكانته الإعلامية؛ بغيةَ الوصول إلى تأثير منشود في اتجاهات الرأي العام العالمي.

ومع احتدام النزاع مع قوى العدوان يبقى الســؤال الأكثر إلحاحاً: هل نجـــح الإعلام المقاوم في توصيل رســـالته إلى الغرب والناطقين بغير العربيـــة؛ أملاً في التأثير على الرأي العام الدولي لخدمة قضايا الأمة؟

أجاب عن هذا الســـؤال الأســـتاذ «فتحـــي حماد» حيث جـــزم - بقوة - بنجاح الإعلام المقاوم في فلســـطين بإيصال رســـالته إلى العدو الأمريكي والصهيوني، فقد اعترف العدو الصهيوني بهزيمته أمام الإعلامي الحمساوي - على حدٍّ قول الأستاذ «فتحي حماد» - وذلك في نقطتين، هما:

١ - أننـــا تغلبنا عليه في اســـتنهاض العالم الإســـلامي واســـتنفاره عن طريـــق الحملات الإعلامية التـــي أدت إلى الخروج في المســـيرات والمهرجانات والاعتصامات التي عمَّت جميع الدول العربية والإسلامية والأوروبية.

٢ - كذلـــك في تغطية معركـــة المحرقة التي حصلت في شـــمال قطاع غزة حيث اعترف العـــدو الصهيوني بالهزيمة أمام إعلام حماس، فقد اســـتطاع إعلام حماس أن يســـتغل المحرقـــة لصالحه، وكانـــت التغطية الإعلامية الحمســـاوية تغطية ناجحة.

ويعتقد الأســـتاذ «الصوّاف» أن إعلام المقاومة نجح على الأقـــل في التأثير على الواقـــع القريب ذي الصلة، أما الرأي العام العالمي وبعد خلط المفاهيم وعدّ المقاومة إرهاباً؛ بات من الصعب تغييره خصوصاً أنه في الأســـاس معادٍ ومنحاز، لكن يمكـــن التأثير فيه إلى حدٍّ ما؛ ليكون حيادياً على أقل تقدير، أو مؤيداً من خلال التذكير بأن المقاومة ليست من أجل القتل، بل لاسترداد الحق وبقصد الدفاع عن النفس المقرّ دولياً.

ولا يبتعـــد الأســـتاذ «الرواشـــدي» كثيراً عمـــا يطرحه «الصوّاف»؛ إذ يعدّ تغيير قناعات الغرب ليس بالمهمة السهلة،



إذ فشلت وسائل الإعلام العربية على سعتها وتساهلها وتبعيتها للغرب في تحسين صورة العربي في الأوساط الغربية؛ فكيف بالمســـلم المجاهد؟ كما أن محدودية وســـائل إعلام المقاومة، وانعدام امتلاكها للوسائل الجماهيرية - مؤخراً أطلقت حركة «حماس» قناة «الأقصى» الفضائية - ساهم في إضعاف هذا الجانب، مُضافـــاً إليه افتقار فصائـــل المقاومة للغة خطاب موجهة إلـــى الغرب، مع تقديرنا - كمـــا يقول - للمحاولات الجادة لحركـــة «حماس» في تجاوز ذلـــك، علماً أن المقاومة تخضع لحصار إعلامي شـــديد فرضته السياسة الأمريكية والأنظمة المنقادة لها.

ولا يغضُّ «الرواشدي» الطرف عن اغتنام فصائل المقاومة لهامش الحرية البســـيط من خلال بعض القنوات الفضائية غيـــر الرســـمية؛ ليكون لذلـــك دور في التأثيـــر على الرأي العام العالمي. ويستشـــهد بحادثة مقتل الطفل الفلســـطيني محمد الدرة الذي شـــكلت صورته مع رسائل فصائل المقاومة الفلسطينية وخاصة «حماس»؛ رسالة موجهة إلى الرأي العام؛ قلبت موازينه وجعلت الغربيين يصوتون في اســـتطلاع للرأي قبل ســـنوات بأن الكيان الصهيوني يمثِّل المشـــكلة الأولى في أزمة صراع الشرق الأوســـط. كما أثبتت الأفلام التسجيلية للمقاومـــة الشيشـــانية حضوراً لهـــا في الســـاحة العربية والإسلامية. وفي العراق قطعت فصائل المقاومة شوطاً طيباً في الترويج الإعلامي لها، واستطاعت أن تعوِّض افتقارها إلى الوسائل الجماهيرية بوســـائل عصرية وفي مقدمتها مواقع شـــبكة «الإنترنت»؛ إذ لدى أغلبها مواقع رســـمية، ومنها ما يحوي قسماً باللغة الإنكليزية، كما نجد موقعاً بعنوان (قنَّاص

بغداد) يقدم خدماته بتسع لغات حيّة، فضلاً عن إصدار هذه الفصائل ما يزيد على (٧٠) إصداراً مرئياً.

وقد أقرّت جهات عدة - كما يضيف «الرواشدي» - بالتفوق الإعلامي للجماعات الجهادية في العراق وتأثيرها في الرأي العام الغربي، منها: مجموعة الأزمات الدوليّة (ICG) في تقرير لها عمّا أسمته «التمرد العراقي»، وذلك في ٢٠٠٦/٢/١٥م بعنوان «من حديثهم الخاص: قراءة في التمرد العراقي»، ويحمل الرقم (٥) في قسم الشرق الأوسط. ويوضح التقرير أن مواقع «الويب» و «الدردشة» على الإنترنت وأشرطة الفيديو والبيانات والإعلانات؛ لعبت دوراً كبيراً في الربط بين مجموعات المتمردين وشبكاتهم وبين المتعاطفين معهم والمؤيدين لهم، وأنه في السنتين الماضيتين زاد تأثير مثل هذه الوسائل وتم استخدامها بشكل ذكي من قِبَلهم. ويستنتج التقرير أن ما أسماه بـ «التمرد» خاضع لهيمنة بعض المجموعات الكبيرة وإدارتها عبر طرق معقدة، فهو لم يعد بعد الآن ظاهرة فوضوية عصبية مبعثرة؛ فالمجموعات منظمة بشكل جيد؛ وتصدر منشورات منتظمة، وتتفاعل بشكل سريع مع الأحداث السياسية، ولديها مركزية مدهشة للغاية، وقد حصل منذ مدة تقارب تدريجي ومنسّق بين هذه المجموعات، وأصبحت تعتمد على تكتيكات ووسائل شبه موحدة، وتغلب الهوية السنية على هذه المجموعات كلها بعد أن كانت منقسمة قبل ذلك في عملها وأيديولوجيتها، وقد أوصلتها المناقشات والمناظرات التي جرت بينها إلى رؤية مشتركة تقوم على التشريع الإسلامي والاستجابة لمظالم العراقيين وشكاويهم.

ويخلص «الرواشدي» في هذا المجال إلى القول: إن تصاعد الرفض الشعبي وحتى الرسمي في الغرب للحرب في العراق واتساع دائرة المطالبين بسحب القوات الأمريكية وتداعيات ذلك في انتخابات الكونجرس الأمريكي والانتخابات الرئاسية؛ كل ذلك له مؤشرات على أن إعلام المقاومة استطاع أن ينجح ولو جزئياً بالنفاذ إلى الشعوب الغربية عامة والأمريكية خاصة، وأن يؤثر في الرأي العام هناك.

ويعزز الأستاذ «رأفت مرّة» هذا الاتجاه بقوله: «صحيح أن المقاومة لا تمتلك وسائل إعلامية ناطقة بلغات العالم الأساسية؛ إلا أن ثورة الاتصالات والمعلومات ساعدتها في التعريف بأهدافها وبرامجها ومواقفها في كل العالم». وهذا ما ذهب إليه الأستاذ «الصوّاف» أيضاً، حيث بيّن أن الإعلام المقاوم نجح في توصيل رسالته إلى الغرب إلى حدٍّ ما، وحرك العديد من المواقف في الشارع الغربي من خلال عرض صور حقيقية ومباشرة لجرائم العدو وإرهابه.

ويتبنى القيادي «أبو مجاهد» الرأي ذاته، مع التأكيد على أن الرسالة الوطنية والإعلامية الموجهة إلى الرأي العام ليست الاستجداء، لكنها رسالة تثبيت للحقوق والإبقاء على جذوة القضية الفلسطينية حيّة، حتى تتواءم ظروف التحرير.

■ فلسفة بث الصورة:

يُجمِع أصحاب الإعلام والرأي على أن المزاج العام يتأثر بمشهد الحدث وصورته أكثر من تأثُّره بسماع تفاصيله، والصورة - كما يقول الأستاذ «رأفت مرّة» - مهمة جداً في التعبير والتأثير، وهي شاهد على الحدث، وأداة للمصداقية، ودليل يمكن البناء عليه في مسائل نقل الحقيقة أو التعبير عن موقف؛ فصورة جندي صهيوني يبكي بعد عملية للمقاومة لها دلالات كبيرة وهامة.

ويقول الأستاذ «فتحي حماد»: من المؤكد أن للصورة تأثيراً كبيراً، فقد أصبحت الفضائيات ضيفاً دائماً في البيوت؛ لهذا نحاول أن نطور في تأثير الصورة حتى يكون لها أشكال متعددة، مثل: التأثير بالفاصل و (السكتش) والأنشودة والتمثيل والتقرير، وبفضل الله خلال أقل من عامين استطعنا أن نسجل نجاحات كبيرة في هذا الإطار.

ويتفق السيد «أبو مجاهد» مع وجهة النظر السابقة، عادّاً كلَّ صورة يتم التقاطها من ميادين الأحداث سواء كان بأيدي صحفيين مهنيين أو بأيدي متطوعين فدائيين؛ سندَ إثبات لحقيقة مهمة وورقة رابحة في مسيرة التقدم والانتصار على أكاذيب العدو وإعلامه. وكم تجلّت كذبة حقوق الإنسان وادِّعاء الإنسانية عندما تسرَّبت الصور الخارجة من سجن

> ”صحيح أن المقاومة لا تمتلك وسائل إعلامية ناطقة بلغات العالم الأساسية؛ إلا أن ثورة الاتصالات والمعلومات ساعدتها في التعريف بأهدافها وبرامجها ومواقفها في كل العالم“

أبي غريب العراقي بأبشـع الأسـاليب الحيوانية في امتهان إنسانية الإنسان حين عرضت حال الأسرى العراقيين.

▪ إنجازات ومكاسب:

رغم ضعف الإمكانات، وضيق مسـاحات التحرك، وثقل الحصار الإعلامي؛ إلا أن لإعلام المقاومة إنجازات وانتصارات ومكاسـب. ويذكر الأستاذ «رأفت مرّة» بعض هذه الإنجازات، وتتمثل في: التعريف بالمقاومة ومشروعها ورموزها وقيادتها، ونقل وجهة نظرها وشـرح رأيها، وإظهار نقاط ضعف العدو والخلل السياسي والأمني والاقتصادي والاجتماعي في بنيته، ثم تعبئة المجتمع ثقافياً ونفسياً مع مشروع المقاومة.

ويستدل الأستاذ «الرواشدي» بالحالة العراقية مرة أخرى لبيان جملة من الإنجازات:

أولها: التأثر الواسع للجمهور برسالة المقاومة والأدلة على ذلك:

- تزايد تأييد الـرأي العام للمقاومة في العراق وحرص الكثير على متابعـة أخبار المقاومة وتبنّـي مواقفها، وتعبئة الجماهير لها على مدى السنوات القليلة الماضية.

- إقرار قادة البيت الأبيض بارتكابهم آلاف الأخطاء في العـراق، وإقرار وزير الدفاع بتفوق إعلام المقاومة على إعلام الحرب الأمريكي.

- عدّ المقاومـة في العراق حقاً مشـروعاً كما جاء في البيان الختامي لمؤتمر الوفاق الوطني الذي تم برعاية جامعة الدول العربية، رغم عدم مشاركة ممثلين عن المقاومة.

- تغير لغة خطاب القيادات الأمريكية والحكومة الموالية لها، فقد كانت في السابق تطلق على المقاومة صفة الإرهـاب أو التمـرد دون اسـتثناء، ثم بدأت تسـميها بـ (المجاميع المسلّحة).

ثانيها: اسـتطاعت هذه (المجاميع) أن تفرض نفسها على السـاحة العراقية، عسـكرياً، وسياسـياً، وإعلامياً، وشعبياً، والدليل على ذلك:

- تسـابق قادة الإدارة الأمريكية وخاصة سـفيرها في بغداد وكذلك «جلال الطالبانـي» و «نوري المالكي» و «موفق الربيعي» في الإعلان عـن لقائهم ببعض (المجاميع)، وكأنهم يحرصون على كسـب رضى الرأي العـام المتنامي في تأييده للمقاومة.

- الإقرار بأن أي مشـروع سياسي أو وطني لا يكتب له النجاح إلا بموافقة المقاومـة أو حضورها فيه، كما أقر ذلك المنسقون للمؤتمر الثاني للوفاق الوطني وكذلك لجان مشروع المصالحة الوطنية.

- الحضـور المتزايد لقادة المقاومة في وسـائل الإعلام، والتحليـلات والتقارير الإخبارية عـن المقاومة وحرص هذه القنـوات على الاتصال بالناطق الرسـمي أو الإعلامي لتلك الفصائـل. يقول أحد المحللين العراقيـين عن المقاومة: «هي لا تملك اليوم جيشـاً منظماً من المقاتلين وحسب، بل ذراعاً إلكترونية ضارية أيضاً، برهنت على أن في وسـعها اختراق الحصار الإعلامي المضروب، بل إن نشـرات الأخبار في أهم المحطات الفضائيـة العربية والعالمية صارت تعتمد بشـكل مكثف على الأنباء السـاخنة التي تنشرها المقاومة في مواقع متعددة على الشبكة».

- إقرار الكثيرين بنضوج العمل العسكري والقوة السياسية والتقدم الإعلامي للمقاومة.

- التزايد المسـتمر لزوار مواقع المقاومـة ومتصفّحيها، وكثرة الردود والرسائل التي تصل إليها.

- اسـتطاعت المقاومة أن تجد لها رموزاً حظيت بالتأييد الجماهيري، مثل: قنّاص بغداد.

ثالثهـا: إن تأثير الاسـتجابة يتفـاوت من مجموعة إلى أخرى:

لـذا من الضروري على المؤسسـات الإعلاميـة التابعة للفصائل المقاومة أن تحرص على استقبال الاستجابات، أي: ردود الأفعال من قِبَل الجمهور المسـتقبل للرسالة الإعلامية؛ لمعرفة مـدى تأثير وسـائل الإعلام وقدرتها علـى الإقناع والتغيير؛ بحيث تستخدم هذه المعرفة مقياساً لتحديد التقدم الذي أحرزته، وتحديد النقاط السـلبية التي حالت دون أداء الرسالة الإعلامية لمهمتها؛ كما يقول «الرواشدي».

ويتخذ الأسـتاذ «الصـوّاف» من عملية أسـر المقاومة الفلسـطينية للجنـدي الصهيوني «جلعاد شـاليط» إنجازاً اسـتثمره الإعلام المقاوم ليشـير إلى مواطن القوة رغم قلة الإمكانات، ويمنح الشعوب العربية والإسلامية شحنة معنوية قوية أيقظتها من حالة الخداع والوهم التي رسختها ممارسات الأنظمة الحاكمة ضدها.

أمّا الأستاذ «فتحي حماد» فيقول: الإعلام المقاوم أصبح مدرسـة جديدة يتدخل في كل شـيء؛ فـي الثقافة والبناء

المقاوم للغزو الفكري والاقتصادي والسياسي. استطعنا في عدة محطات أن نصل إلى تأثير كبير حينما قامت فضائية (الأقصى) بقيادة النهضة والهبَّة الجماهيرية العربية والإسلامية والعالمية، ونستطيع أن نقول: إننا سجَّلنا في هذا الإطار نجاحات كبيرة عندما تصبح فضائيتنا تستنهض الأمة بأكملها، ولدينا خطط قادمة للتأثير والتطوير، وتسجيل نقاط إيجابية في هذا المجال؛ حتى نصل إلى درجة الانتفاضة الإسلامية الكبرى؛ ومن ثم يكون هناك ثورة على التأثير الأمريكي أو الغزو الأمريكي - الصهيوني.

"إظهار البعد الإنساني للصورة المعبِّرة لحجم الجرائم التي تفتك بالمسلمين كفيل بإيجاد حالة تعاطف شديد، قد تتطور لتغدو ثورة ينفجر بركانها في وجه قوى العدوان"

▪ صناعة المصطلحات:

يعتقد الأستاذ «مصطفى الصوّاف» أن الإعلام المقاوم قد نجح في إعادة صياغة المصطلحات بما يتوافق والرسالة الجهادية المقاومة للعدوان، ويتضح ذلك - كما يقول - من خلال تفاعل الرأي العام في الدول الإسلامية وتبنِّيه مواقف الإعلام المقاوم، الذي استطاع - رغم كثافة الضباب الإعلامي المضاد - ربط القضية ببُعْدها العربي والإسلامي وإعادتها إلى حضنها الحقيقي والطبيعي، بعد كل محاولات اختصارها في قضية صراع فلسطيني - صهيوني.

ويعدّ الأستاذ «الرواشدي» حرب المصطلحات امتداداً للحرب النفسية، كما أن المصطلحات تلعب دوراً مهماً في رسم السياسات وافتعال الأزمات، فنجد مصطلحاً واحداً له تداعيات وآثار تؤدي إلى حروب دولية وصراعات حضارية، وسيطرة الغرب على وسائل الإعلام مكَّنت هذا المصطلح من اعتماد سياسة التلاعب الاصطلاحي الذي يساهم في تغييب الحقيقة، ويوجد مساحة من الغموض تفيده في تمرير أهدافه، وهذا يفرض التبعية الإعلامية له والتي لم يتم الكشف عنها إلا بشكل محدود، ومن ذلك: مصطلح «الإرهاب».

لقد وظف العدو الأمريكي - كما يقول «الرواشدي» - كل طاقاته في الحرب؛ بدءاً من أسلحته المتطورة وأمواله الطائلة وآلته الإعلامية الدعائية الضخمة، وأجبر وسائل الإعلام الأخرى على السير في ركب مخططه الدعائي، ودَأَبَ على تشويه صورة المقاومة الجهادية في أذهان الرأي العام المحلي والعالمي؛ من خلال التلفيق والدعاية الكاذبة واعتماد مصطلحات في إعلامه وإعلام من يواليه حتى أصبح من الصعب تجاوزها من قِبَل المؤسسات السياسية والإعلامية حتى المناهضة للاحتلال، مثل: مصطلحات (الإرهاب، المقاتلين الأجانب، التحرير، الديمقراطية، الفوضى الخلاقة، العنف الطائفي). كما وظف العدو الأمريكي مفهوم الكلام المزدوج للتضليل والتشويه بشكل لا يثير الانتباه، مثل: (التحرير بديلاً عن الاحتلال، والإرهاب بديلاً عن المقاومة، والتطهير العرقي بديلاً عن عمليات الإبادة البشرية، ومصطلح الإسناد الجوي بديلاً عن القصف، والضرر غير المباشر بديلاً عن قتل الأبرياء.. وهكذا).

ويذكّر «الرواشدي» بالنهج الأمريكي في الحرب النفسية تجاه فصائل المقاومة، والذي يكون من خلال: التضييق الإعلامي عليها، واتهامها بمناهضة الحرية، وأنها جماعات استبدادية قمعية، وحركات دينية راديكالية (تشبيه ذهني بالقرون الوسطى)، وهي منعزلة عن العالم، وخارجة عن الشرعية الدولية، وأخيراً إرهابية تستهدف قتل المدنيين بالتفجير والذبح والعنف الطائفي، وتعادي الديمقراطية وتصادر الحريات.

ومن تداعيات حرب المصطلحات - كما يقول «الرواشدي» - انحسار المفاهيم الإسلامية؛ فعلى سبيل المثال: نجد أغلب وسائلنا الإعلامية لا تتداول لفظة (مجاميع جهادية) أو (الجهاد في العراق)؛ هذا في وسائلنا؛ فكيف الحال في وسائل الإعلام الأخرى؟! وقد تلجأ بعض الفصائل إلى تداول مصطلح «المقاومة» وإدراجه في اسمها؛ من باب أنه لا مُشَاحَّة في الاصطلاح، ولدفع ما يمكن دفعه في المعركة، وأن تعدد الواجهات يربك العدو ويعطي المجاهدين مساحة أوسع للعمل، ومع ذلك لا بد لوسائل الإعلام من أن تروّج للمصطلحات الشرعية وتتجنب تبعية ذلك بنسبتها إلى مصدر تلك (المجاميع).

ورغم ذلك كله يعتقد الأستاذ «الرواشدي» أن إعلام

المقاومة استطاع إلى حدٍّ ما أن يعيد التوازن في حرب المصطلحات؛ بترسيخ المفاهيم الواقعية لها وخاصة مفهومَي الاحتلال والمقاومة المشروعة؛ سواء كان ذلك على المستوى الجماهيري أو الإعلامي أو الرسمي، فنجد اليوم دولاً كثيرة تسعى إلى اللقاء بفصائل المقاومة وترفض تغييبها عن المشهد العراقي، بل استطاع إعلام المقاومة أن يرسخ أسماء الجماعات الجهادية بعد أن كانت محظورة في وسائل الإعلام.

ويؤكد الأستاذ «فتحي حماد» أنَّهم - بوصفهم إعلاماً مقاوماً عبر قناة (الأقصى) - يساهمون في جزئيات كبيرة جداً في التغيير الذي يحدث الآن عن طريق الصحوة الإسلامية في المصطلحات والأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكل شيء.

ويضيف الأستاذ «فتحي»: نحن نساهم بقدر كبير في عملية التغيير؛ عن طريق الإعلام، وعن طريق إعادة صياغة العقلية العربية، وأن نتبنى الفكر الإسلامي المتقدم والقوي والذي يحاول أن يتخلص من الهزيمة التي ضربت العرب والمسلمين، وقد تقدمنا في هذا الاتجاه ولله الحمد، وبفضل الله - سبحانه وتعالى - أصبحت المصطلحات الإعلامية الإسلامية التي تبثُّها فضائية (الأقصى) مصطلحات عالمية.

▪ معوقات وعراقيل:

كثيرة هي المعوقات والعراقيل التي تعترض سبيل الوسائل الإعلامية المقاومة؛ لتحول بينها وبين بلوغ أهدافها ومراميها. ويُجمِل الأستاذ «الصوّاف» هذه المعوقات في: تصدي أجهزة الإعلام الدولية الكبرى للوسائل الإعلامية المقاومة، وكذلك مواقف القوى الكبرى كأمريكا التي تمتلك السيطرة على أجهزة الاتصالات الدولية عبر القوة وفرض أساليب القرصنة والضغط على دول العالم المالكة للتقنيات بضرورة التصدي لإعلام المقاومة وحرمانه فرصة إيصال رسالته الإعلامية. كما أن استهداف العدو لطاقات الإعلام المقاوم وإمكاناته وتهديداته المستمرة بقصف مقراته وتدميرها تُعد من أكبر المعيقات، هذا إلى جانب ممارسات أنظمة الحكم الاستبدادية ضد الإعلام الحرّ والمقاوم ومحاولات إيقاف بثّه أو منعه.

ويقول الأستاذ «فتحي حماد»: هناك عدة عقبات تواجه الإعلام المقاوم؛ كالعدو الأمريكي والعدو الصهيوني وما يتبعهما من المنافقين الذين يلبسون ثوب العروبة والإسلام؛ لأن هناك قطباً واحداً في العالم هو أمريكا، وأمريكا تريد أن تركّع كل العالم لها، وأن تنهب ثرواته، وأن تطبق ديمقراطية على مزاجها وحسب ما ترتئيه وَفْق مصالحها الخاصة، ومن ثم نحن نجد أن من يعيق الإعلام المقاوم هو أمريكا ومن على شاكلتها، وهناك أيضاً عوائق اقتصادية وفنية وقليل من الحرية التي يتمتع بها الإعلام المقاوم، وكثرة التهديدات التي تُرسل إلينا من أمريكا والعدو الصهيوني ومن نافق لهما.

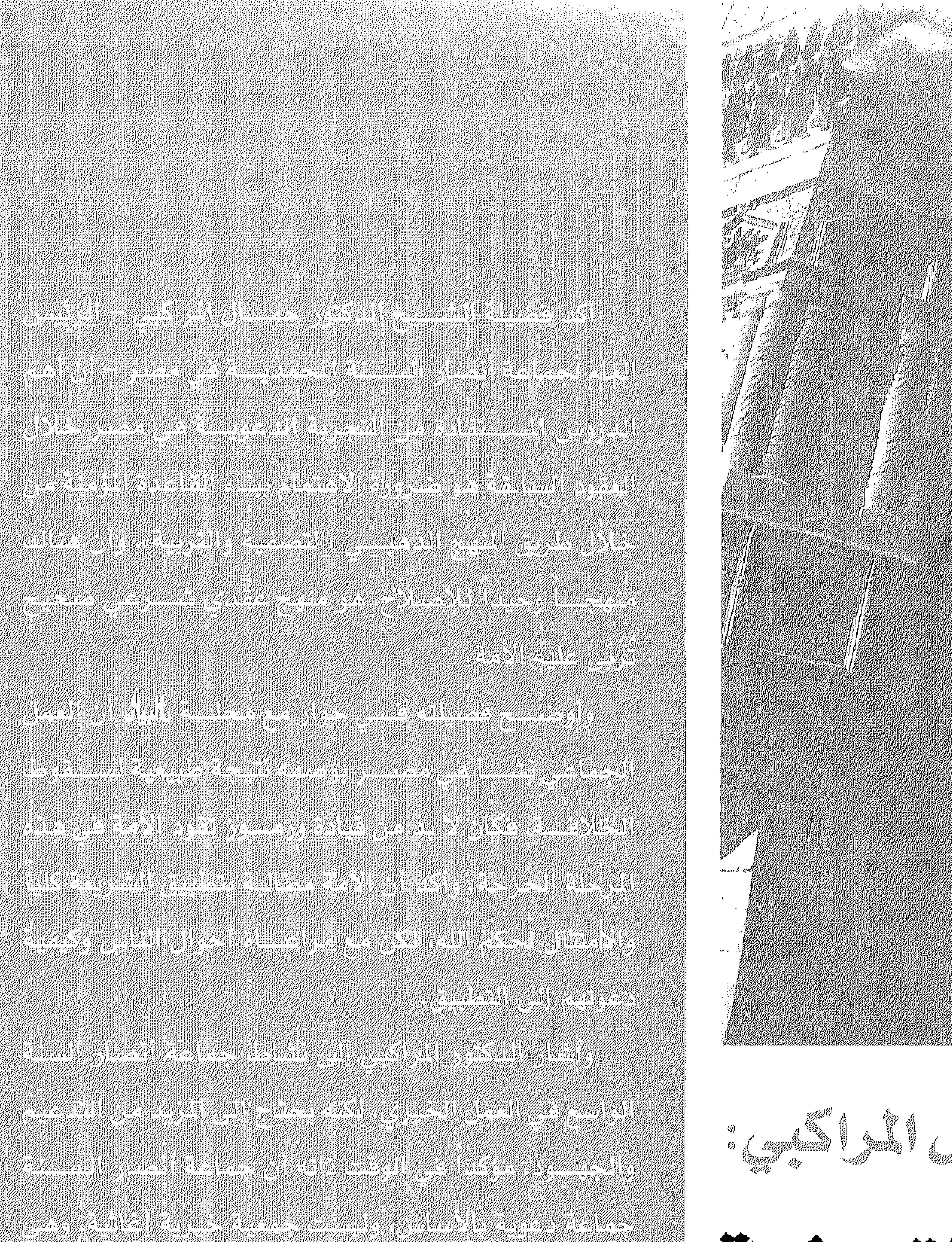
ويعدّ الأستاذ «رأفت مرّة» الملاحقة الدائمة من قِبَل العدو للإعلام المقاوم، ومحاولات التدمير والقصف والاغتيال، وقلة الموارد المادية، والحاجة إلى كفاءات مهنية في مختلف الاختصاصات تكون مستعدة للتضحية؛ أهمَّ المعوقات التي تعترض سبيل الإعلام المقاوم.

خلاصة ومقترح:

إنَّ صناعة إعلام المقاومة تعدُّ تحدياً حقيقياً في مشروع الأمة؛ لبناء كيانها الحضاري بعيداً عن هيمنة قوى الشرّ وتسلُّط تكتلات العدوان.

ولهذا يقترح الأستاذ «عبد الرحمن الرواشدي» إيجاد مراكز أو مؤسسات إعلامية تُدار من قِبَل مختصين إعلاميين، يواجهون الحرب الدعائية النفسية للمحتل وأعوانه بحرب إعلامية مدروسة ومخطط لها على أسس علمية تعتمد على تقسيم الجمهور المستهدف، والهدف من الرسالة الإعلامية، ومن ثم اختيار الوسيلة الأنسب لتوصيل تلك الرسالة، فإن ذلك يعبِّر عن رغبة القطاع الأكبر من أبناء الأمة الإسلامية الطامحين في إعلام حرّ عنوانه مقاومة العدوان، ويأخذ بناصيته خبراء وإعلاميون أكفياء، تتملكهم الجرأة وتعشق نفوسهم التضحية؛ لتتوفر عندئذ فرص الإعلام الحقيقي القادر على صدِّ العدوان واستئصال شأفته من أرض المسلمين.

وعند هذا الحد ينتهي المطاف بنا مع كلام أساتذتنا الأكارم، راجين من الله - تعالى - أن ينفع بهذا التحقيق، وأن يجزل الأجر والمثوبة للأساتذة الفضلاء، والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



الدكتور جمال المراكبي:

التصفية والتربية أهم دروس التجربة المصرية

أجرى الحوار: عمرو توفيق

أكد فضيلة الشيخ الدكتور جمال المراكبي - الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر - أن أهم الدروس المستفادة من التجربة الدعوية في مصر خلال العقود السابقة هو ضرورة الاهتمام ببناء القاعدة المؤمنة من خلال طريق المنهج الذهبي «التصفية والتربية»، وأن هنالك منهجاً وحيداً للإصلاح، هو منهج عقدي شرعي صحيح تربّى عليه الأمة.

وأوضح فضيلته في حوار مع مجلة البيان أن العمل الجماعي نشأ في مصر بوصفه نتيجة طبيعية لسقوط الخلافة، فكان لا بد من قيادة ورموز تقود الأمة في هذه المرحلة الحرجة. وأكد أن الأمة مطالبة بتطبيق الشريعة كلياً والامتثال لحكم الله، لكن مع مراعاة أحوال الناس وكيفية دعوتهم إلى التطبيق.

وأشار الدكتور المراكبي إلى نشاط جماعة أنصار السنة الواسع في العمل الخيري، لكنه يحتاج إلى المزيد من التدعيم والجهود، مؤكداً في الوقت ذاته أن جماعة أنصار السنة جماعة دعوية بالأساس، وليست جمعية خيرية إغاثية، وهي تمارس العمل الخيري من باب الدعوة.

وتطرق الشيخ المراكبي إلى قضية الفضائيات الإسلامية، مطالباً علماء أهل السنة ودعاتهم بالمحافظة على هذه النعمة العظيمة واستثمارها بأفضل الطرق؛ خاصة أن تأثير الفضائيات سيزداد في المستقبل القريب والبعيد. وهنا يستلزم المزيد من الانضباط السلوكي والتآلف والتعاون بين علماء أهل السنة ودعاتهم.

كما دعا إلى ترك أسباب القنوط واليأس، قائلاً: لا لليأس الذي يؤدي إلى ترك العمل؛ فأنت لست مطالباً بالنتائج، بل مطالباً بالعمل والأخذ بالأسباب فقط، وتكون بذلك قد أديت ما عليك. أما النتائج فهي من عند الله سبحانه وتعالى، وأما أن تترك العمل بدعوى عدم الجدوى فهذا وقوع في المحظور وفي حبائل الشيطان، فعليك بالعلم والعمل!

البيان: بعد عقود من الدعوة ونشر العلم الشرعي ومحاربة البدع: ما تقييمكم لمسيرة جماعة أنصار السنة في مصر؟

:: الحقيقة أن تجربة جماعة أنصار السنة في مصر بصفة خاصة والعالم بصفة عامة تجربة رائدة ومشجعة؛ لأن جماعة أنصار السنة بدأت في التوقيت الذي حدثت فيه هزة عظيمة في العالم الإسلامي بعد إلغاء الخلافة الإسلامية وظهور تيارات عديدة، مثل: تيارات تريد أن تبايع ملك مصر خليفة للمسلمين، وأخرى تتكلم عن ملك العرب، وتيارات عَلْمانية، وتيارات حملت الفكر السياسي وعدّته أصلاً وأساساً في هذا الباب. لقد كان التوقيت الرسمي لظهور جماعة أنصار السنة في عام ١٩٢٦م، أي: قبل عامين من ظهور جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨م، وقبلهما الجمعية الشرعية بعدة سنوات.

وهذا التوقيت شهد هزة كبيرة في الأمة كانت تستوجب وجود عمل جماعي؛ لأن الرمز الذي يتبعه المسلمون - آنذاك - سقط، والمسلمون لا يجدون رمزاً لهم، ويحاولون بشيء من التسرع وعدم الترتيب الصحيح إيجاد البديل؛ فلم يجدوا، فلجأ أصحاب هذه الأفكار إلى البنية التحتية وهي الناس، فقالوا: لو أن الناس يملكون التأثير وعندهم أيضاً الثقافة الشرعية لكان لهم تأثير أكبر، فالناس عندنا كانوا ولا يزالون - بنسبة كبيرة - يساقون كالقطيع، ينتظرون البطل المخلص، ويرون أن الدنيا لا صلاح لها، وستظل من سيِّئ إلى أسوأ، ومن فاسد إلى أفسد، حتى يأتي هذا النموذج، وهذا النموذج يحتاج إلى رجال.

كانت هذه الفكرة هي التي سيطرت على الجميع في هذا التوقيت، لكن اختلفت وجهات النظر ما بين أصحاب رؤية تجميع الناس في صورة تشبه الحزب السياسي، وإن لم تكن حزباً فلتكن جماعة يُهتم فيها بتجنيد المسلمين للوصول إلى صاحب القرار والتأثير عليه، أو الوصول إلى القرار ذاته فيكون أحدهم صاحب القرار، وكان ذلك منهج جماعة الإخوان المسلمين.

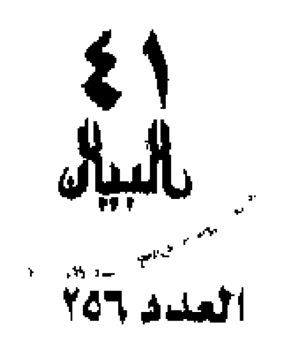
بينما خرجت جماعة أنصار السنة برئاسة الشيخ حامد الفقي - رحمه الله - بفكرة العمل على تثقيف المسلم بالثقافة التي تعصمه، وكان السؤال الملح: كيف نحرر المسلم من ثقافة القطيع؟ حيث كان التصوف منتشراً بشكل كبير، وكان انحرافه انحرافاً واسعاً. وبناء على هذه الثقافة قال الناس: «إن كل شيء بقدر الله عز وجل، بل ربما يكون هذا الواقع عقوبة»، وبالطبع هذه المعاني أصلها صحيح لكن إذا أدت إلى الركون والرضى بالواقع المر فهذا أثر فاسد، فنحن نعاقَب، والأمة في زمن الغثائية تعاقب، والعقوبة قد تكون جماعية، لكن ليس من العقوبة أن نرضى بهذا؛ لذلك كانت الفكرة عند جماعة أنصار السنة دعوة الناس إلى التوحيد الخالص.

ركزت الدعوة في البداية على الصدام مع أصحاب الدعوات المنحرفة، فكانت لا توجد قرية من قرى مصر إلا وفيها ضريح ومولد. (وطبقات الشعراني)(1) ترسم صورة هذا الواقع المر بوضوح، وأذكر وأنا في المرحلة الإعدادية عندما حدثتْ نكسة ١٩٦٧م كنا نقول: لا تخافوا فبلدنا محاطة بالأولياء الذين سيحموننا. فقد زرعوا في قلوبنا أن هؤلاء الأولياء سيدفعون عن بلدنا الطائرات والقنابل والصواريخ، وهذه العقيدة كانت تورّث على مدار الأجيال المتعاقبة. وجماعة أنصار السنة صارعت وجاهدت مجاهدة شديدة في هذا الباب، وجُوبهت في البداية بردِّ فعل عنيف، واتُّهمت بالعمالة للوهابية وأنها من الخوارج وأنها لا تدين بالمذاهب الأربعة، والطعن فيهم إلى أقصى حدٍّ.

ونظراً لعلم الشيخ حامد الفقي - رحمه الله - وتأثيره فقد أخذ تلاميذه يلتفون حوله، وبدؤوا يتحررون من الولاء للأولياء وقبورهم، وشعروا أنهم أصبحوا أحراراً، وأصبحوا خطباء ودعاة، ومن هنا كانت بداية انطلاق جماعة أنصار السنة التي انتشرت في ربوع مصر، ثم خرجت إلى السودان والشام والعراق وغيرها من الدول الإسلامية، وهذا الخروج لم يكن منظَّماً بل عن طريق أفراد تأثروا بالدعوة وعندما عادوا إلى بلادهم نشطوا في الدعوة وأسسوا فروع جماعة أنصار السنة.

ودائماً أنظر إلى تأثير جماعة أنصار السنة من خلال تجربتي الشخصية، فما كنت أعلم شيئاً عن جماعة أنصار السنة، فقد كنت أطلب العلم بوصفي من أسرة متدينة، فالوالد

(1) كتاب يجمع فيه مؤلفه تراجم وكرامات لرجال الصوفية وفيه من الضلالات والانحرافات العقدية الشيء الكثير (البيان).



والجد يصعـدان المنابر، وللعائلة علاقة بالبيئة الدعوية، لكن بعد ذلك عندما وقع الاحتكاك بدعاة جماعة أنصار السنة في بلدتنا بدأت أتأثر بهم، حيث وجدتهم أصحاب فكر وعقلية تحترم الكتاب والسنة والبحث العلمي، وتعلمك كيف تبحث في المسألة وكيف تعرف الدليل، ولا تقول: قال الشافعية أو الحنفية دون أن تدري من أين أخذوا واستنبطوا، لكن تعلمك كيف تصيب الدليل، وكيف تفهم مناط الدليل، وكيف تحقق هذا المناط، وكيف تصل إلى كبد الحقيقة والمراد في المسألة.

وقد واجهت جماعة أنصار السنة حرباً شعواء في بلدتي، وقد كنت أميل إلى هذه الجبهات المناوئة، فقد كنا نسمع أن جماعة أنصار السنة لا يحبون النبي ﷺ؛ لأنهم يقولون: إن الصلاة على النبي ﷺ محرمة، وقراءة القرآن في المساجد محرمة، والأولياء لا فضل لهم، وهذه الدعاوى تستفز أي مسلم، لكن لما اقتربت من جماعة أنصار السنة اكتشفت أن هذه الأقوال إنما هي حرب دعائية مضللة ضد الجماعة.

وكان أكثر من أثَّر في شخصيتي هو الشيخ الفاضل والمعلم الكبير الشيخ محمد صفوت نور الدين - رحمه الله - الرئيس السابق لجماعة أنصار السنة، فقد كان أستاذي في المرحلة الثانوية، وعندما اقتربت منه وجدته مؤدباً ومعلماً ومربياً، وكان له ولعلماء جماعة أنصار السنة تأثير كبير جداً على أهل بلدتنا، حيث بدأنا ندرس على أيديهم في حلقات علمية متخصصة وجلسات للبحوث، وهذه كانت نواة لمعاهد إعداد الدعاة بعد ذلك، وقد حوَّلني الشيخ - رحمه الله - إلى مجال الدعوة كلياً، ودفعني إلى استثمار دراستي في كلية الحقوق والماجستير والدكتوراه في تحصيل العلم الشرعي.

هذا التأثير لجماعة أنصار السنة أخرج لنا دعاة من جميع الفئات، فمثلاً: كان الشيخ صفوت - رحمه الله - مدرساً للعلوم، والشيخ صفوت الشوادفي - رحمه الله - رئيس جماعة أنصار السنة الأسبق تخرج من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية إلا أنه أصبح من كبار الدعاة إلى الله، وأنا متخصص في القانون؛ فما علاقتنا بالدعوة؟ كان المفهوم السائد أن الدعاة من خريجي الأزهر فقط، لكن جماعة أنصار السنة غيَّرت هذا المفهوم، واستطاعت أن تصل إلى فئات واسعة واستطاعت أن تحولهم إلى دعاة إلى التوحيد؛ لأنه من السهل أن تدعو إلى (لا إله إلا الله) ومفهومها، وبيان البدع والمنكرات في الموالد والأضرحة، والدعوة إلى التمسك بالسنة ومحبة النبي ﷺ، فهذه المسائل لا تحتاج إلى عالم أزهري؛ خاصة أن الأزهر في هذا الوقت كان يجابه هذه الدعوة، لكن - بفضل الله - تغيرت هذه الصورة بنسبة كبيرة، والكثيرون من الأزهر يحملون لواء هذه الدعوة؛ سواء انتموا إلى جماعة أنصار السنة أو لا.

من ثمار هذه الدعوة المباركة: الأخت الفاضلة «نعمت صدقي» التي ألَّفت كتاب: التبرج، فقد كانت مثقفة «ثقافة الصالونات» حيث ترى النموذج الفرنسي هو المثال المحتذى، فإذا بها من خلال دعوة جماعة أنصار السنة تكتب كتابها في التبرج وتدعو النساء إلى الحجاب. وزوجها محمد رضا [1] صاحب كتاب في سيرة النبي ﷺ. فهذا نموذج لما نقصده، فهذه امرأة خاطبنا فيها الفطرة فأصبحت داعية إلى التوحيد وإلى التزام الشرع، وذلك في الوقت التي كانت فيه مثيلاتها دعاة للسفور في مصر.

بعد هذه المرحلة التأسيسية وترسيخ الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة البدع؛ انتقلت جماعة أنصار السنة إلى ترسيخ منهج أهل السنة، مثل: الحديث عن الأسماء والصفات والربوبية وطريقة السلف في الاعتقاد والمعاملات والسلوك.

وقد مرت جماعة أنصار السنة بمرحلة تضييق ومنع وتجميد للنشاط في فترة الخلاف بين السعودية والرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وتمَّ ضم جماعة أنصار السنة إلى الجمعية الشرعية، وكان من ثمار هذا تأثير جماعة أنصار السنة على الجمعية الشرعية في باب التوحيد والأسماء والصفات والهدي النبوي. والآن لدينا أكثر من ٢٠٠ فرع داخل مصر، ونحن نتأنى في إشهار الفروع؛ لكي نؤسس أولاً الرجال الذين يقومون على هذه الفروع.

البيان: من المعروف عن جماعة أنصار السنة الاهتمام بالعلم الشرعي ومحاربة البدع، ويخفى على بعض الناس مساحة العمل الخيري لديكم: فما أبرز النشاطات الخيرية

(١) هو الطبيب الفاضل محمد رضا، وكان ذا قلم سيّال، نشر الكثير من المقالات التوجيهية في مجلة أنصار السنة وبخاصة في (التوحيد) لو جمعت لكانت كتاباً نافعاً (البيان).

لجماعة أنصار السنة: خاصة أن بعضهم يأخذ عليكم ضعف العمل الخيري بما يتلاءم وإمكانيات جماعة أنصار السنة ومكانتها؟

■ لدينا فروع منتشرة في ربوع مصر كلها، والعمل الخيري هو مساعدة الفقراء ومعالجة المرضى وكفالة الأيتام والمحتاجين، وهذا العمل موجود لدينا بصورة ظاهرة، فلدينا - ولله الحمد - مستشفيات خيرية كثيرة، ولدينا مساعدة لطلبة العلم.

والسبب في أن هذا العمل الخيري لا يظهر بوصفه كائناً ضخماً أنه لا يرتبط بنشاط المركز العام لجماعة أنصار السنة، وإنما نجعل نشاط كل فرع على حدة، فهناك نوع من (اللامركزية) في العمل الخيري والإغاثي، وذلك بسبب أن القانون الذي ينظم عمل الجمعيات في مصر يقضي أن كل فرع كائن مستقل بذاته.

ولكن في خارج مصر لدينا ضعف في العمل الخيري باستثناء بعض المساعدات في غزة وفلسطين عموماً، ولعل السبب في ذلك أن العمل الخيري في مصر يحتاج إلى جهود ضخمة، فنحن جمعية مستقبلة في هذا الباب وليست مرسلة، فمثلاً: لدينا ١٢ ألف يتيم تقدم لهم المساعدات من خارج مصر، وتبلغ قيمة الكفالة ١٨٠ جنيهاً شهرياً لكل طفل. واليتيم يكفل في بيته مع أمه، ويتم تعليمه القرآن، ومتابعته دراسياً، وربطه بالكافل الذي يكفله خارج مصر.

وهناك مؤسسات خيرية تتعاون معنا من خارج مصر، مثل: مؤسسة عيد آل ثاني في قطر التي تتعاون معنا في بناء المساجد ودور تحفيظ القرآن وكفالة الأيتام. وتتعامل معنا مؤسسة إحياء التراث في الكويت في المجالات الثلاثة سالفة الذكر، وكان يتم ذلك مع العديد من الجمعيات الخيرية في السعودية، لكن حدث خلل بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، أدَّى إلى توقف هذا التعاون مع الجمعيات السعودية.

والعمدة في هذا الباب أننا بالفعل نهتم بالدعوة والعلم أكثر من العمل الإغاثي؛ فقد كان الشيخ صفوت نور الدين - رحمه الله - يقول: نحن لسنا جمعية خيرية ولا إغاثية، نحن جماعة دعوة، وهذا هو الأصل لدينا، وحتى في مجال الإغاثة والعمل الخيري نمارسه من باب الدعوة، فلا نطعم اليتيم دون أن نعلِّمه.

البيان: التجربة الدعوية في مصر بجميع أطيافها ومكوناتها من أغنى التجارب وأكثرها ثراء على مستوى العالم الإسلامي؛ فما أهم الدروس المستفادة منها؟

■ مصر بلد المتناقضات، وكما قال المتنبي:

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

فإذا دخلت المسجد فلا تكاد تجد لك موضعاً، وإذا دخلت السينما فلن تجد أيضاً موضعاً، فمصر بلد عجيب، والتنوع فيها سمة من سماتها، وهي أكثر دولة تأثرت بالأفكار المستوردة؛ لأن الغرب اهتم جداً بمصر. ففي العهد الملكي أراد بعض الملوك أن تصبح مصر قطعة من أوروبا، فكانوا ينقلون الثقافات الأوروبية قبل أن يفطن أي أحد في العالم الإسلامي لذلك. فمصر قطعت شوطاً كبيراً في الاستغراب، لكن بفضل الله أولاً ثم بوجود كيان دعوي قوي مثل: مؤسسة الأزهر، ووجود جهات دعوية إلى جواره؛ بدأت مصر في العودة إلى فطرتها من جديد.

لقد حاولت الحكومات المتعاقبة تحديد دور الأزهر لكي لا يقوم بدوره في مواجهة التغريب، لكن المصريين لا يسكتون؛ فعلى الرغم من أن القانون يسمح بقيام الجمعيات والمؤسسات في أي مجال «موسيقى، رسم، رياضة.. إلخ»؛ إلا أنه يحظر تأسيس جمعيات دعوية، ويسمح فقط بالجمعيات الخيرية؛ لذلك اخترع المصريون فكرة تكوين جمعيات خيرية تكون الدعوة أحد أنشطتها والتي تطغى بالتدرج على نشاط الجمعية، ونجحت التجربة؛ مثل: الجمعية الشرعية وجماعة أنصار السنة.

كما كان للإخوان المسلمين تجربة في العمل السياسي منذ البداية، وكانوا أكثر التيارات تحقيقاً للنتائج السريعة، فالنتائج في العمل السياسي تظهر سريعاً؛ خاصة ما قبل الثورة عام ١٩٥٢م في ظل الحرية النسبية، لكن بعد الثورة أصبح الإخوان أكثر الطوائف تعرضاً للاضطهاد والضغط، وهو ما أثر سلباً في نشاطهم الدعوي.

وفي فترة رئاسة السادات فُتح المجال للتيار الإسلامي لضرب التيار الشيوعي، وهو ما نجح فيه التيار الإسلامي،

لكن هذه الفترة الذهبية لم تُستثمر جيداً، والسبب - في رأيي - أن المسلمين لم يكونوا قد هُيِّئوا بعدُ للقيادة، فكان هناك شباب لديه حماسة وحب للدين ورغبة في تطبيق الشريعة، لكن ليس لديه أناة ولا إحاطة علمية بالواقع وتنزيل الأحكام على الواقع، فكانت النتيجة ما يعرفه الجميع والعودة إلى التضييق الذي أضرَّ بالدعوة.

فما نقوله هو أننا نريد أن نردَّ الأمة إلى الأمر الأول، فهناك منهج وحيد لإصلاح هذه الأمة هو منهج عقدي شرعي صحيح تُربَّى عليه الأمة. لقد أثبتت التجارب أن الحاكم إذا حمل لواء التغيير دون تغيير في الناس؛ فإن فترة التغيير هي فترة حياته فقط، فعبد الناصر حمل لواء الاشتراكية والقومية العربية، ولما مات جاء السادات بدعوة مخالفة تماماً واستطاع أن يحول الأمة إلى تيار مخالف تماماً.. وهكذا. لكن إذا تأثر الرأي العام فهو قادر على التغيير الصحيح.

فأهم الدروس المستفادة من التجربة المصرية: ضرورة الاهتمام ببناء القاعدة المؤمنة من خلال طريق المنهج الذهبي «التصفية والتربية»، وهذه القاعدة هي المقصودة بالتعبير الحديث (تكوين الرأي العام المؤثر). هذا الرأي العام الذي يشكله العلماء والدعاة هو ورقة الضغط الأهم في التأثير على صنَّاع القرار؛ فعندما يصبح لدى العلماء والدعاة كلمة مُطاعة عند الناس؛ ستصبح كلمتهم عند أصحاب القرار مسموعة ومؤثرة.

وإن لم تؤثر هذه النصيحة فما علينا إلا البلاغ المبين، حتى يأذن الله بالأمر من عنده، والذي سيتحقق حتماً هو ما أخبر به النبي ﷺ: «وستكون خلافة على منهاج النبوة»، فنحن على وعد من الله، لكن السؤال: كيف يتحقق هذا الوعد؟ ربنا يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] فنحن نريد أن نشارك في بناء من يحملون الفكرة ويسعون في تطبيقها بالمنهج الشرعي.

ولا يجب الاستهانة بالأفكار والسعي في نشرها؛ لأن الاستمرار والتتابع والتراكم ستأتي بالنتيجة حتماً، فمثلاً: الشيوعية كانت مجرد فكرة وضعها (ماركس) في كتبه، لكن هناك من اقتنع بها وبدأ في نشرها، والنتيجة - كما هو معلوم - قيام إمبراطورية الاتحاد السوفييتي عام ١٩١٧م، والعديد من الدول والحركات والهيئات، فهذه الفكرة الدنيوية الخبيثة غير المعقولة التي تنافي الفطرة السليمة أثمرت ما رأيناه؛ فكيف الحال بالمنهج والفكرة الصحيحة التي تلبي احتياجات الفطرة ولا تتصادم معها وتحمل الخير والنور إلى الناس؟ كيف الحال بدين وشرع وقرآن لولا أننا نبذناه وراء ظهورنا؟! فنحن بحاجة أولاً إلى رجال يؤمنون ويفقهون، ثم يعملون، ثم يدعون وينشرون.

إن أهم الدروس المستفادة من التجربة المصرية هو ضرورة بناء القاعدة على أساس علمي تعبُّدي، فتخيَّل لو أن صاحب قرار وجد رأياً عاماً يقول: هذا القانون يخالف شرع الله، ولا سمع ولا طاعة في معصية الله، وأننا لن نطبق هذا. ولدينا نموذج واضح على ذلك؛ فالقانون يحرم الختان ويمنعه، لكن الختان في الواقع منتشر وحتى كثير من الأطباء يقومون بالختان حتى لو تعرضوا للعقوبة؛ لأن هناك رأياً شرعياً يقول: إنه مستحب؛ فما الحال إذا كان فريضة؟

فالرأي العام مؤثِّر بشدة في صناعة القرار، فإذا كان مستنيراً بالشرع فإنه سيؤدي إلى خير عظيم، ولا نقول: أن يصبح كل الناس دعاة ويحملون الراية، لكن على الأقل نخرج من حالة عدم الوعي التي تحياها الأمة إلى حالة من الوعي بضرورة الرجوع إلى أحكام الشريعة السمحة.

وأعتقد أن هذه الصحوة المباركة التي عمرها سنوات قليلة ستحيي أمتنا من جديد، على رغم ما بها من خلل؛ بسبب حداثة عهدها، لكنها ستسد خللها بتوفيق الله عز وجل.

البيان: هل تعاني الصحوة من غياب الرموز العلمية لقيادة الشباب وتوجيههم في ظل الأوضاع التي لا تخفى عليكم؟

▫ نعم! الصحوة تعاني من غياب الرموز؛ فلدينا داء لا بد أن نعترف به، هذا الداء هو الفرقة؛ فقد قال ﷺ: «سألت ربي ثلاثة فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة»، والتي مُنع منها النبي ﷺ ألا يجعل بأسهم بينهم شديداً، فلا بد أن نعترف بهذا الواقع الذي يخرج تيارات مختلفة، ويخرج شباباً مرجعيته من رأسه ويعتقد أنه هو الصواب وأن كل ما سواه خطأ.

إن السبب في تعاظم هذا الداء هو قلة العلم وضعف الإخلاص والانتصار للنفس وليس لدين الله، إنه كلما ترسخ العلم؛ كلما اتسع المجال لتقبُّل الاختلاف والاجتهاد والتعاون، والواقع أن هناك العديد من المشكلات التي يصنع بعضها

الأعـــداء ويســـتغلونها، وبعضها الآخر من صنـــع أيدينا لكن يستغلها الأعداء أيضاً.

مع هذا؛ لا بد أن نثـــق أن التغيير يملكه رب العزة، وأننا مطالبون بتغيير ما بأنفسنا فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. وما بأنفسنا وإن كان عاماً لكنه يبدأ بالخصوص، فلن أستطيع أن أغيِّرك حتى أغيِّر نفسي أولاً.

وحتى الرموز الموجـــودة فهي قليلة وغير متعاونة، وبعض الشـــباب يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وهذا ابن الواقع ولن يدوم، ومع الصحوة الإعلامية أصبحت أعرفك بما تكتب وبما تقول، وكنت من قبل أعرفك بما ينقل عنك، فالآن انتقلنا من مرحلة (أســـمع عنك) إلى (أســـمع منك) وهذه أفضل وسيلة لإذابة الفوارق والالتقاء على منهج واحد.

البيان: ألا تلاحـــظ فضيلتكم ضعف الدعـــوات المطالبة بتطبيق الشـــريعة، وأنها تراجعت على ســـلم أولويات الدعاة الإسلاميين مقارنة بالعقود الماضية؟

■ الشـــريعة هي أحـــكام الله الأصلية: افعـــل ولا تفعل؛ فهي الأوامـــر والنواهي التي تلزم المســـلمين، فهي مجموعة من الأحكام الشـــرعية التي تضبط سلوك المسلم مع ربه ومع الجماعة المسلمة ومع غير المسلمين، فالشريعة الإسلامية هي دين الإسلام؛ فالصلاة من الشـــريعة، والصوم من الشريعة، وســـلوك المسلم مع غيره بيعاً وشراء وتزويجاً وتطليقاً ووصية من الشريعة، وضوابط علاقة الدول الإسلامية مع دول الكفر من الشريعة.

لكن الانحراف الذي وقع فيه جُلُّ أمتنا أخذ أجيالاً طويلة، ولـــن يكون ردُّها إلـــى الحق بين يوم وليلة، بـــل نصبر عليها ونسأل ربنا التوفيق، ونأخذ بيدها برفق ورحمة.

إن أيَّ انتقال في تاريـــخ الأمم يحتاج إلى أوقات طويلة، فالأمـــة تبدأ ثم تكبر ثـــم تصبح فتية قوية تســـود ثم تزول وتضعف بالتدرج نفسه؛ فالحديث عن الأمم يحتاج إلى وقت، وهو ما يحدث بالنسبة للأفراد أيضاً، فمن انحرف عن الدين الصحيح والصراط المستقيم يحتاج إلى وقت طويل.

إن الشـــريعة جزء لا يتجزأ، ونحن - معشـــر المسلمين - مطالبون بتطبيـــق جميع أحكامها، لكن هنـــاك أولويات في التطبيق، فهـــل إقامة الصلاة أَوْلـــى أم إقامة الحد؟ بالطبع إقامة الصلاة، فإذا أوجدنا مجتمعاً يصلي فســـيطالب نفسه بتطبيق الحدود.

وفـــي الحديث الصحيح: «لتنقضَنَّ عُرى الإســـلام عروة عـــروة، فأولها نقضاً الحكم وآخرها الصـــلاة». فالأمة التي تعاني من التفريـــط لا يمكن اختزال مشـــكلتها في الحدود فقط، لكن علينا أن نهتم أولاً بكيفية رجوعها إلى الحق.

واقعنا اليوم فـــي كثير من البلدان يشـــهد بالانحرافات وقلة عـــدد المصلين والتوجه تارةً ناحية الغـــرب وتارةً ناحية الشرق، فهل نطالب من لا يصلي بتطبيق الحدود، فأنت تأمر بالمستحيل؛ لأنك لم تقترب من هذا الواقع لتأخذه إلى الشرع، فالإنســـان المتفلت لن يصبح ملتزماً بالشرع بين يوم وليلة، بل يحتـــاج إلى دعوة وتربية وتدرُّج، والمثال الواضح على ذلك هو المرأة شديدة التبرج؛ فهل ندعوها إلى النقاب مباشرة؟ سيكون الرفض هو الغالب في معظم الحالات، لكن يكون الحديث حول الحشمة والصلاة، وأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ثم نتدرج معها في الحجاب ثم النقاب.

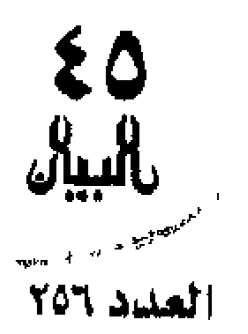
فإذا أوجدنا الرأي العام الضاغط باتجاه تطبيق الحدود؛ فســـتطبق الحدود بمنتهى الســـهولة، فلو أصبحت في الغد المســـؤول الأول في بلدٍ ما؛ فكيف ســـتطبق الشـــريعة؟ وهل سيقبل الناس تطبيق الحدود؟ وما موقف الأب إذا سرق ولده؛ هل سيرضى بقطع يده؟

ســـيقبل الناس من الشـــريعة ما يتوافق مع مصالحهم، وســـيرفضون ما يخالفها؛ لأن التربية الإيمانية غير متجذرة في القلوب.

لن تجد عامة الناس يقولون: سمعنا وأطعنا. سنجد التطبيق المنحرف للشـــريعة الذي حذر منه النبي ﷺ: «إذا ســـرق فيهم الغني تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد».

إن تطبيق الشـــريعة يحتاج إلى صناعة النخبة الصادقة التي تؤثر على المجتمع وتمهِّد الطريق لتطبيق الشـــريعة. لقد أقام النبي ﷺ حدَّ الزنى علـــى معاذ والغامدية، وقد أتى كل منهما بنفسه لإقامة حكم الإسلام عليه.

خلاصة القـــول: إننا مطالبـــون بتطبيق الشـــريعة كلياً والامتثـــال لحكم الله، لكن مع مراعاة أحـــوال الناس وكيفية دعوتهم إلى التطبيق.



البيان: لفضيلتكم حضور قوي في الفضائيات الإسلامية: فما تقويمكم لهذه التجربة؟ وما الفرق بين الخطاب الدعوي في المساجد وبين الخطاب الدعوي في الفضائيات: خاصة أن هذه الأخيرة تفتقد الجو الروحي والتأثير الذي يُحدثه المسجد، فضلاً عن غياب المتابعة الدعوية؟

■ لا بد أن لا ننسى المساجد ودورها؛ لأن المسجد هو الأصل والأساس، والمسجد ليس فقط للعلم والتعليم، لكنه أيضاً بيت الله حيث تقام الصلاة.

والمسجد تلمس خلاله أحوال المدعويين المقربين، فإذا ظهرت مشكلة تستطيع تلمُّسها وحلها، فلا غنى عن المسجد بحال من الأحوال، وأنا ضد أن يتفرغ الداعي للفضائيات ويترك المسجد.

لكن علينا ألا ننسى دور هذه الفضائيات التي تخاطب شريحة واسعة من الجمهور، وأصبح من الممكن للداعية من خلالها أن يخاطب الناس في شتى بقاع الأرض.

ومن ثمار الانفتاح الفضائي: أن دعاة أهل السنة فرضوا أنفسهم بعلمهم ومنهجهم، فقد كان الناس من قبلُ ينظرون إلى هيئة أهل السنة على أنها تمثل التطرف والإرهاب، أما الآن فهي تمثل هيئة العلماء والدعاة وأهل الصلاح، وأصبح الهَدْيُ الظاهر مقبولاً لدى شريحة واسعة من عامة الناس، فقد تغيرت الصورة النمطية المأخوذة عن دعاة أهل السنة.

وكان من نعمة الله - عز وجل - أن بعض الدعاة الذين ضُيِّق عليهم ومُنعوا من الدعوة في المساجد؛ جاءت الفضائيات لتفتح أمامهم ساحة الدعوة بكاملها، فلله الفضل من قبلُ ومن بعدُ.

في زيارة إلى السعودية قال لي رجل إنه من إيران، وأخبرني أن نحو ١٠٠ ألف شخص أعلنوا (تسننهم) خلال فترات قليلة؛ بسبب استماعهم إلى أهل السنة عبر الفضائيات؛ خاصة أنهم لم يستمعوا سابقاً إلا إلى علماء الروافض فقط، فمنهج أهل السنة والجماعة دخل إيران رغم أنف الحكومة الإيرانية.

لذلك أطالب إخواني من علماء أهل السنة ودعاتهم بالمحافظة على هذه النعمة العظيمة واستثمارها بأفضل الطرق؛ خاصة أن تأثير الفضائيات سيزداد في المستقبل القريب والبعيد، وهذا يستلزم المزيد من الانضباط السلوكي والتآلف والتعاون بين علماء أهل السنة ودعاتهم.

وإذا كان بعض الشباب الملتزم يرى أن الخطاب في الفضائيات لا يناسبه، وأنه قد تخطى تلك المرحلة؛ فنقول لهم: إن لكل مقام مقالاً؛ فلدينا معاهد إعداد الدعاة ومستواها بلا شك أعلى بكثير من الفضائيات، فعلى الشباب الراغب في العلم أن يلتحق بها ويتخرج منها، ثم يلتزم العلماءَ ويتعلم منهم.

وعلى الشباب الملتزم ألا ينظر إلى نفسه فقط، فهل يظن الشاب أن ما لا تحتاج إليه لا تحتاج إليه الأمة أيضاً؟ وليس من المطلوب أن يصبح كل الشباب علماء، لكن المطلوب أن يكون الجميع دعاة، كلٌّ بحسب قدرته وعلمه وخبرته، فمن المفرح أن تجد طبيباً أو مهندساً يعلِّم القرآن الكريم في المساجد ويأخذ بيد الشباب إلى طريق الاستقامة دون أن يعتلي المنابر أو يلقي الدروس والمحاضرات.

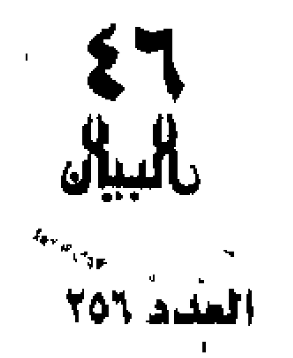
البيان: هل من كلمة توجهونها إلى العاملين في الدعوة إلى الله ممن يشعرون بالإحباط من تحديات الواقع وضغوطه؟

■ في الماضي كان إذا تكلم أحد من جماعة أنصار السنة في مساجد الأوقاف فإن الناس ينهرونه ويتهمونه بالوهابية، أما الآن ففي بلدتي فقط يخرج نحو ١٠٠ من الدعاة كل جمعة من مسجد جماعة أنصار السنة، وهذا التغير لم يحدث بين يوم وليلة، بل خلال ٢٠ سنة، فلله الحمد والمنة.

إن المسلم يغضب لمحارم الله ويحزن على حال أمته، لكن لا ييأس ولا يقنط، بل يكون هذا الحزن والغضب دافِعَيْن للنجاة، فأحد السلف كان يقول: ماذا يضيرك لو أن الناس كلهم قد هلكوا وقد دخلت أنت الجنة؟ وماذا ينفعك لو نجا الناس كلهم ودخلت أنت النار؟

فدعْ أسباب القنوط واليأس، فأنت لست مصلحاً اجتماعياً، وأنت لا تصلح أحداً، ولكن الله يصلح بك من يشاء.

لا لليأس الذي يؤدي إلى ترك العمل، فأنت لست مطالباً بالنتائج، بل مطالباً بالعمل والأخذ بالأسباب فقط، وتكون بذلك قد أديت ما عليك، أما النتائج فهي من عند الله سبحانه وتعالى، وأما أن تترك العمل بدعوى عدم الجدوى فقد وقعت حينئذ في المحظور وفي حبائل الشيطان، فعليك بالعلم والعمل، والله الهادي إلى الصراط المستقيم.



المسلمون والعالم

(أوباما)! نريد برهاناً، لا رهاناً

د. عبد العزيز كامل
kamil@albayan.co.uk

عجيب أمر هؤلاء الذين يسارعون إلى إهدار الحقيقة كلما وضحت، ويبادرون بإغلاق ملفات الحسابات كلما فتحت، فيتنازلون - أصالةً عن أنفسهم ونيابةً عن غيرهم - عن بعض ثوابت الدين وعن حقوق ملايين المسلمين، وعن الجرائم التي ارتكبت ولا تزال ترتكب في حق المظلومين، وذلك كلما تلوَّن وجه أو تغيَّر اسم أو تبدَّل حزب في أمريكا أو الغرب.

يجيء (أوباما) ويذهب (بوش).. فيريد بعضنا أن نلتف على الحقائق، ونتناسى الأحداث، وندير الخد الأيسر بعدما دمي الخد الأيمن، ويسارع هؤلاء مبادرين إلى المساهمة في تجميل الوجه الأمريكي القبيح، وتحسين ظاهره الشرس وباطنه المشين؛ حتى يعيدوا خداع العالم بالحديث عن وجه أمريكا «المشرق» وقيمها «المشرقة»!

أما ما حدث من عشرات بل مئات الجرائم السياسية والعسكرية والاقتصادية «الرسمية» في حق العرب والمسلمين؛ فالمتوقع أن جماعة (متنازلون بلا حدود) سيسكتون عن الكلام عنها، ويعدونها فقط من سيئات الرئيس «الراحل»، التي لا ذنب فيها للرئيس الراهن! وقد يقفون مردِّدين: «عفا الله عمَّا سلف».. «حصل خير»! ويبدؤون في المراهنة على الإصلاحات والمصالحات الراهنة، وعلى «الخير» القادم كما راهنوا على الخير المتقادم! وقد يطالبنا بعضهم بغضِّ الطرف عمَّا كان، وطيِّ صفحة الماضي المطوية دائماً لهم، والمفتوحة دائماً لنا!

آخرون منهم يريدون منا أن نجعل من الديمقراطية ركناً سادساً في الإسلام، أو سابعاً في الإيمان، بل يكادون يجعلون هذا «الإيمان» بالديمقراطية حَكَماً على بقية الأركان!

إن الأمريكيين اختاروا - أو بالأحرى اختير لهم - من يرون فيه منقذاً لسفينة النجاة ومنفِّذاً لما يحبون من نمط المترفين في الحياة، ولأنهم أحرص الناس على حياة؛ فقد كان طبيعياً أن يختاروا من يعوِّلون عليه في انتشال اقتصاداتهم المنهارة، ومستوى معيشتهم المتضررة. أما نحن فلا يخصنا إلا ما يرفع المظالم عن أمتنا، وما يزيل العوائق والسدود عن مسيرتها نحو التحرر من آثار ديمقراطيتهم العمياء، التي تجيء لنا كل حين بالطغاة والطغام والجبناء والأغبياء من أمثال: (بوش) و (بلير) و (رامسفيلد) و (ديك تشيني)، وعبيدهم من أمثال: (كرزاي) و (المالكي) و (زرداري)، و (عبد الله يوسف)، وغيرهم من الشخصيات الديكتاتورية المحمية بأنياب الديمقراطية!

يقولون: لكن (أوباما) إفراز فريد، وإصدار جديد من إصدارات الديمقراطية الأمريكية... فليكن! فهذا بالنسبة لهم، فماذا لنا؟!... إن لنا - نحن المسلمين - قضايانا، ولنا حساباتنا مع قوم لا يزالون ينازلوننا في أكثر من ميدان، وأكثر من مجال، في حقبة صِدام حضاري، هم من تحدثوا عنه، وهم من خططوا له، وهم من نفذوا مراحل عديدة من برامجه، فهل سيغير (أوباما) ما تغير على خريطتنا من جراء تلك الخطط التي جاء بها سلفه «المنتخب» ديمقراطياً، في مدتين رئاسيتين متواليتين بإرادة أمريكية «حرة»؟

لا ينبغي - بداهة - أن يقدم المرء سوء الظن بداية، ولكن

أيضاً لا ينبغي أن نقدم حسن الظن مجاناً؛ فالجراح لا تزال كلها مفتوحة، وما اغتصبته المؤسسة الرئاسية الأمريكية - المختارة ديمقراطياً - لا بد أن يرجع، قبل الحديث عن العفو والصفح وحسن الظن والتعايش السلمي الذي يطالبنا به المضحون بتضحيات الشهداء والشرفاء!

العفو والصفح والتعايش - يا قوم! - يكون عندما تتحقق القدرة على أخذ الحق، ثم يتم التنازل عنه؛ طمعاً في حقٍّ أعظم أو رفع غبن أكبر؛ كمن يعفو عن الاقتصاص من قاتل بغرض دخوله في التوحيد، أو رغبة في الأجر العظيم بالعفو عن المسلمين، أو في حقن المزيد من دماء الأبرياء. وحسن الظن لا يكون محموداً إلا مع من حسَّن العمل ولو ظاهراً، وبدون لذلك فالوقت مبكر للحكم على حُسْن نوايا (أوباما) أو شَيْنها. أما ما تطالبنا به فرقة «منبطحون بلا حدود» من العفو عن دماء مئات الآلاف من الشهداء، والتنازل عن مئات المليارات المنهوبة في الأراضي المغصوبة؛ عملاً بالكلمة المفتراة (من ضَرَبك على خدِّك الأيمن فأدرْ له خدَّك الأيسر)؛ فإن ذلك ليس من قيم الإسلام، بل ليس من شيم الكرام؛ فالإسلام الذي شرع العفو عن المسيء إذا ظهر ندمه وحسن عمله ورد مظلمته؛ هو نفسه الذي يأمر المؤمنين بألا يكونوا خوَّارين مستذَلين جبناء أمام الأنذال ولو كانوا أقوياء؛ فالله - تعالى - أثنى على: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩] وقال: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١].

البرهان لا الرهان:

الكثيرون يُثنون على «عقلانية» و «إنسانية» (أوباما)، ويراهنون على إمكان أن يتغير الأمريكان في عهده، وأن يتغير وجه أمريكا والعالم على يده! ويبنون لأجل ذلك عمارات على سطح الماء، أو يشيدون أبراجاً على سُحب السماء في تراجعات مجانية أشبه بالمجون أو الجنون في وسط الميدان. ومع هذا نقول: حسناً؛ فليغير الرئيس الجديد وجه أمريكا كما يشاء، وليحوله كما يريد إلى مزيد من الاحمرار أو الاصفرار أو الاسمرار.. هذا شأنهم، ولا يخص أمتنا إلا ما يعيد كرامتها وسيادتها، فإذا كانت الأمة الأمريكية لها مطالبها من حكامها الجدد بأن يغيروا دنياها إلى ازدهار أكبر في ظل استقرار أكثر؛ فإن لأمتنا الإسلامية مظالمها التي لا يملك أحد أن يتنازل عنها أو يتاجر بها. ولا بد لكي يصح القول: إن أمريكا تغيرت في عهد (أوباما)؛ أن يحدث ما يلي:

- أن تنتهي أمريكا نهائياً عن حربها المعلنة على الإسلام باسم الحرب على الإرهاب، وأن تزيل آثار العدوان الناتجة عن تلك الحرب «الشاملة» التي شملت النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية، وحتى الإغاثية والخيرية.

- أن يخرج الأمريكيون من العراق الذي أكلوا خيراته ودمَّروا منجزاته ونكَّلوا بشعبه، ولا يتلوَّنوا حربائياً؛ فيخرجوا من معركة الدماء الخاسرة إلى حرب المراوغات الماكرة، متظاهرين بالانسحاب من داخل المدن إلى خارجها؛ لضمان استمرار نهب ثروات أرض الرافدين بالشراكة مع الرافضة والمنافقين.

- أن تنسحب أمريكا من أفغانستان وترفع يدها عن باكستان، وتتخلى عن الزعامات المفروضة المرفوضة التي زرعتها ورعتها وفرغتها من كل الوظائف، إلا وظيفة (كلاب الحراسة) التي تنهش أصحاب الدار كي يسلم الصائلون واللصوص والفجار، مقابل فتات تقتات به، أو جحر تأوي إليه.

- أن يتخلَّى الأمريكيون عن ممالأة المعتدين على المسلمين في أنحاء الأرض، كما هو حادث منهم مع الروس في الشيشان، ومع الهندوس في كشمير، ومع الأحباش في الصومال، ومع النصارى في الفلبين، ومع الرافضة في العراق، ومع عتاة العَلْمانيين في غالب بلاد المسلمين.

- أن يرفعوا أيديهم عن خيرات ومقدَّرات العالم الإسلامي المنهوب، والذي عدَّته الإدارات الأمريكية المتعاقبة ميراثاً مستحقاً من أسلافهم الغربيين الاستعماريين، وساحة مستباحة تقدِّم الدعم الاقتصادي في أزماتهم، والوقود لحروبهم، والأرواح فداء لجنودهم وحماية لمصالحهم.

- أن يتخلى الأمريكيون عن أسوأ جرائمهم، وأسود أعمالهم، وهي حماية ورعاية رعاع اليهود المغتصبين لحقوق المسلمين في فلسطين وغيرها، وأن لا يقفوا ضد استعادة قدسنا وأقصانا، واسترداد أرضنا وتحرير أسرانا، وأن لا يكونوا الطرف الرئيس في إدارة الصراع ضدنا، وإحكام الحصار حول إخواننا.

- أن يتخلوا عمَّا أسموه علانية بـ (حرب الأفكار) الموجهة أساساً ضد عقائد الإسلام وثوابته؛ بهدف تغييرها أو تغييبها، لحساب المبادئ الغربية الليبرالية الدخيلة، ورموزها العملاء العميلة.

هذه الأمور - وغيرها - ليست بطبيعة الحال مطالب تُرفع، بقدر ما هي معايير يجب أن تُوضع؛ لإظهار الفرق المفترض بين حال من يريد تغيير المواقف إلى الأحسن، وحال من يريد استئنافها إلى الأسوأ، فنحن نعلم أنهم لا يسمعوننا، ولو سمعوا ما استجابوا لنا!

تصحيح مغالطة تاريخية:

لقد أثبتت السنوات القليلة الماضية أن التنازلات ليست الخيار الوحيد لأمتنا أمام التحديات، بل إن خيار المنازلة بعد الصبر والمصابرة هو الخيار الأنجع والأنجح.

بمقدور أمتنا - بعون من الله - أن تُنازل الجبارين فتنزلهم من علياء الطغيان إلى درك الخذلان، و (بوش) «الراحل» وإدارته الفاشلة وجيشه المهزوم أوضح أمثلة على ذلك؛ فما دهى أمريكا في عهد ذلك الرئيس التعيس؛ لم يكن ليكون - بعد تقدير الله - لولا جهود مجاهدين ومقاومة مقاومين ومرابطة مرابطين، أبوا إلا أن يردوا الكرامة ويثأروا للشرف وينتصروا للدين، وهذه حقيقة يماري فيها الكثيرون في الغرب، ويمالئهم عليه العَلْمانيون العرب، وكثير من الإسلاميين المستأنسين، الذين فقدوا القوة الروحية، التي تحفظ عقيدة الولاء للمؤمنين والعداء للكافرين.

أمتنا ليست مضطرة - بعد كل الذي أظهرته ملاحم العراق وأفغانستان وفلسطين وغيرها - أن تعطي الدنيَّة من دينها، أو تعود إلى نقطة الصفر بإشارة من غرمائها، ولا داعي لأن نفرط في التفاؤل الساذج بأعدائنا، أو التواضع الضار بأوضاعنا، أو أن يبالغ بعضنا في التلهِّي بلذات جلد الذات، في (سادية) ذاتية شاذة، تهوى تعذيب النفس فداء لهوس الناس، الذين يصرون على تعرية واقعنا الإسلامي من كل قدرة على الإنجاز، ولو كان ذلك بنسبة إنجازاتنا إلى عجز عدونا، أو لظروف قاهرة ليست من صنعنا!

لقد احتار هؤلاء وحيَّروا الناس معهم في تفسير وتحليل (معجزة العصر) التي جعلها الله آية للعالمين، وليُخضع بها أعناق المعاندين، ألا وهي معجزة الهزيمة الأمريكية الغربية المنكرة، أمام طلائع الإيمان المظفرة، وذلك في البلدان التي أعتدت عليها أمريكا وراح هؤلاء يشغلون الأمة بمفخرة «انتصار» (أوباما)؛ لإلهائها عن معرة «هزيمة» بوش! راحوا يغالطون الناس، ضاربين أخماساً في أسداس، لتمجيد «القيم» الغربية، بعدما ظهر انحطاطها، والتعريض بل التحريض على هوية أمتنا ورموزها، لا لشيء إلا لأجل استبعاد مناقبنا، وتثبيت مثالبنا، واستخدام أسلحة التشويش والتشويه ضد ثوابتنا!

وفي مغالطة تاريخية غير شريفة يريدون تفويت فرصة احتفاء أمتنا واحتفالها بانتصارها القريب على عدو الله وعدوها؛ بالزعم بأن (أوباما) سيصحح أخطاء بوش؛ لأن الديمقراطية «تصحح نفسها»، ولهذا سيحول (أوباما) هزيمة أمريكا إلى نصر، وفضيحتها إلى إنجاز، أما ما حدث لأمريكا من ويلات فله مئات الأسباب «الخفية» إلا العظمة المكنونة في طائفة الحق من أمة الخيرية!

* إن الكل - مثلاً - يقر بأن (جورج بوش الابن) أضاع ما بناه رؤساء أمريكا السابقون للولايات المتحدة من إنجازات وانتصارات وضعتها على رأس نظام عالمي جديد مكَّنها من التفرد بزعامة العالم.

* والكل يشهد فعلاً بأن الولايات المتحدة في عهد ذلك الابن المهزوم المأزوم قد تراجعت حضارياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً وإعلامياً، وهو ما جعلها تنزل بسرعة وانتظام عن كرسي التفرد بالقطبية الواحدة...

* والكل يؤكد أن ذلك الزعيم المزعوم قد ورَّث بتحدياته الهوجاء العوجاء لمن خلفه في الإدارة الأمريكية قائمة طويلة من ميراث الأزمات والمشكلات التي ستحتاج أمريكا بسببها إلى وقت وجهد كبيرين كي تتعافى منها - إذا تعافت - بل إن منها ما لن تتعافى منه أبداً...

* والكل أيضاً يقول: إن الولايات المتحدة لم تستطع في مدة (بوش) الرئاسية الثانية أن تحقق شيئاً ممَّا بدأته في مدة رئاسته الأولى، لا في (مشروع القرن الأمريكي) ليهود أمريكا المسمين بالمحافظين الجدد، ولا في برنامج (الإمبراطورية الأمريكية) للإنجيليين النصارى الصهاينة، ولا في مشروع يهود المنطقة المسمى بـ (الشرق الأوسط الكبير)، ولا في مشروع تقسيم العالم الإسلامي المسمى (خريطة الدم)، ولا حتى في أجندة (بوش) الشخصية التي سمَّاها (حرب الإرهاب العالمية)...

* والكل كذلك أكد أن تحالف الصهيونية النصرانية مع الصهيونية اليهودية بزعامة بوش العقائدي المغرور؛ قد تلقَّى ضربة أجهضت أحلامه، وبددت أوهامه في تسويد اليهود على العالم بعامة، وعالم المسلمين بخاصة...

* ومراقبون كثيرون ذهبوا إلى أن تأجيل باقي المخططات الأمريكية في المناطق الإسلامية أو إلغاءها لم يأت طوعاً واختياراً، بل جاء كرهاً واضطراراً، وهو ما جعل الولايات المتحدة تتحول من اندفاعها المحموم في اتجاه الهجوم، إلى التقهقر إلى الخلف في محاولة الدفاع أو الهروب...

* وغالبية المحللين يتفقون على أن منحنى أمريكا في النزول لن يخف أو يزول إلا بعودتها إلى الانزواء إلى الوراء خلف المحيطات والبحار؛ كي يلعق الأمريكيون جراحهم، ويلملموا شعثهم الذي تفرق مع كبريائهم الممرغ، وبأسهم المشتت...

* وكثير منهم يقولون: إن التحالف الأمريكي الغربي والعربي يشهد اليوم أسوأ حالاته، ويواجه أحرج احتمالاته، إلى الدرجة التي أخرجت للعلن أشكالاً من التلاعن والتلاسن، وتبادل التقاذف بالاتهامات والتملص من المهمات بين أعضاء التحالف الذي بدأ يدب بين أطرافه النزاع والتخالف...

* والأكثرية يذهبون إلى أن (الحُمُر الديمقراطية) المخمورة بسكرات الانتخابات لن تكون أسعد حظاً من (الأفيال

الجمهورية) المذعورة من تتابع الضربات والأزمات.

لكن شيئاً سيئاً يجعل أكثر المقرِّبين بكل ما سبق لا يعترفون بالسـر الكبير وراء شيء مما سبق، فليس صحيحاً أن كل تلك السـقطات والهزائم والإخفاقات ترجـع فقط إلى غباء بوش وغروره، أو تعود إلى خداعه لشـعبه أو تغريره، وليس من باب الإنصاف أن يضاف كل هذا الفشل إلى ضعفه العقلي أو شذوذه النفسـي، وإلا فأين الخبراء والمستشـارون؟ وأين مؤسسات صناعة القرار العسـكري والسياسـي في الحزب الجمهوري العريق في السياسـة وإدارة الأزمات، بل التجارة في الأزمات؟ وهل كان سيسـمح ذلك الحزب أو ذاك الشـعب لهذا الرئيس البئيس أن يغرق سفينتهم وهم يتفرجون؟ أو كان سيعاد انتخابه - ديمقراطياً - لفترة رئاسـية ثانية برغم خيبته التي يعلمون؟ كما أن السؤال يثور: أين كان حلفاء بوش وشركاؤه من صهاينة اليهود، وصهاينة النصارى، وصهاينة العرب، وهم يرون أمريكا تغوص في الوحل الذي جرَّها إليه بعربته الطائشة؟! وهل كان متوقعاً من كل هؤلاء أن يخونوا حليفتهم أمريكا ويخذلوها حتى تقع وتوقعهم في كل ما وقعت فيه؟!

إن في الأمر سراً نحن نعلمه، وهم أيضاً لم يعودوا يجهلونه ولكنهم يكابـرون، ألا وهو عظمة هذه الأمـة التي أخرج الله منها رجالاً في كل من العراق وأفغانستان وباكستان وفلسطين والصومال وغيرها، غيَّـروا قواعد «اللعبة»، وأفقدوا طواغيت أمريكا اتِّزانهم، وأنزلوهم مـن أبراج غرورهم، وأغرقوهم في غمرات السـكرة ليفيقـوا على صدمات الفكـرة، وعاثوا في عقولهم، وجاسـوا خلال أفكارهم، وأنسوهم وساوس أبالسة البنتاجون، وشياطين واشنطن.

إن القوم يكابرون ويغالطون، ولا يريدون أن تنسـب لأحد من أمـة نبينا محمد ﷺ مكرُمة، ولو كانت انتصاراً على معتدٍ أو رداً لمظلمة.

لقد سـقط الاتحاد السـوفييتي قبل أقل من عقدين بعد صدامه الكبير مع العالم الاسـلامي إبان غزوه أفغانستان، لكن قليلاً مـن الناس من أقرَّ بالحقيقة، وربط بين ذلك السـقوط السـريع المريع؛ وبين عامل مهم وخطير، وهو: جهاد المسـلمين لسنوات طويلة ذلك الغزو، وهو ما أسقط هيبة الروس العسكرية، وورط بعد ذلك اتحاد الإلحاد في ورطات سياسـية واقتصادية أفقدته قدراته الإمبراطورية، وقادته إلى التفكك والانهيار.

اتحاد الإفساد الأمريكي على درب اتحاد الإلحاد السوفييتي:

على المسـلمين أن يجاهروا بهـذه الحقيقـة في وجه (الديمقراطيـين الجدد)، الذين ورثوا (المحافظين الجدد)، إذا بان أن الأمريكان لم يستفيدوا من الدرس، فهذه حقيقة ستثبتها الأيـام إذا لم تراجـع أمريكا طريقتها، وترجع عـن مُحَادَّتها المكشـوفة لله ولأوليائه، حيث سـيلحق عندها اتحاد الإفساد باتحـاد الإلحاد، أليس من العبـرة - مثلاً - أن تنفق الولايات المتحدة للمحافظة على سـمعتهـا العسكـرية مبلغ ٧٠٠ مليار دولار ليكـون هـذا المبلغ هو حجم العجز فـي ميزانيتها لعام ٢٠٠٧م، وهو المبلغ نفسـه الذي احتاجـت إليه لمحاولة علاج أزمتها المالية الحالية؟ فمن يحارب من؟!

كنت قد كتبت مقالة على صفحات مجلة البيان[1] إبان غزو أمريكا لأفغانستان، وبدء حربها الإرهابية العالمية، وكان ذلك في وقت ذروة طغيانهـا وعنفوانها، وكانت المقالة بعنوان : (انتحار أمريكا) ذكرت فيها معالم مسار الانتحار الذي اختارته أمريكا، وعاقبته مما نعلم من أحكام الله الكونية وسننه القدرية. واليوم وبعد سبع سنوات أقول وَفْقاً لتلك الأحكام والسنن المبثوثة في كتاب الله وسـنة رسول الله ﷺ: إذا استمرت الإدارة الجديدة في ذلك المسار فهذا سيكون طريق التحلل والتفكك والاندحار، وقد يأتـي الوقت الذي يكتب فيه جيلنا، أو الجيل الآتي بعدنا عن (اندثار أمريكا)! فالخيار مفتوح أمام الإدارة الجديدة التي أفرط الناس في التغنِّي لها والتمني بها، فلتختر لنفسها طريق السلامة أو طريق الندامة.

إن تداعيـات ومضاعفـات ملحمة قيام المسـتضعفين المسلمين في أنحاء العالم في وجه الطاغوت الأمريكي الأهوج؛ كانـت الحقيقة الكبرى - بل الأكبر- في المتغيرات التي حاقت وستحيق بإمبراطورية الغرور وشـعبها المغدور، وما لم ترتدع إدارتها الجديدة عن معاداة الله بمعاداة أوليائه؛ فسوف نسـمع - بـإذن الله - المزيد من أخذ العزيـز المجيد الفعال لما يريد، فحقاً ما قال الله: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[2]، فما بال من يحارب كل أولياء الله من المسلمين في المشارق والمغارب؟

مواقف (أوباما) الأولية من قضايا المسلمين لا تبعث على كبير تفاؤل؛ فالرجل «المنحدر» من أصول إسلامية، والذي درس الإسلام في إندونيسيا في مدارس دينية؛ «يبشرنا» بأن القدس - مثلاً - لن تكون إسـلامية، بل ستظل صهيونية، بل عاصمة أبدية للعصابة اليهودية! وتعهَّد بنقل السـفارة الأمريكية إليها، وقد قال مرتدياً القبعة اليهودية: «أنا ملتزم بأمن دولة إسرائيل» واصفاً إياها بـ «الدولة المعجزة»! ولثقته المفرطة، في نصائح اللوبي الصهيوني. عيَّن الضابط السـابق المتطوع في الجيش الإسـرائيلي (رام إمانويل) مديراً عاماً لموظفي البيت الأبيض، بعد تعيين الصهيوني (جوزيف بايدن) صاحب مشـروع تقسيم

(١) وذلك في العدد (١٦٩)، ص (٨٨) رمضان ١٤٢٢هـ - ديسمبر ٢٠٠١م.
(٢) أخرجه البخاري: رقم (١١٦٣).



العراق؛ نائباً له! وعلى كشف مرشحيه لمنصب وزير الخارجية شخص يهودي هو (دينيس روس) مستشاره الشخصي لشؤون الشرق الأوسط... والبقية تأتي!

أمريكا - على كل حال - على مفترق طرق؛ فإما أن تبقى قوية بالعدل الذي تُمهَل به الأمم - ولو كانت كافرة، وإما أن تزول قوتها بالعدول عن ذلك العدل. وهذا هو التحدي الأكبر الذي يواجه (أوباما) لو كان يعلم؛ فتحديات الانتخابات التي اجتازها فأبهرت الناس به لن تكون شيئاً أمام تحديات المتغيرات المطلوبة منه، وعلى رأسها إنصاف العالم من مظالم الأمريكيين؛ خاصة في عهد بوش البائد. وإلا فإن عواصف التغيير الآتية يبدو أنها سوف تكون عاتية على (أوباما) وعلى أمريكا كلها؛ فذلك الرئيس الجديد نفسه مع إدارته قد يكونون نقطة تحول عظمى في تاريخ الشعب الأمريكي، وذلك لو رأوا سبيل الرشد فاتخذوه سبيلاً؛ أما إذا رأوا سبيل الغي فاتخذوه سبيلاً فقد مضى مَثَلُ الأولين.

إن الخطر الذي بدأ يُحْدِق بأمريكا؛ اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وأمنياً، في أزمات متتابعة، خلال سبع سنوات عجاف؛ هو - في رأينا - أكبر من قدرات (أوباما) وخبراته، حيث لن يستطيع ذلك «المخلِّص» أن يخلِّص أمريكا أو يؤمِّن مستقبلها، دون تغييرات جذرية، ستجعله يصطدم بأصحاب المصالح وملاك الشركات الكبرى عابرة القارات، وبخاصة شركات تجارة السلاح الجبارة الواسعة النفوذ، بل لن يستطيع أن يؤمِّن نفسه شخصياً، لا داخلياً ولا خارجياً؛ في ظل تناقضات عرقية عمرها عمر أمريكا نفسها؛ فـ (أوباما) نفسه معرَّض للاغتيال من بعض الجماعات العنصرية الأمريكية - كما حذر كثير من المراقبين - فعدد هذه الجماعات التي تسمى «جماعات الكراهية»؛ يصل إلى ٨٨٨ منظمة في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، وينضوي تحت إمرتها نحو مئة ألف عضو، وقد تضاعف عددها - بعد عام ٢٠٠٠م - بنحو ٤٧٪؛ بسبب تفاعل قضية (الغرباء) في أمريكا! وتلك الجماعات ترى أنه ليس من حق أي أمريكي غير أبيض أن يقود أمريكا إلا إذا كان من البيض (الأنجلوساكسون) ومن (البروتستانت)، ولهذا قُتل الرئيس الأسبق: جون كيندي (الكاثوليكي) سنة ١٩٦٣م وشقيقه (روبرت كيندي) سنة ١٩٦٨م، وفي العام نفسه قُتل داعية حقوق السود: (مارتن لوثر كينج)، وقبله قُتل الزعيم الأسود المسلم (مالكوم إكس) عام ١٩٧٠م. ومثل تلك الجماعات العنصرية المتطرفة لن تهدأ وهي ترى ذلك الأسمر المنحدر من أصول غير (ساكسونية) ولا (بروتستانتية) يضيف إلى فقدانه شروطهم للقيادة افتقاراً للقدرة على استعادة النفوذ والقوة والرفاه ووفرة المادة. وإذا ما حدث المحذور وأصيب الرئيس الأسود على يد «الرجل الأبيض»؛ فإن ذلك قد يفجر صراعاً عنصرياً أهلياً، تذوق أمريكا من ويلاته بعض ما أذاقت شعوب العالم التي طالما أشعلت فيها الحروب الأهلية، وآخرها العراق.

أمريكا ليست محصنة ضد الصراعات الداخلية؛ فقد سبق أن قامت فيها حرب أهلية استمرت من عام ١٨٦١م وحتى ١٨٦٥م، ونشبت بسبب المواقف من السود، فقد رأت إدارات عشر ولايات جنوبية في تلك السنوات ضرورة الإبقاء على نظام العبودية الذي يسمح بنظام السخرة للأفارقة؛ لأن الاقتصاد كان يعتمد على تشغيلهم، وأرادوا الانفصال من أجل ذلك، فدخلت ولايات الشمال الحرب ضدهم، واستعملوا السود في حربهم، حتى قُتل في تلك الحرب ٩٧٠،٠٠٠ قتيل، منهم ٦٢،٠٠٠ من الأفارقة!

الجميع يعلم أن الشعب الأمريكي لم ينتخب (أوباما) لمحاسن في (الحمار) الديمقراطي، بقدر ما اختاره لمساوئ (أصحاب الفيل) الجمهوري، إضافة إلى ذلك فإن اختلاف نتائج الانتخابات نفسها تؤسس لمرحلة من عدم تصالح ذلك الشعب مع نفسه؛ إذ إن الحزب الديمقراطي - حزب الأقليات - هو الذي حشد تلك الأقليات الملونة أو المتلونة، في مواجهة البيض الذين يعدون أنفسهم أصحاب البلاد الأصليين، ولذلك فإن ٩٥٪ من السود اختاروا (أوباما)، وأعطاه ٦٦٪ من اللاتينيين أصواتهم، بينما لم يحصل (ماكين) إلا على ٣١٪ من أصواتهم، أما البيض؛ فصوتوا لماكين بنسبة ٧٥٪! في دلالة بالغة على (عنصرية) تلك الديمقراطية التي يريد المهزومون منا الإيمان بها إقراراً بالجَنان وقولاً باللسان، وعملاً بالأركان!

من الغريب أيضاً أن (أوباما) حصل على ما نسبته ٧٨٪ من أصوات اليهود الأمريكيين، وهي أعلى نسبة أعطيت لمرشح ديمقراطي في السنوات العشرين الأخيرة، وقد بلغ ما أنفقه اليهود وغيرهم على حملة (أوباما) ما مقداره ٦٥٠ مليون دولار، وهي أغلى تكلفة لشراء رئيس في تاريخ الديمقراطية الأمريكية!

إذاً؛ هذه ليست فقط المرة الأولى لحكم الرجل الأسود؛ بل هي الأولى كذلك لتحالف السود مع اليهود في توجيه دفة مصير البيض ومصير أمريكا لسنوات عديدة مقبلة، وهذا مكمن الخطر ومنشأ القلق على مصير الأمريكيين من الحريصين على مستقبلهم. أما نحن فننتظر البرهان ولا نعوِّل كثيراً على الرهان.



رهانات مخطئة حول (أوباما)

د. باسم خفاجي(*)
contact@khafagi.net

مع قرب انتهاء مدة الرئيس الأمريكي (جورج بوش) وتولِّي خَلَفِه (باراك أوباما) منصبَ الرئيس الأمريكي القادم في ظهر يوم ٢٠ يناير من عام ٢٠٠٩م؛ تنتشر التحليلات السياسية والتوقعات الشعبية عن الدور الذي يمكن أن يلعبه الرئيس القادم في صياغة السياسة الأمريكية، وتنتشر مع هذه التحليلات الرهانات المخطئة والمفاهيم المغلوطة والرؤى المغالية؛ إما في التفاؤل أو التشاؤم، وتجر الأمة مع هذه التحليلات إلى الجنوح إما إلى المبالغة في السذاجة أو المبالغة في الولع بفكرة المؤامرة.

إننا بحاجة إلى قدر كبير من التعقُّل والاعتدال والبصيرة في التعامل مع أحداث الأعوام المقبلة.

أظهرت الأيام الماضية طَرَفَيْ نقيض في التعامل مع التوقعات حول إدارة (أوباما) القادمة:

فريقاً من المعجبين بشخصية (أوباما)، والظروف التي ساعدته على الوصول إلى أن يصبح «الرئيس المنتخب» القادم لأمريكا؛ أصبحوا يظنون أن أمريكا ستنفض عن كاهلها كل ما قامت به من جرائم خلال العقود الماضية، وأنها ستتحول في ليلة وضحاها إلى كيان عادل مناصر للعرب والمسلمين، ومحب للخير والسلام، وكأن الولايات المتحدة لم يكن يعيبها إلا إدارة (جورج بوش) ونائبه (ديك تشيني)؛ أو كأنهما لم يُنتخبا، وإنما جاءا ومعهما المحافظون الجدد في غفلة من التاريخ، أو رغم إرادة الناخب الأمريكي لفترتين رئاسيتين مع كل جرائمهم.

تصوُّرٌ أن أمريكا ستتحول عن كل مواقفها الإستراتيجية أو نزعاتها الإمبراطورية لمجرد انتخاب شخص يمكن الإعجاب به في البيت الأبيض، مقارنةً بالأحمق الذي يتولى المنصب حالياً؛ هو وَهْمٌ خادع ومضلل، وموقف مغالٍ في التفاؤل أيضاً.

أما الفريق الآخر - وبالدرجة نفسها من الجنوح بعيداً عن الحق - فإنه يرى أن أمريكا بلد «شيطاني» بالمطلق، وأنه لا يمكن أن يُرجَى منها أي درجة من الاعتدال، مهما تغيرت قناعات شعبها، أو أسفرت عنه نتائج انتخاباتها، وأنها صنيعة صهيونية وعميلة بالكامل للكيان الصهيوني، دون أدنى احتمال لأن يتغير هذا بأيِّ درجة أو بأيِّ نسبة، بصرف النظر عمن سيشغل البيت الأبيض، أو حتى بصرف النظر عن مصالح الولايات المتحدة نفسها. ويشعر هذا الفريق أن اختيار (أوباما) ليس إلا جزءاً من مؤامرة جديدة بشكل جديد على الشعوب العربية والإسلامية تحديداً، وأن (باراك أوباما) ليس إلا «شيطاناً» جديداً في ملمس ناعم، ولون جلد مختلف، ولكنه سيحمل الحقد نفسه على أمتنا، وسيلتزم بنمط السياسة المعادية لنا نفسه، وهو موقف مخطئ ومغالٍ في التشاؤم أيضاً.

هناك خطورة من أن تتحول الأمة عن الوسط والاعتدال إلى أقصى درجات التفاؤل، أو أقصى درجات التشاؤم والانفعال. نحن بحاجة إلى الفهم قبل الحكم، وإلى إدراك طبيعة اللحظة الراهنة في الحياة الأمريكية، وفي المتغيرات الدولية، وفي نتائج العولمة وتبعاتها، وأثر كل ذلك على الإدارة الأمريكية القادمة، وعلى مصالح أمتنا وحقوقها ومبادئها، وكيف يمكن توظيف الفهم الصحيح للواقع الدولي من أجل صحة الحكم على المجريات، وحسن الاستفادة منها لما ينفع

(*) مدير المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب، (ICAWS)، وباحث مهتم بالسياسات الدولية والعلاقة مع الغرب. للمزيد من المقالات يمكن زيارة موقع الدكتور باسم خفاجي، www.khafagi.net، أو التواصل عبر البريد الإلكتروني، contact@khafagi.net.

المجتمعات العربية والمسلمة.

هناك مفاهيــم مغلوطة ورهانات مخطئـة حول (باراك أوباما) يجب أن نعمل على سـرعة تصحيحها حتى لا تتحول إلى مسـلَّمات تجعل الرؤية الصحيحة للواقع الدولي عسيرة وغير ناضجة، ومن هذه الرهانات المخطئة أن (أوباما):

١ - نصير العرب والمسلمين:

لا شك أن (باراك أوباما) هو الرئيس الأمريكي الأول في تاريخ الولايات المتحدة الذي عرف عن الإسـلام، وعاش مدة من حياته في ديار المسـلمين، وتفهَّم قبل وصوله إلى الحكم بمدة طويلة رؤية العرب والمسلمين للعديد من القضايا، وعلى رأسها حقوق الشعب الفلسطيني.

تحدث (أوباما) مراراً عن ذلك، وعن علاقاته الشخصية بشـخصيات فلسـطينية معادية للكيـان الصهيوني، وهذا بالتأكيد أمر مهم وجديد على سـاكني البيت الأبيض، ولكن في المقابل لا بد من وضع أمرين في الحسبان:

الأمــر الأول: أن (باراك أوباما) قد نجح في هذه اللحظة الفارقة في الحياة الأمريكية لأنه ضد (جورج بوش) ولأنه حاول أن يظهر على أنه يركز على مصالح الشـعب الأمريكي أولاً، وهو كذلك غير مدين للقـوى الضاغطة الأمريكية بانتخابه، وهي سـابقة حقيقية في الحياة الأمريكيـة، وقد تجعل منه شخصاً متحرراً بدرجة محدودة من تلك الضغوط.

الأمر الثاني: أنه اسـتجاب بدرجة ما إلى الضغوط التي يمارسـها اللوبي الصهيوني منذ شهور عليه، وأظهر اختيـاره لـ (رام إيمانويل - وهو سياسـي أمريكـي متعاطف بقوة مع الدولة الصهيونية) لمنصب كبير موظفي البيت الأبيض؛ أنه لن يكون بمنأى عن تلك الضغوط الصهيونية طوال مدة رئاسته، وحتـى قبل أن تبدأ، كما أنه اختـار (جوزيف بايدن) لمنصب نائب الرئيس، وهو شـخصية معروفـة بولائها المعلن لمصالح الكيان الصهيوني.

لن يكون (باراك أوباما) نصيراً للعرب والمسـلمين؛ لأنـه لا يفترض فيه أن يكون كذلك ابتداء، ولأننا لن نمارس ضغطاً استراتيجياً مقابلاً للضغوط الصهيونية التي تجري ممارستها منـذ ظهر احتمال وصول (أوبامـا) إلى البيت الأبيض، وهنا مربط الفرس لنا.

(أوباما) قد يستجيب للضغوط من الموالين لمصالح العرب والمسلمين، ولو بدرجة بسيطة، ولكن إن لم نحمل نحن قضايانا إليه، ونحارب من أجل إدراجها ضمن أولويات إدارته، ونجتهد في أن يفهم العالم حقوق شـعبنا في فلسـطين على سـبيل المثال؛ فلن يناصرنا أحد فـي هذه الإدارة الأمريكية القادمة أو أي إدارة أخرى لمجـرد أن الحق بجانبنا. نحن بحاجة إلى القوة التي تخدم الحق، والمنطق القادر على الدفاع عن الحق، والضغـوط الملزمة للآخرين للاسـتجابة بدرجة ما لمطالبنا وليس بالضرورة لحقوقنا.

من أجل كل ما سبق لا نتوقع ولا نفترض أن يكون (أوباما) نصيراً للعرب والمسـلمين، ولا نظن في المقابل أنه سـيكون صديقاً مخلصاً للكيان الصهيوني.

سـيحاول (باراك أوبامـا) أن يتوازن في هذه المسـألة بالشـكل الذي لا يضرر برئاسـته أولاً، ولا يؤثر على فرصة إعادة انتخابه ثانياً، ولا يضر بمصالح الولايات المتحدة ثالثاً، ولا يتعارض مـع مبادئه الأخلاقية والسياسـية في الدرجة الرابعة والأخيرة.

٢ - سينفذ وعوده الانتخابية:

يظن المعجبـون بـ (بـاراك أوباما) في العالـم العربي والإسـلامي أن التزاماته الأخلاقية والحزبية أيضاً ستفرض عليه أن يلتزم بكل ما قطعه على نفسه من وعود خلال حملته الانتخابية؛ لذلك سينسحب من العراق، وسيعيد الحقوق المدنية الأمريكية إلى ما كانت عليه قبل الحادي عشـر من سبتمبر ٢٠٠١م، وقد يلتزم أيضاً بالحوار مع إيران وأفغانستان.

الوعود الانتخابيـة غير ملزمة للرئيس عند انتخابه، ولم يحدث في تاريخ أي رئيـس أمريكي أن حقق كل ما وعد به، والتزم بتنفيذه في حملته الانتخابية، بعد أن نجح في الوصول إلى مقعد الرئاسـة. هذا هو الواقـع، ولا يجب أن نغرق في التفاؤل بشأن ما سينفذه (أوباما) من وعود.

ومـن ناحية أخرى؛ يجب أن يدرك هذه النقطة نفسـها فريق المتشائمين في أمتنا، ومن يظنون أنه لمجرد أن (أوباما) ذكر في خطابه لدى اللوبي الصهيوني (إيباك) أنه سيلتزم بأن تكون القدس الموحدة عاصمة للدولة الصهيونية؛ أنه سـيفعل ذلك بالتأكيد.

(جورج بوش) قطع على نفسه وعلى إدارته الوعد نفسه، ولـم يحققه، وفعل مثلـه (بيل كلينتون)، ولـم يلتزم به، ومن

المتوقع أن يسـير (باراك أوباما) على النهج نفسه أيضاً. ولن يكـون (أوباما) بالضرورة صنيعة في يد اللوبي الموالي للدولة الصهيونيـة؛ لأنه ليس مديناً لهم، ولكنه يدرك حجم تأثيرهم وقوتهم، ومن ثم سيضع ذلك في حسبانه بالتأكيد.

من المهم أن ندرك أن هدف الوعود الانتخابية في الحياة الأمريكية هو تقديم أفضل صورة ممكنة لسياسـات المرشح الانتخابي، وأن الواقع بعد نجاح هذا المرشح يختلف كثيراً عن مدة الحملة الانتخابية، وأن بعض الوعود تُقطَع لا لكي تُنفَّذ، ولكن لكي يُنتخب المرشح.

بالتأكيد هذا أمر غير أخلاقـي، ولكنه متكرر ومعروف وشـائع في الحياة السياسـية الأمريكية، ولا يُتوقع أن يكون (باراك أوباما) مختلفاً كثيراً عن تصرفات السياسي التقليدي الأمريكي في هذا الشأن.

ليس وارداً أن ينفذ (أوباما) جميع الوعود الانتخابية التي يحلم بهـا المتفائلون في مجتمعاتنـا، ولا أن ينفذ كذلك كل الوعود التي يخشى من تنفيذها المتشائمون في عالمنا العربي والإسلامي. سينفذ (أوباما) ما يفيده من الوعود التي قطعها، ومـا يمكن له عمليـاً أن ينفذه بقدر مناسـب من المخاطرة السياسية، وليس أكثر من ذلك.

٣ - عديم الخبرة وضعيف الشخصية:

يعتقد بعض الناس أن الخبرة شرط أساسي في الرئاسة الأمريكيـة، ولكن هـذا غير صحيـح؛ لأن الإدارة الأمريكية تعمل وَفْق نظام مُحْكَم يسـمح لـمن لا يتمتع بالخبرة الكافية أن يحصل عليها في وقت قياسي، وبشكل لا يضر كثيراً بقوة الإدارة نفسها.

الأهم مـن الخبرة هو الحكمة السياسـية والقدرة على اختيـار القرار الصحيح من الخيـارات المتاحة، وبُعْد النظر، وهي أمور لا ينالها الإنسـان بالخبرة فقـط. أظهر (باراك أوباما) في سباق الرئاسـة أن لديه من الصفات الشخصية ما يؤهله للمنصب، وهو بالتأكيد ليس ضعيف الشخصية كما يحلو لبعضهم في الإعلام العربي أن يصفه.

الكثير من الرؤسـاء الأمريكيين في السابق لم تكن لديهم مؤهلات كافية لحكم الولايات المتحدة، ومنهم (رونالد ريجان) على سـبيل المثـال، و (جون كنيدي) كذلـك، ولكنهم حققوا لبلادهم ما تعدُّه أمريكا نجاحات لها، وسيكون (باراك أوباما) مـن هذا النوع من الرؤسـاء الأمريكيين ممـن يجيد إخفاء حداثة التجربة السياسـية تحت عباءة النظرة الثاقبة وإدراك احتياجات الناخب الأمريكي والاستجابة لها.

من المخاطرة الاستغراق في فكرة أن نقص الخبرة وضعف الشخصية سيكونان من عيوب الإدارة القادمة. إن أسلوب إدارة الحملة الرئاسية لـ (باراك أوباما) يؤكد قدرته على أن يحيط نفسـه بأفضل العقول المتاحة له، وأن يحسـن الاستفادة من مجموع خبراتهـم، وأن يوظفها لتحقيق الانتصارات لأهدافه هو، وليس لأهداف مَنْ حوله بالضرورة.

٤ - ليبرالي عَلْماني:

يُعرِّف الحـزب الديمقراطي الأمريكي بأنه الحزب الذي يرفـع راية الليبراليـة الأخلاقية والاجتماعيـة، وأنه كذلك يناصر حركات الشواذ والحركة النسـوية، وإبعاد الدين عن الحياة، والفصل الكامل بين الدين والسياسـة، والدعوة إلى الحريـات المطلقة. كل ذلك صحيح بالمجمـل، ولكنه لا يعني بالضرورة أن جميع مَنْ في الحزب الديمقراطي يعتنقون هذه الأفكار كاملة، أو يدافعون عنها.

يوجـد ضمن الحـزب الديمقراطي تيار ناشـط يجب الاهتمـام برصـده، ينتمي إليه (بـاراك أوبامـا)، هو تيار الوسـط الذي يميل إلى الجانب المحافظ، كما أن في الحزب الديمقراطي العديد من التوجهـات الأخرى ولها العديد من المسميات، وبعضها يندرج بالعموم تحت شعار «الديمقراطيين المحافظين»، وبعضها يندرج تحت التوجهات الليبرالية الأكثر ميلاً نحو العَلْمانية.

ويسـمى التيار الذي ينتمي إليـه (باراك أوباما) أحياناً بـ «اليسار الجديد»، ويطلق على مجموعة منهم أكثر محافظة داخل أروقة الكونجرس الأمريكي أيضاً مسمى «الكلاب الزرق - Blue Dogs»، وكلهـا في النهاية تدل على تيار يميل إلى الليبرالية في مجالات السياسـة وبعـض مناحي الاقتصاد، ولكنـه تيار أقرب إلـى التقاليد المحافظة فـي الموضوعات الاجتماعية والحقوقية والدينية أيضاً.

التيـار الذي ينتمـي إليه (باراك أوبامـا) داخل الحزب الديمقراطي تفوَّق على التيار الليبرالي التقليدي في الحزب، والـذي تنتمي إليه (هيلاري كلينتون)، وكانت هذه الانتخابات الرئاسـية تمثل ليس فوز الديمقراطيـين على الجمهوريين

وحسب، وإنما أيضاً فوز التيار الديمقراطي الوسطي والمحافظ داخل الحزب الديمقراطي على التيار الليبرالي العَلْماني اليساري في الحزب نفسه.

نحتاج في العالم العربي والإسلامي إلى عدد من الدراسات حول تيار «اليسار الجديد»، والمؤسسات الداعمة له، وتوجهاته الفكرية، ومراكز الفكر التي تدعمه، والقوى الضاغطة التي تعبِّر عن مصالحه؛ حتى نستطيع التعامل مع الإدارة الأمريكية القادمة. كما أننا بحاجة إلى دراسات حول فكر تيار «الديمقراطيين المحافظين»؛ لأن من المتوقع أن يقاوم هذا التيار بعض أفكار (باراك أوباما) في التحرير الاقتصادي ومواجهة الأزمات المالية في أمريكا وخارجها. هذه الدراسات تعدّ أولوية هامة في المرحلة الراهنة؛ حتى لا نقع في خطأ تصنيف (باراك أوباما) في إطار فكري يختلف عن منهجه وتصوراته، وسينبني على ذلك عدم إجادة التعامل مع تلك الإدارة الديمقراطية القادمة.

(أوباما) ليس ليبرالياً عَلْمانياً بالمفهوم الشائع لهذا المصطلح، ولكنه ديمقراطي يميل إلى الوسط اقتصادياً وسياسياً، ويميل إلى الفكر الديمقراطي المحافظ في المجالات الاجتماعية، ولا يعني ذلك التوصيف أنه أفضل من التوصيف الأول أو أسوأ، ولكنه مختلف بالتأكيد، ومن هنا يقع بعضهم في الرهان المخطئ على ما يمكن أن يفعله أو لا يفعله الرئيس (باراك أوباما) بعد أن يتولى المنصب الرئاسي.

٥ - ستكون إدارته القادمة «عادلة»:

يتخيَّل بعض المتفائلين أن غضب الشارع الأمريكي من الظلم الفادح الذي ارتكبته الإدارة الأمريكية الحالية في العديد من بقاع العالم، وحتى داخل الولايات المتحدة نفسها؛ سوف يفرز بالتأكيد إدارة جديدة «عادلة»، وهذا وَهْمٌ بالتأكيد. العدل مع الآخرين لم يكن يوماً من محددات أي إدارة أمريكية أو أي سياسة خارجية.

تحاول أمريكا دائماً أن تتغنى بتلك القيم الأخلاقية السامية، ولكن يدرك الجميع أن الدور الأهم لساكن البيت الأبيض هو الحفاظ على تفوُّق الولايات المتحدة، وأن «العدالة» مع الآخرين تقف في كثير من الأحيان عائقاً أمام تحقيق هذا التفوُّق، وأن الأهم في تلك المواقف أن تحافظ أمريكا على تفوُّقها، وليس على عدالتها.

لن تختلف الإدارة الأمريكية القادمة عن الإدارات الأمريكية السابقة في هذا التصور الاستراتيجي والمبدئي، وهو أن العدالة مع الدول الأخرى تأتي تالية للحفاظ على المصالح الأمريكية الحيوية والقومية.

هناك بعض التفاؤل بأن الظلم لن يمارس بالشكل الفاضح وغير الأخلاقي الذي مارسته الإدارة الحالية، وهذا صحيح بالمجمل، ولكن السياسات الأمريكية لن تكون أبداً «عادلة»، على الأقل في المنظور الزمني القريب، وستبقى أمريكا دائماً بلداً يقدِّر القوة ويعشقها، ويستجيب للأقوياء، ويرى منظار العدل بشكل نسبي، مرتبطاً بالقوة بدرجة كبرى، وبمصالح أمريكا بالتأكيد أيضاً.

٦ - لن يستطيع تغيير أي سياسة أمريكية:

هناك من يراهن على أن ما فعله المحافظون الجدد طوال السنوات الماضية لا يمكن تغييره في إدارة (باراك أوباما) القادمة؛ لأن التغيير الذي حدث كان عميقاً داخل العقلية الأمريكية، وداخل المؤسسات الحاكمة بأكملها، ولأن المحافظين الجدد لن يتخلوا عن السلطة ببساطة للقادم الجديد من التيار الفكري المضاد لهم.

ويرى هذا الفريق أن (باراك أوباما) لن ينجح بوصفه فرداً في تغيير أساليب الحكم الأمريكية القائمة؛ لأنها تتجاوز الأفراد؛ فأمريكا كيان مؤسسي لا يستطيع الفرد أن يغيِّر فيه كثيراً، ومن أجل ذلك؛ فإن هذا الفريق يرى أن أيَّ تفاؤل حول التغيُّر في السياسات الأمريكية هو مجرد وَهْم وتخدير للعقول، وإساءة قراءة للواقع الأمريكي.

وهنا يطالعنا خطأ متكرر يقع فيه بعض المحللين والمراقبين في عالمنا العربي والإسلامي، وهو إساءة قراءة اللحظة، والاعتماد على الأحكام المجملة والمطلقة في فهم مجتمع ديناميكي متغير ومختلف تماماً عن المجتمعات التي ألِفْناها، ويتخيل هؤلاء أن أمريكا في النهاية لا تختلف عن غيرها كثيراً.

لست ممن يؤمنون بالاستثنائية أو التفرد الأمريكي، ولكنه بالقطع مجتمع مختلف عن مجتمعاتنا العربية والإسلامية؛ فالمجتمع الأمريكي فيه الكثير من العيوب، ولكنه يتمتع بمميزات فريدة حققت للولايات المتحدة الأمريكية نهضتها المدنية والعمرانية والتقنية، وساهمت في قوتها السياسية

والعسكرية أيضاً، ومن أهمّ تلك الميزات الفريدة: قدرة الفرد في أمريكا على التغيير.

إذا أُتيحت للفرد في أمريكا فرص التغيير، وأحسن استغلالها؛ فيمكنه أن يحقق نقلات كبيرة في الحياة الأمريكية، وينطبق ذلك على السياسيين ورجال الدين ورجال الأعمال، وكل من يسعى إلى اقتناص فرصة النجاح في أمريكا، واستغلال ديناميكية المجتمع، وولعه بالتغيير لخدمة مصالحه.

لا نقصد هنا تزكية أمريكا، أو مدح المجتمع لغرض المدح أو الإفراط في الثناء في غير محلّه، ولكن الله - جل وعلا - علّمنا أن «العدل أقرب إلى التقوى» وأن ظلم أقوام لا يجب أن يمنعنا من العدل في الحكم عليهم.

(باراك أوباما) يملك فرصة حقيقية في تغيير بعض السياسات الأمريكية، أو قليل منها، ومن المؤكد أنه سيسعى إلى ذلك، وهي فرصة حقيقية لأن نكون كياناً ضاغطاً في المجتمع الأمريكي لحماية مصالح الأمة والدفاع عنها؛ لكي يساهم في أن يكون التغيير القادم أكثر استجابة لقضايا أمتنا.

هناك تغيير حقيقي سيحدث في الولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل القريب، ولنا الخيار في أن نبقى مشاهدين، أو أن نغمض أعيننا وندعي عدم وجود أي تغيير، أو أن نقتنص الفرصة ونضغط بكل ما لدينا من إمكانات كي يحمل هذا التغيير بعض الخير، أو درجة أقل من الشرور تجاه مصالحنا وقضايانا. الخيار في ذلك لنا، وليس لـ (باراك أوباما)، والتغيير بلا شك قادم.

٧ - ليس عنصرياً، ولن يستخدم ورقة العنصرية:

(أوباما) «أسود اللون» في بلد لم يتعود على احترام غير البيض. هذه حقيقة سادت في أمريكا طوال قرنين من الزمان، ولن تتغير فقط لأن الشعب الأمريكي اختار (أوباما) انتقاماً من بوش، أو للتعبير عن ضيقه من (جون ماكين) أو لإعجابه بإصرار (أوباما) أو لحاجته إليه بوصفه خياراً وحيداً متاحاً لحلّ الأزمة الاقتصادية.

(باراك أوباما) لم يكن لينجح لولا أنه استخدم ورقة الخلفية العرقية بذكاء شديد لتحييد عنصرية البيض من ناحية، ولحشد الأنصار من الأقليات العرقية الأمريكية (سود، لاتينيين، عرب.. إلخ) من ناحية أخرى.

(أوباما) لم يتجاهل العنصرية، ولكنه طوّعها لخدمة حملته الانتخابية، ومن المتوقع أن يستمر في محاولة استخدامها في مدة رئاسته أيضاً؛ لأنها تعطيه الكثير من الحماية، فمن السهل أن تهاجم كل من ينتقد (أوباما) على أنه «عنصري»، ومن السهل على (أوباما) أن يحشد الأقليات خلفه؛ لأنه «أسود»، وأن يحاول أن يقدم صورة جديدة عن الحياة الأمريكية يحتل فيها غير الأبيض مكانة طبيعية وإنسانية حُرِمَ منها طوال العقود الماضية بأشكال متعددة ومقززة أيضاً.

ستشهد أمريكا في المرحلة القادمة نوعاً من العنصرية المضادة؛ وذلك أن الأقليات العرقية ستمارس ما يمارسه (باراك أوباما) من الازدواجية في التعامل مع ورقة العرق؛ لتحييد العنصرية البيضاء ومهاجمتها من ناحية، وتقوية العنصرية العرقية السوداء من ناحية أخرى.

ستزحف هذه العنصرية المضادة بهدوء ولكن بدرجة متسارعة إلى المشهد الفكري والسياسي، وقد يكون لها تبعات خطيرة على تماسك المجتمع الأمريكي، أو على سلامة الرئيس القادم ونجاته من محاولات اغتيال تغذيها النظرة العنصرية، أو الانتقام العنصري.

(باراك أوباما) يستخدم ورقة العنصرية بذكاء شديد، ولكنها ورقة حساسة وخطرة، وقد يتحول استخدامها في المستقبل القريب إلى خطأ استراتيجي قاتل للرئاسة الأمريكية القادمة.

من المهم لنا أن نُحْسِن قراءة واقع العنصرية والعنصرية المضادة في الحياة الأمريكية، وتبعاتها السياسية والاجتماعية، ولا ننسى أن أغلب المسلمين في القارة الأمريكية هم من المسلمين «السود»، وقد يتحول تعاطفهم الشديد في هذه المرحلة مع (باراك أوباما) إلى نقمة شديدة مضادة إذا لم يشعروا أنه قد استجاب لطموحاتهم وقضاياهم بدرجة كافية أو بسرعة كافية، وقد يتسبّب ذلك في إشعال فتيل العنصرية من ناحية، واتّهام الإسلام بها من ناحية أخرى أيضاً.

من المهم أن يهتم الدعاة والمصلحون وقادة المجتمع المسلم في القارة الأمريكية بدراسة هذا الأمر، واختيار الأسلوب الأنسب للتعامل معه، مع إدراك أن (باراك أوباما) سيستخدم

ورقة الخلفية العرقية بذكاء وبمخاطرة متصاعدة أيضاً.

٨ - رئيس أمريكي، ونجاحه أو فشله شأن داخلي:

ظهرت أصوات وآراء متعددة في الإعلام العربي تنتقد الاهتمام بالانتخابات الأمريكية، وتركز على فكرة أن انتخابات أمريكا شأن داخلي لا يجب أن ننشغل به. ولا شك أن في ذلك بعض الصحة؛ لأن المغالاة في هذا الجانب قد تكون غير مبررة وغير نافعة أيضاً. لكن من المهم أن ندرك كذلك أن الرئاسة الأمريكية لم تعد شأناً داخلياً فقط، بل إنها تؤثر بقوة على مصالح وحقوق وقضايا عربية وإسلامية هامة وعاجلة وإنسانية أيضاً.

الرئيس الأمريكي القادم سيحتاج إلى علاج كارثة العراق، وإنهاء الاحتلال، والتعامل مع أزمة أفغانستان، وأزمات دارفور، وأسعار النفط، والأزمة المالية العالمية، وحقوق شعب فلسطين، واستمرار الهجوم الغربي على الإسلام، وكلها قضايا هامة ومحورية في حياة الكثير من أبناء مجتمعاتنا.

للرئيس الأمريكي القادم دور رئيس في التعامل مع تلك الأزمات، وقد حدث ذلك - بلا شك - بسبب التدخلات الأمريكية، وحدث بسبب العولمة أيضاً، ويرجع إلى أخطاء وقعت فيها أمتنا كذلك، ولكن المحصلة النهائية أن انتخاب الرئيس الأمريكي وشكل الإدارة القادمة هما من الاهتمامات التي لها بُعد محلي واضح للمواطن العربي والمسلم؛ لذلك فإن نجاح هذا الرئيس القادم أو فشله لم يعد شأناً أمريكياً داخلياً فقط، بل إن تبعاته على قضايا الأمة ومصالحها واضحة.

٩ - مُوالٍ للوبي الصهيوني (إيباك) وسيخدم مصالحه:

ظهر في أمريكا في العام الماضي انقسام حاد داخل الكيانات الضاغطة الموالية للكيان الصهيوني حول أمرين، هما: هل من صالح ذلك الكيان الحرب أم السلام؟ والأمر الثاني: حول توظيف الدين في خدمة المشروع الصهيوني.

كما ظهر على الساحة الأمريكية في الأعوام الأخيرة تيار متعاطف مع الكيان الصهيوني، ولكنه معارض للوبي المعروف باسم (إيباك) (AIPAC).

التيار الجديد أعلن عن نفسه في العامين الماضيين تحت اسم (جي ستريت) (J-Street)، وهو تيار يرى أن خدمة مصالح الكيان الصهيوني تقتضي السعي نحو السلام، وأن الدين لا يجب توظيفه في خدمة «الدولة الصهيونية» لأن المشروع العَلْماني والليبرالي أقدر على خدمة مصالح ذلك الكيان.

وحدث مؤخراً نوع من الانقسام، أو لنقل: تقاسم الأدوار؛ بحيث إن (جي ستريت) أصبحت أكثر ارتباطاً بالتيار الديمقراطي في أمريكا، ومالت (إيباك) إلى مناصرة التيار الجمهوري بقوة أكبر.

تكمن أهمية الحديث عن ذلك في أن كلاً من (باراك أوباما) وكذلك نائبه (جوزيف بايدن) يميلان إلى التعاطف مع ذلك التيار الجديد، ويبادلهما تيار (جي ستريت) الإعجاب والتعاون والمساندة.

ومن المتوقع أن يكون تأثير هذا التيار على الإدارة الأمريكية القادمة أقوى وأكثر وضوحاً من تأثير اللوبي الصهيوني التقليدي المعروف بـ (إيباك).

ومن الخطأ أن نتصور أولاً أن (أوباما) لن يناصر الكيان الصهيوني، فهذا خطأ، ولكنه سيقدم أطروحة تميل إلى أن السلام هو الخيار الأفضل لمساندة ذلك الكيان، وليس المزيد من الحروب والعنف.

ومن الخطأ أيضاً أن نتصور أن (أوباما) و (بايدن) سيخضعان إلى كل أوامر (إيباك) فلن يحدث هذا بالضرورة، ولن يكون معناه حينها التخلي عن الكيان الصهيوني، وإنما دعمه بشكل مختلف، وبعيداً بدرجة ما عن تأثيرات أو إملاءات (إيباك).

هذا التحول من المهم أن يُرصَد بشكل صحيح، وأن يتم التعرف على توجهات التيار الجديد الموالي للكيان الصهيوني، والمتعاطف مع اليسار ومع الحزب الديمقراطي؛ لأنها ظاهرة سياسية جديدة في الولايات المتحدة الأمريكية.

ومجمل القول أن هناك العديد من المفاهيم المغلوطة والرهانات المخطئة حول (باراك أوباما)، وقد حاولنا في هذا المقال التعرض لبعض هذه المفاهيم، ولا شك أن الأحداث والأيام القادمة ستُظهِر المزيد من النقاط التي يجب أن تُصَحَّح، والرهانات المخطئة التي تحتاج إلى علاج، ولذلك؛ فإن هدف هذه الدراسة لم يتركز فقط على سرد المفاهيم المخطئة، وإنما الأهم هو التركيز على الحاجة إلى الفهم الصحيح للواقع والمتغيرات، وقراءة هذه اللحظة الفارقة قراءةً واعية، والاستفادة منها لصالح مجتمعنا العربي والإسلامي.



المقاومة.. أين مشروعها أمام استراتيجية الفتنة الشاملة؟

طلعت رميح(*)

لِمَ نطرح هذا السؤال؟ الأسباب عديدة، لكنها تتلخص في ثلاثة جوانب أساسية:

أولاً: أن فراغاً للقوة حادث في الوقت الراهن في منطقتنا، بعد هزيمة المشروع الأمريكي لاحتلال العراق والانطلاق مما يتأسس على أرضه وفي مجتمعه من تغييرات ونُظم؛ لإعادة تغيير هوية المنطقة بصفة شاملة، ولأن مخاطر متصاعدة على الهوية باتت موجودة من جانب مشروع آخر هو المشروع الإيراني؛ لعدم امتلاك النظام الرسمي العربي مشروعاً حضارياً شاملاً، وهو ما هيَّأ الفرصة لإيران للاندفاع لإنفاذ مشروعها الخاص المتناقض بدوره مع الوضع الحضاري والسياسي لمنطقتنا.

جرى إعطاب المشروع الأمريكي وعرقلته من قِبَل المقاومة، ولم تتمكن لا هي ولا النظام الرسمي العربي من بلورة مشروع عربي إسلامي واضح الملامح وقادر على تحقيق المصلحة العربية الإسلامية ومواجهة التحديات؛ كما يواجه المشروع الإيراني الذي طرح نفسه بديلاً عاماً وشاملاً، وهو ما حقق فراغاً واضحاً.

ثانياً: لأن حالة تعدد الأقطاب الدولية جارية على ساحة تشكيل التوازنات الاستراتيجية التي ستحكم العالم في العقود المقبلة بديلاً لحالة الانفراد الأمريكي بالسيطرة على العالم بالقوة العسكرية، في ضوء الضعف المتنامي للقدرات الأمريكية في الهيمنة على العالم وتعميق نمط القوة الأحادية المسيطرة، وبسبب الصعود المتنامي لقدرات قوى دولية أخرى، مثل: الصين، وروسيا، والهند، والبرازيل وغيرها، وهو ما يهدد بإعادة إنتاج وضع تقسيم الأمة بين تلك القوى الدولية الصاعدة، وهو ما يتطلب وجود رؤية واضحة لمشروع عربي إسلامي يواجه تلك الأوضاع الجديدة ويحدد ملامح لبروز قطب عربي إسلامي ولو في ملامحه المفاهيمية.

ثالثاً: لأننا أمام ضرورة لطرح السؤال حالياً بشكل خاص؛ إذ إن مغادرة الرئيس الأمريكي (جورج بوش) لموقعه في رئاسة الولايات المتحدة لا تعني بالنسبة لنا: مجرد تغيير روتيني داخلي في هذا البلد وَفْق قواعد اللعبة الديمقراطية الأمريكية وآلياتها، وإنما تأتي مرتبطة بعملية تغيير كبرى في استراتيجية الولايات المتحدة، أو لنَقُل: في الخطط والأساليب العامة لإنفاذ الخطط الاستراتيجية «المعدلة»، إذ الولايات المتحدة تتحول من اعتماد أساليب القوة الصلبة بالدرجة الأولى في منطقتنا إلى أساليب القوة الناعمة - بالدرجة الأولى أيضاً - وهو ما يتطلب من الخصم الاستراتيجي لها (المقاومة) تعميق رُؤاه ومفاهيمه وأدواته ضمن مشروع واضح الملامح والأبعاد، حيث إن مواجهة القوة الصلبة تتطلب استخداماً لأدوات مكافئة على صعيد تلك القوة، كما أن مواجهة خطط القوة الناعمة تتطلب بالدرجة الأولى وضوح المفاهيم والرؤى والخطط.

(*) رئيس تحرير مجلة (استراتيجيات) - القاهرة.



فراغ القوة:

حين بــدأت الولايات المتحــدة حملتها العســكرية على الأمة الإســلامية فأنزلــت قواتها في أفغانســتان والعراق، وحرَّضت إثيوبيا لإنــزال قواتها لاحتلال الصومال، وتحركت باتجاه الضغط الشــامل على السودان؛ كانت تستهدف بذلك الســيطرة على الثروات والمواقع الاستراتيجية، وَفْق أهداف كل المســتعمرين، لكن ظاهرة الاستعمار كانت تجري في هذه المرحلة وَفْق نمط مختلف.

كان الاختــلاف الجوهري هــو أن تلــك الحملة جرت وســط شــيوع ظاهرة العولمة وتغلغلها والتي جعلت استخدام القوة العســكرية مرتبطاً على نحو أوســع وأشمل بالمفاهيم العقائدية والفكرية والثقافية على نحو غير مسبوق في توسعه وشموليته.

وإذا كانت الجوانب العقائدية والفكرية والثقافية حاضرة من قبلُ في كل الحملات الاســتعمارية؛ فإنها في هذه الفترة أصبحت ظاهرة وواضحة بشــكل قاطع، كما أنها باتت مزودة بوسائل وقدرات بالغة التأثير، إضافة إلى أن الإدارة الأمريكية - التي جرت هذه الحملة في ظل حكمها - هي الأشد وضوحاً في عقيدتها ونمط صراعها الحضاري مع الأمة الإســلامية بشــكل خاص، وهو ما يجعل تغيير الهوية أحد أهمِّ أســس الحملة العدوانية الأمريكية الشاملة ضد الأمة.

ونتــج عن تلــك الهجمة أن توســعت فــي المقابل حالة المقاومة العســكرية والسياســية والفكرية، كما صار ينجلي البُعد العقائدي في الصراع بشــكل متصاعد، بعدما فشــلت كل الأيديولوجيات والكيانات السياســية القديمة في التعامل مع التحديات المســتجدة؛ فقد انتهت المرحلة الأولى من الغزو إلى هزيمة فكرة استخدام القوة العسكرية، فتحولت الولايات المتحدة إلى استراتيجية الفتنة الشاملة في المنطقة وَفْق آليات القوة الناعمة؛ الظاهر من أســاليبها والخفي، كما هي الحال في العراق ودول المنطقة ومجتمعاتها.

وهو ما جاء متواكباً مع الاندفاع الإيراني باتجاه منطقتنا ومحاولة طــرح المشــروع الإيراني بوصفه مشــروعاً بديلاً للمشــروع الأمريكي، وهو ما جعــل المنطقة واقعة بين قوتين ومشــروعين، دون مشــروع متبلور وواضح من داخل المنطقة ذاتهــا؛ إذ إن النظــام الرســمي العربي ما يــزال في حالته المتراجعة والمترددة، إلا في تصعيد الخلافات العربية.

كما أن المقاومة لم تتمكن بعدُ من طرح مشروع متكامل لها، كما أن أوراق اتِّساقها مرتبكة، فقد دفعت الحاجة ببعضها إلى دول تساندها - في ظل الوضع العربي الرسمي الحالي - لبناء علاقات مع إيران، وهو ما أظهر هذه الأخيرة بوصفها مساندة للمقاومــة، في ظرف تعمل فيه كلياً ضــد المقاومة العراقية، كما تلعب الدور الفاعل في تفكيك المجتمع العراقي ومساندة السلطة التي شــكلتها الولايات المتحدة فور احتلالها للعراق، كما أنها المشروع الأعلى لإشعال الفتنة في المنطقة.

إعادة ترتيب العالم:

وإن كانت منطقتنا على هذه الحال؛ فإن العالم يشهد إعادة تأسيس معالم القوة والقدرة ومراكز التأثير في القرار والنفوذ والسيطرة في العالم، وَفْق ثلاث ظواهر رئيسية بارزة:

أولاً: يشــهد العالم تصاعداً في معالــم القوة الاقتصادية والعسكرية والسياســية لدول تطرح نفسها بوصفها مشروعات متطــورة لتحتل بذلك مراكز بين الــدول الكبرى أو تتحول إلى أقطــاب دولية؛ كما هي حــال الصين والهند. كما أن روســيا تعــود إلى تطوير أوضاعها لتتحوَّل مــرة أخرى إلى دولة عالمية الاســتراتيجية والتأثير. وفي ذلك لا يبدو أننا أمام إعادة ترتيب العالم، ونحن بعيدون عن التأثر المباشــر بهذا التغيير في مراكز النفوذ والسيطرة والقوة دولياً؛ إذ العكس هو الصحيح، حيث إن أمتنــا هي من يضم الدول المتصارع عليها فعلياً، بعد أن نهضت كثيــر من الدول الأخرى في العالــم، وصعَّدت من عوامل قوتها وقدرتها؛ إذ تضم آســيا أقوى الدول الإقليمية إلا قليلاً، والقليل هذا هو الدول الإسلامية. كما أن الأوضاع في أمريكا اللاتينية تشهد تنامي قدرات العديد من الدول الناهضة.

ولعلَّ المثال الســوداني واحد من أهمِّ المؤثرات على ذلك، فقد تم استخراج البترول السوداني من خلال شركات صينية وهندية وماليزية في مناطق الجنوب، كما أن شــركة البترول الوطنيــة الصينية هي من حصل على حق التنقيب عن النفط فــي دارفور، وهو ما حرك صراعاً دولياً يتزايد تدخل الصين

فيه بشكل متنام بسبب مصالحها الاقتصادية المتنامية هناك.

وفي مسألة الهند تبدو أفغانستان واحدة من مراكز التأثر بالصعود الهندي الذي وصل هناك حداً متطوراً، في محاولة من الهند لتطويق باكستان من الفناء الخلفي لأمنها القومي، وهو ما جعل أفغانستان نقطة صراع بين باكستان والهند، بعد أن كانت عمقاً استراتيجياً لباكستان.

ثانياً: تتطور الأوضاع الدولية نحو الظهور المتزايد لتأثير الدول الإقليمية أو المحورية في السياسة الدولية. ولدينا في هذا المجال نموذجا تركيا وإيران؛ فخلال أسبوع واحد فقط من الأشهر القليلة الماضية قامت تركيا بتحركات باتجاه الأزمة الروسية - الجورجية؛ فقد قام رئيس وزرائها (رجب طيب أردوغان) بزيارة البلدَيْن وعمل على إيجاد مشروع لحل الأزمة بينهما، كما وصل إلى الأراضي التركية الرئيس الإيراني (أحمدي نجاد)؛ لتُسجِّل تركيا أنها البلد الأول بين أعضاء حلف الأطلنطي الذي يزوره «نجاد»، وخلال الزيارة أعلن عن جهود تركية لحل أزمة البرنامج النووي الإيراني. ومن قبلُ بدأت تركيا ممارسة دور في الصراع العربي - الصهيوني، من خلال العمل بوصفها وسيطاً ومقراً للمفاوضات الصهيونية - السورية غير المباشرة، كما تحركت تركيا باتجاه العراق من خلال الزيارة التي قام بها (أردوغان) إلى بغداد والاتفاقيات التي وقعها مع الحكم الحالي هناك... إلخ.

إذاً: نحن أمام تحركات تركية واسعة في الإقليم، بل في المحيط الدولي، وعلى صُعُدٍ رئيسية، فتركيا التي تتحاور مع الاتحاد الأوروبي للانضمام إليه؛ تمارس دوراً في محيطها الإقليمي المباشر، في دول القوقاز وروسيا (في أعلى جغرافيتها)، كما أنها تمارس دوراً في محيطها الجغرافي الجنوبي ممثلاً في المنطقة العربية، وكذا الحال بالنسبة لإيران في شرقها وفي غربها.

والحاصل أن العالم لا يسير فقط نحو تعدد الأقطاب الدولية؛ ببروز الصين والهند والاتحاد الأوروبي، واستعادة روسيا دورها - وكل ذلك حسم من محاولة الهيمنة الأمريكية على العالم - وإنما العالم يشهد أيضاً تصاعداً في دور الدولة الإقليمية المحورية، إذ تظهر جنوب إفريقيا بوصفها دولة إقليمية محورية في إفريقيا، وكذا حال البرازيل في أمريكا اللاتينية، إلى جانب إيران وتركيا وغيرهما في آسيا.

وإذا كان المثال الإيراني هو الأكثر سطوعاً في إظهار أن صراعات الدول الكبرى وممارساتها على الصعد كافة إنما تصب في مصلحة الدول الإقليمية؛ إذ انتهت المغامرات الأمريكية في العراق وأفغانستان لمصلحة بروز الدور الإيراني وتأثيره على المحيط؛ فإن نمط التحرك التركي نموذج مهم آخر، فقد اختطت تركيا لنفسها نمطاً متميزاً في بناء دولة إقليمية مؤثرة في المحيط على المحاور كافة دون خوض حروب وبلا ممارسات عدوانية، ولا يبدو في ذلك أن الدول العربية والإسلامية المحورية تسير على الطريق نفسه لاحتلال مراكز التأثير في المحيط.

ثالثاً: نحن أمام تهاوٍ متصاعد الوتائر لمعالم قوة الولايات المتحدة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، وإذا كانت أوضاع الاقتصاد الأمريكي هي حالة عامة واضحة المعالم (تصاعد الدَّيْن الخارجي والبطالة وتباطؤ النمو الاقتصادي وتهاوي قيمة الدولار)؛ فإن الأحداث الدولية الراهنة تُظهِر مجدداً أن الولايات المتحدة في تراجع؛ ففي الأزمة الجورجية نحن أمام تحوُّل في استراتيجية روسيا للهجوم؛ لتقليص ما حققته الولايات المتحدة خلال مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق، أو بمعنى أدق: نحن أمام التحول الثالث في الاستراتيجية الروسية التي كانت في حالة الدفاع عن وجود روسيا خلال مرحلة حكم (يلتسين) فانتقلت إلى مرحلة البناء والتطوير خلال حكم (بوتين) لتنتقل من بعدُ إلى مرحلة الهجوم وتنظيف الجوار الجغرافي في الوضع الراهن.

وفي أزمة كوريا الشمالية لم تتمكن الولايات المتحدة من إنفاذ خطتها، بل خرجت الصين رابحة في الحفاظ على القدرات النووية لحليفتها الاستراتيجية وعلى مكانتها في التأثير في إدارة التوازنات الدولية وتعديلها؛ من خلال تصدير التكنولوجيا العسكرية المتطورة للدول المناهضة للولايات المتحدة.

وفي أمريكا اللاتينية؛ فإن الولايات المتحدة بات نفوذها



ينتقل من تراجع إلى آخر على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية؛ بسبب تنامي حالة المواجهة مع النفوذ الأمريكي، مع تنامي قوة العلاقات البينية بين دول القارة وتصاعد معالم القوة الاقتصادية المشتركة.

ما بعد بوش:

إن العالم في مرحلة (ما بعد بوش) أمام تحولات هامة في الاستراتيجية الأمريكية؛ فقد كانت مرحلة (بوش) تعبيراً عن نقل التركيز الأمريكي من أوروبا ما بعد انتهاء المواجهة مع الاتحاد السوفييتي؛ إلى تركيز الجهود على دول العالم الثالث - وهي في أغلبها دول إسلامية - لتعميق النفوذ الأمريكي، أو لنقل: لإحكام السيطرة الأمريكية عليها، وخاصة تلك التي تحتوي أراضيها على الثروات الاستراتيجية، أو تلك التي تحتل مراكز جيو - استراتيجية، وكل ذلك باستخدام أقوى ما لدى الولايات المتحدة، أي: القوة العسكرية المتطورة تكنولوجياً.

لقد كان ذلك هو ما دفع الولايات المتحدة إلى احتلال أفغانستان والعراق، حيث إن الأولى تمثل المنطقة الرخوة في آسيا وذات الموقع الاستراتيجي؛ لقربها من الصين والهند وباكستان وإيران، والثانية لوقوعها في نقطة الحدود العربية الإيرانية ولحدودها مع إيران وتركيا، ولاحتواء باطن أرض جغرافيتها على مخزون بترولي هائل، وهو السبب ذاته الذي دفع بالولايات المتحدة إلى تقليص وجودها العسكري في أوروبا وتحويله إلى منطقة القوقاز وآسيا الوسطى، وهو السبب نفسه أيضاً الذي دفع بالولايات المتحدة إلى تشكيل قوة أمريكية خاصة لإنفاذ الاستراتيجية الأمريكية في إفريقيا (أفريكوم).

وفي تصور مرحلة (ما بعد بوش) فإن الاتجاهات الرئيسية لن تتغير كثيراً، لكن أساليب إنفاذ تلك الاستراتيجية وطرائقها ستشهد إعادة ترتيب في أولويات تحقيقها، إذ الأغلب أننا سنرى الولايات المتحدة وقد قلَّصت من مساحة استخدام القوة العسكرية في رأسها الاستراتيجي لحساب وسائل القوة الناعمة، وهو ما بدا خلال الفترة الثانية من حكم (بوش) منذ صدور تقرير (بيكر هاملتون) وهو ذاته يجعل التساؤل أشد إلحاحاً من ذي قبل حول مشروع المقاومة؛ لا حول النشاط العملياتي لها.

والقصد هنا ليس ما إذا كانت أمريكا ستستخدم القوة ضد إيران، وإنما القصد هو الاستراتيجية العامة في منطقتنا - فالولايات المتحدة لن توقف استخدامها للقوة العسكرية - إذ سيجري التركيز على أساليب الإعلام وطرح الأفكار، وتسييد النمط الحضاري الأمريكي في الحياة العادية للناس، ومنح مزيد من الدعم للتيارات الليبرالية ذات الارتباط بإنفاذ الاستراتيجية الأمريكية، وممارسة أساليب الضغط والترهيب السياسية والدبلوماسية لتطويع الإرادات، وأشكال متعددة ومتنوعة من إثارة الفتن وتوسيعها من خلال آليات داخلية، إضافة إلى ممارسة أعمال الاغتيال وتشكيل المجموعات المسلحة المعادية للمقاومة؛ لحرف اتجاهات المقاومة وإنهاك جهودها وتشويهها أيضاً... إلخ.

مشروع الأمة:

حين أقول: (مشروع المقاومة) فأنا أقصد - فيما أحسب - المعنى العام، أي: مشروع الأمة؛ حيث إن المقاومة هي المعنى الشامل لمسألة التفكير والتخطيط والبناء المستقبلي للأمة. وإذا كان النظام الرسمي العربي والإسلامي لم يتمكن من الصمود والمواجهة ومن تأسيس مشروع لبناء الأمة؛ فإن القوى الناهضة في الأمة وإن تقدَّمت مساحات تأثيرها؛ فإنها ما تزال غير قادرة على إنتاج مشروع كبير وإنضاجه لإعادة بناء الأمة وتطويرها بما يتناسب مع قدرات الأمة والتحديات التي تعانيها أو تواجهها، خاصة في ظل توزع بعضها بحكم الضرورات أو الأخطاء أو المفاهيم المختلة أو المختلطة بين رؤى ومشروعات متعددة.

الأمر اللافت هو أن تقدماً حدث في توسع ظاهرة المقاومة وتحولها إلى نمط شامل على أسس عقدية وفقهية أشد وضوحاً ودقة، مع محاولات للاقتراب من أساليب التخطيط والفهم، لكن ذلك كله لم يصل بها إلى حد القدرة على إيجاد مشروع مشترك واضح المعالم، وهو ما أضعف قدرتها على الاستفادة من مرحلة الارتباك الأمريكي على النحو الممكن، كما أنه يسمح للمشروع الإيراني بالتغلغل، وربما يثير الاضطراب خلال المرحلة التالية من حكم الولايات المتحدة بعد رحيل (بوش).



هل تصبح أفغانستان مركز مقاومة المشروع الأمريكي بدلاً من العراق؟

د. محمد مورو(*)

كثيـــر من الأمور والأحداث تقود الآن في اتجاه أن تصبح أفغانســـتان المركز الرئيسي لمقاومة المشـــروع الإمبراطوري الأمريكي، بعد أن كانت العراق ولمدة عامين (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م) هي ذلك المركز أو البؤرة الرئيسية لتلك المقاومة، ولكن هناك الكثير من الأســـباب الموضوعية والذاتية التي تقود الآن في اتجاه أن تصبح أفغانستان هي ذلك المركز، وخاصة أن المقاومة الأفغانية تـــزداد قوة كل يوم، بينما تعانـــي المقاومة العراقية عدداً من المشـــكلات والمعضلات التي أثرت على عملها كثيراً وأدَّت إلى نوع من التراجع بعد أن كانت قاب قوســـين أو أدنى من تحقيق نصر استراتيجي على الولايات المتحدة.

ما أســـباب تراجع الدور العراقي المقـــاوم وزيادة الدور الأفغاني المقـــاوم؟ ثم ما التداعيات المتوقعة من ذلك التطور؟ هذه وغيرها أسئلة ينبغي الإجابة عنها؛ خاصة بعد أن وصل الأمر بالمقاومة الأفغانية إلى أنها أصبحت تسيطر على الكثير مـــن المناطق والمحافظـــات في جنوب البـــلاد وغربها، وبعد اعتراف قادة حلف الأطلنطي بالفشل في أفغانستان وبحثهم المســـتمر عن طريقة لمنع الانهيار هناك، ولعل حادثة الهجوم على السجن الرئيسي في محافظة قندهار وتفاصيلها المثيرة؛ تكشـــف عن مدى القوة التي وصلت إليها حركة طالبان، وما وصلـــت إليه أمور القوات الحكومية وقـــوات الناتو المتمركزة في أفغانستان من تخبُّط وتفكُّك، فقد استطاعت قوات تابعة لحركة طالبان أن تقوم في وضح النهار باقتحام الســـجن عن طريق دفع شـــاحنتين محمَّلتين بالمتفجرات إلى سور السجن، ثم الدخول بـدراجات نـاريـــة وقتل الحـراس أو هـروبهم، ثم



إطلاق ســـراح أكثر من ألف ســـجين بينهم ٤٠٠ من عناصر طالبان الذين كانوا محبوســـين داخل أسوار هذا السجن، بل وهروب هؤلاء المحرَّرين إلى مناطق آمنة بعد ذلك.

وهذا يعنـي أولاً: أن طالبان باتت تملك المقدرة العسكرية والتخطيطيـــة والخيال الخصب، وأنهـــا - من ثم - باتت في حالة قوة لا يُســـتهان بها، وأنها تحظى بالرضى الشعبي إلى درجة أن تتحرك بكل هذه القـــوات ولا يبلِّغ أحد عنها لتأتي الطائرات الأمريكية لقصفها، وأنها تكتمت على الاستعدادات التـــي تمت لهذه العملية، وهو ما يدل على تماســـكها الأمني والاستراتيجي.

ومن ناحية ثانية؛ فإن تنفيذ العملية وإنهاءها وعدم تحرك قـــوات الناتو وقوات الحكومة والطيـــران التابع لحلف الناتو لصدِّ تلك العملية وإفسادها؛ يعني: أن هناك خللاً كبيراً داخل معسكر الحكومة وأوساط حلف الناتو أدَّى إلى شلل شبه كامل، وقد يقول بعضهم: إن قوات الحكومة هي التي تعاني العجز؛ لأنها لم تتحرك لمنع اقتحام السجن وقد كانت قريبة من موقع الحادث، وإن قوات الناتو كانت بعيدة عن موقع الحادث؛ ومن ثم فلا يمكن إلقاء اللوم عليهـــا، وهذا الكلام تنقصه الدقة؛ لأن هنـــاك طائرات تابعة لحلف الناتو يمكنها - على الأقل -

(*) رئيس تحرير مجلة (المختار الإسلامي) - مصر.

المشاركة بسرعة، ولكن الذي حدث أنه لا طائرات شاركت، ولا قوات من الناتو، ولا قوات من الحكومة، وهو ما يكشف الخلل الخطير والكبير في الموضوع، ويؤكد أيضاً أن زمام المبادرة في أفغانستان بات في يد قوات طالبان.

وعلينا أن نرصد في هذا الصدد أن طالبان التي انهزمت عام ٢٠٠١م وسقطت من السلطة؛ استطاعت أن تعيد تنظيم صفوفها، وتسير في اتجاه طردي نحو الفاعلية والثورة، وأن مسيرتها في ذلك لم تكن متذبذبة كما هي الحال مع المقاومة العراقية، بل إن طالبان تزداد قوة يوماً بعد يوم. ورغم أن الدول الغربية عموماً وافقت الولايات المتحدة على غزو أفغانستان وشاركت بقواتها من خلال حلف الناتو في ذلك الغزو، في حين عارض بعضها غزو العراق؛ إلا أن طالبان صمدت أمام هذا الإجماع الغربي بما له من تداعيات عسكرية وإعلامية، واستطاعت إقناع شعبها - بل والشعوب العربية والإسلامية - بأنها حركة تحرر وطني، وليست حركة تطرف وإرهاب.

ويجب هنا أن نعترف بأن ممارسات طالبان رغم الظروف الدعائية والسياسية غير المواتية معها؛ كانت أفضل بكثير من ممارسات المقاومة العراقية، أو بعض فصائلها الكبيرة على الأقل، والتي دخلت في معارك طائفية أو عشائرية لا مبرر لكثير منها. وأنه على حين كانت المقاومة العراقية تعاني من نوع من الانقسامات وكثرة الفصائل وظهور أمراء وإمارات بلا مبرر في بعض المناطق، ثم للأسف الشديد نجاح الأمريكان في اختراق الصف السني، وهو الحاضن الأساسي للمقاومة، وإنشاء ما يسمى بـ (الصحوات) «جمع صحوة» وهو الأمر الذي أضعف المقاومة كثيراً وأدّى إلى تراجعها؛ فإن المسألة بالنسبة لطالبان كانت مختلفة، فهناك قيادة موحدة للمقاومة، والتشرذم والانقسام غير مؤثرين أو غير موجودين أصلاً، والشعب الأفغاني يلتف حول المقاومة خصوصاً في مناطق البشتون، ثم إن هناك دعماً هاماً من القبائل على الحدود الباكستانية، وهو الأمر الذي يعني: أن المقاومة الأفغانية - وتحديداً طالبان - ستصبح بؤرة مقاومة المشروع الأمريكي في المنطقة.

وفي الحقيقة؛ فإن الانتصار الأفغاني سيكون أخطر على أمريكا والغرب من الانتصار العراقي؛ لأن الانتصار العراقي كان من الممكن تطويقه عن طريق الفتن الطائفية والحصار الإقليمي والتمدد الإيراني الذي لن يكون متواتياً مع المقاومة العراقية.. وغيرها من العوامل. أما طالبان فهي أولاً قوة إسلامية معتدلة، نجحت في إقناع شعبها، ولها امتدادات هامة في باكستان «طالبان باكستان»، ولا تعاني الانقسام والتشرذم، ومن ثم فإن انتصارها سيعني ليس فقط تحول أفغانستان إلى بؤرة لمواجهة المشروع الأمريكي، بل سيعني أيضاً - وَفْقاً لنظرية (الدومينو) -: تساقط الكثير من النفوذ الأمريكي في آسيا، بل يمكن أن تتحول باكستان إلى بؤرة أخرى مجاورة.

وفي الحقيقة؛ فإن كثيراً من الأمور تساعد في تحول أفغانستان إلى بؤرة مناهضة للمشروع الأمريكي في العالم، منها: الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي أصابت الرأسمالية العالمية، ومنها: خروج اليمين الأمريكي المحافظ من البيت الأبيض وصعود (باراك أوباما) الديمقراطي الأسود، وحتى لو كان هناك تحالف مع الرئيس الباكستاني الجديد (آصف زادة) وحكومة حزب الشعب الباكستاني؛ فإن (أوباما) ليس مثل (جورج بوش)، و (آصف زادة) ليس مثل (برويز مشرف). ومن أكبر العوامل المساعدة في هذا الصدد: بدء الصراع العلني بين أمريكا والغرب وحلف الناتو من ناحية وروسيا من ناحية أخرى؛ خاصة بعد أحداث جورجيا، ومن ثم فإن المسألة تزداد صعوبة بالنسبة لأمريكا على أكثر من مستوى.

ولو تم هذا لكان معناه بداية نهاية أمريكا في العالم، بل بداية نهاية المشروع الغربي برُمَّته الذي صعد منذ ثلاثة قرون ثم ها هو يبدأ في النزول، وربما كان ذلك بداية عهد العالمية الإسلامية الثانية. ولا ننسَ أن الهزيمة الأطلسية في أفغانستان هي هزيمة للغرب كله وليس لأمريكا وحدها؛ لأن معظم دول الغرب تساهم في المجهود العسكري في أفغانستان من خلال حلف الناتو، والأخطر أنها تساهم في المجهود السياسي والدعائي، وأنها كانت ولا تزال مؤيِّدة وموافقة للغزو والاحتلال الأمريكي لأفغانستان، في حين عارض بعضها الغزو الأمريكي للعراق.

إما الحرب وإما الحرب..

خيارات المصالحة الصومالية المرة

حسن محمد إبراهيم(*)

تُعقَد اجتماعات المصالحة في العادة لإنهاء حرب قائمة أو درء حرب متوقعة قد توفرت أسباب نشوبها؛ سواء كانت هذه الحرب بين دول أو جماعات أو قبائل، ومن هنا تكون الخيارات المطروحة للحل متضمنة في العادة حزمة من البدائل الكفيلة بإنهاء الحرب أو درئها أو تأجيلها على الأقل ويكون الاختيار من بينها، وكثيراً ما يختار الفرقاء الخيار الأمثل بعد مداولات وأخذٍ وردٍّ لم يقصر فيها أحد الطرفين عن الانتصار لرأيه واستيفاء حقه، وغالباً ما يصاحب مثل هذه الاجتماعات جوٌّ من الاستبشار والتفاؤل، ويكثر الحديث عن الإيجابيات التي سوف تتمخض عنها؛ إلى درجة أن ذلك يؤثر في الأسعار وصرف العملات.

بيدَ أن الظاهرة الصومالية شذَّت عن هذه القاعدة، فهي من نوع فريد قلَّ أن يوجد له مثيل في الأعراف السياسية الدولية المعاصرة؛ فمؤتمرات المصالحة الصومالية التي بدأت بُعَيْدَ سقوط نظام زياد بري والتي لم تتوقف إلى الآن؛ لا تُعقد في العادة لإنهاء الحرب وإحلال السلام، وإنما تُعقد لإحداث تغيُّرات في المشهد السياسي الذي لم يَرُقْ للجهات المستثمرة للأزمة الصومالية. والخيارات المطروحة في هذه الاجتماعات محدودة؛ بل هي محصورة في: (أحلاهما مرٌّ) والوصفة فيها جاهزة وهي: إما الحرب وإما الحرب. وبتعبير أدق: المطلوب فيها هو إغلاق بعض جبهات الحرب وفتح جبهات أخرى؛ وذلك بجمع بعض فرقاء الأمس في اجتماع تصالحي يعقد بينهم شراكة مصيرية قائمة على محاربة الأطراف التي غابت عن الاجتماع، علماً بأن استثناء تلك الأطراف عن الاجتماع كان بإشارة من راعي الاجتماع وعرّابه.

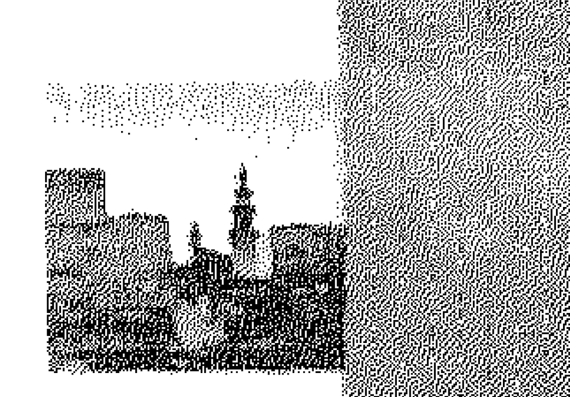
وفي العادة لا تتمخض اجتماعات المصالحة الصومالية إلا عن حرب أهلية مدمرة، وهذا ما حدث عقب كل اجتماع؛ بدءاً باجتماع جيبوتي عام ١٩٩١م وانتهاء بمؤتمر إمبغاتي بكينيا عام ٢٠٠٣م؛ لذلك لا يراهن عليها الصوماليون ولا يعدُّونها بادرة حسنة بل يعدُّونها - بحكم تجربتهم - بداية فصول جديدة من الصراع، وفي الأغلب تبدأ المواجهات فور الشروع في تطبيق قرارات الاجتماع، وغالباً ما تنتهي هذه المواجهات بإسقاط مشروع الاجتماع برُمَّته وعند ذلك يبدأ التحضير لاجتماع آخر يغيِّر بعض مكونات اللعبة في مسلسل درامي لا ينتهي إلى أن يأذن الله بالفرج.

وإن تسأل: لماذا لم تُؤْتِ كل هذه الاجتماعات أُكلها - والتي بلغت سن رشدها (١٥ اجتماعاً) باجتماع جيبوتي الأخير - فالجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن هذه الاجتماعات لا تُعقد في الأصل لإنهاء أمد الحرب، وإنما تُعقد لأغراض أخرى بيَّتها عرَّابوها، وهذا ما يمكن رؤيته بالعين المجردة عند بدء سريان مفعولها على أرض الواقع، وهذا ما يستفز الأطراف غير المشاركة ويجعلها تبذل قصارى جهدها لمنع تمكين الواقع الجديد الذي من أجله عقد الاجتماع، وفي الغالب لا تملك تلك الأطراف أفضل من السلاح لإجهاض ذلك والبدء من مربع الصفر الأول الذي لم تكن فيه الغلبة لطرف على حساب الأطراف الأخرى.

الوجه الثاني: يقول المثل الصومالي: إذا فشل الحوار في الوصول إلى نتيجة إيجابية فهناك أحد أمرين: الأول: أن هناك شيئاً ما أُقحم في الموضوع وليس منه، والثاني: أن هناك شيئاً ما كان من مكونات القضية وأُخرج منها؛ لأن

(*) رئيس تحرير مجلة (المحجة) التي تصدر في مقديشو سابقاً.

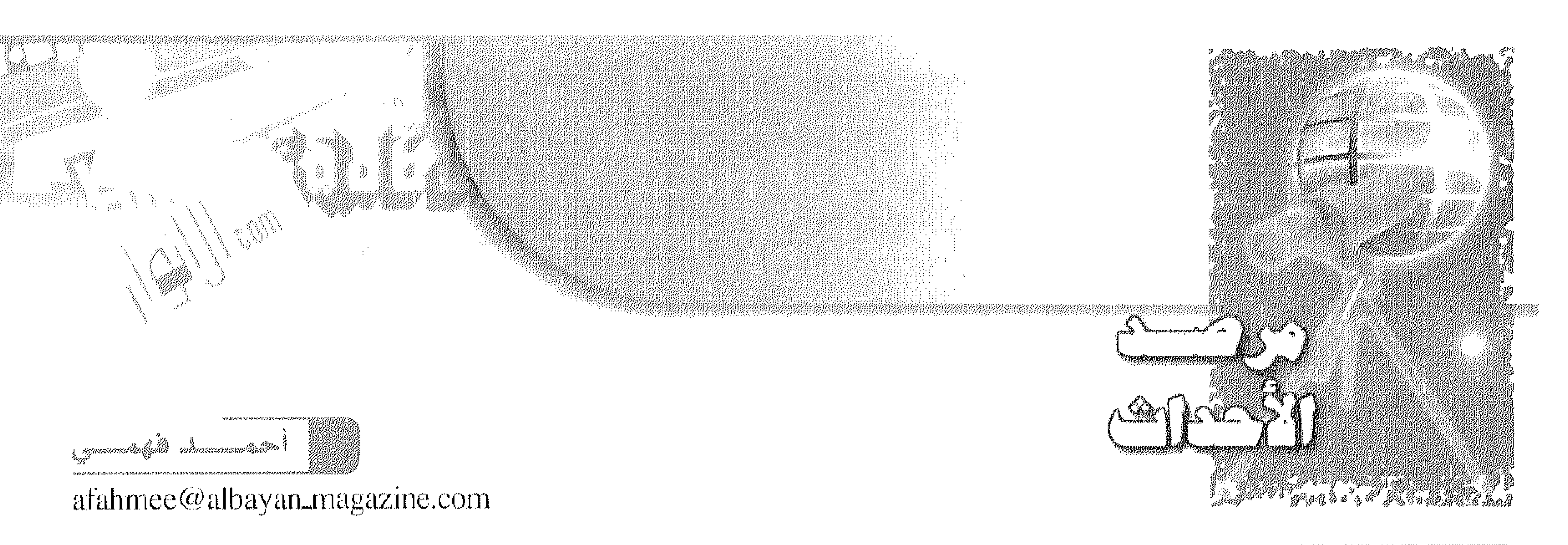


إدخال شيء غريب عن القضية فيها يفسدها ويجعلها عصية على الحل، كما أن استثناء بعض المكونات الأساسية للقضية - موضوع الحل - عن الحل يزيد الطين بلّة ويعمق جذور الأزمة، فهل سلمت اجتماعات المصالحة الصومالية من هذا الثنائي المفسد بما في ذلك اجتماع جيبوتي الأخير؟ الإجابة هي: أنها لم تسلم من ذلك؛ بل كانت تحمل في طياتها من المفسدات ما هو كفيل بأن يجعل حصادها مراً ونتائجها مزيداً من الاحتراب الداخلي.

ولم تسلم هذه الاجتماعات من إقحام مصالح دولية وإقليمية فيها؛ بحيث احتلت تلك المصالح الصدارة وأصبحت فيما بعد الهدف الأساسي الذي عُقدت من أجله تلك الاجتماعات، في حين تصبح فيه المصلحة الصومالية تبعاً وربما غير مأخوذة في الحسبان؛ فالدول الراعية للاجتماع هي التي توظفه لمصالحها الإستراتيجية، وهي التي تفرض إقصاء الأطراف غير المرغوب فيها؛ لعدم مواءمتها للأجندة المطروحة المتضمنة لمصالح الجهات الخارجية. وإقصاء تلك الأطراف التي تشكل جزءاً أساسياً من مكونات الواقع الذي يراد حله - هذا الإقصاء لا يعني أن الحل يكمن في ذلك، وإنما يعني تجاهل ما لا يمكن تجاهله عمداً وعن سابق إصرار؛ سعياً إلى فرض أمر واقع تستفيد منه تلك الجهات الخارجية الراعية لاجتماعات المصالحة الصومالية.

وكان الأَوْلى أن تكون المصلحة الصومالية العامة ثم مصلحة المقاومة هي المهيمنة على اجتماعات المصالحة التي تكون المقاومة طرفاً فيها؛ بحيث تخلو من أن توظَّف لأهداف خارجية أخرى، وكان ذلك يقتضي أن تتدارس فصائل المقاومة خيارات المصالحة والنتائج التي قد تتوصل إليها قبل أن يجلس طرف منها مع الخصم حول مائدة مستديرة أو مستطيلة؛ لتحصين الجبهة الداخلية من التشرذم، ثم إذا تم الاتفاق بين أطراف المقاومة على مشروع المصالحة الوطنية والالتزامات التي يمكن تحمُّلها والعروض التي يمكن القبول بها؛ شُرع في تشكيل لجنة التفاوض التي تمثل جميع الأطراف، ثم إذا تم التوقيع على معاهدة أو وثيقة تفاهم مع الخصم رجع كل من أطراف اللجنة إلى من يمثله لتمرير بنود الاتفاقية عبر الأجهزة الرسمية لكل فصيل، وبعد ذلك يتم الإعلان عن الاتفاقية ويشرع الجميع في تنفيذها حرفياً، وإلا فكيف يمكن لطرف بمفرده أن يضمن وقفاً لإطلاق النار لم تلتزم به أطراف المقاومة الأخرى؟!

وهذا هو عين ما جرى في اجتماع جيبوتي الأخير الذي لم يحضره من طرف المقاومة إلا جناح من تحالف تحرير الصومال الذي انقسم بسببه إلى شطرين، مع أن فصائل المقاومة الأخرى مثل: الجبهة الإسلامية وحركة الشباب المجاهدين - علاوة على جناح أسمرا من تحالف التحرير الذي لم يبدِ ممانعته لعقد مصالحة بين التحالف وبين الحكومة الانتقالية إلا بعد أن علم أن الأمر قد قضي على عجل - لم تكن ممثلة في اجتماع جيبوتي؛ بل لم يتكلف أحد من الأطراف المنظمة للاجتماع عناء الاتصال بها فضلاً عن استدعائها إلى حضور الاجتماع، ولا يخفى أن ذلك لم يحدث بمحض المصادفة وإنما حدث وَفْق خطة تعتمد على تصويب سلاح المقاومة - الذي أنهك القوات الإثيوبية الغازية - إلى صدور أبناء المقاومة؛ ليبدأ بذلك فصل جديد من التناحر بين رفاق الأمس الذين جمعهم خندق المقاومة؛ علماً بأن اتفاقية جيبوتي بين تحالف تحرير الصومال - جناح جيبوتي - وبين الحكومة الانتقالية قد نصَّ في بنده السابع على أن تحالف التحرير سيُدين كل الأعمال العدوانية، ويتبرأ من كل الجهات والأشخاص الذين لا يلتزمون ببنود جيبوتي! وهل يعني ذلك إلا أن الحرب الكلامية قد بدأت، والحرب مبدؤها كلام؟ فهل في ذلك مصلحة صومالية عامة أو خاصة؟ أم أن ذلك هدية مجانية للاحتلال والمتآمرين على الصومال؟ الراجح أن ذلك لا يخدم المصلحة الصومالية العامة ولا الخاصة بما في ذلك مصلحة المقاومة، والمؤكد أن سُحُب الحرب الداخلية بين فصائل المقاومة قد انعقدت على سماء ميادين المقاومة، فهل تفلح قيادات المقاومة في درء هذا الشبح؟ وهل بالإمكان تفويت الفرصة على أعداء هذه الأمة الذين يقتاتون من سفك دمائها بيد أبنائها؟ أم أننا على موعد مع حرب خاسرة لا مغلوب فيها ولا غالب ويكون الضحية فيها آلاف الأبرياء من الشعب الصومالي؟ وهل هناك من خيارات غير الحرب؟ أم أننا مخيَّرون بين الحرب والحرب؟ الإجابات متروكة لقيادات فصائل المقاومة، وأرجو ألا نعدم منهم مواقف حازمة تُحقَن فيها الدماء وتُصان فيها الأعراض وتُراعَى فيها المصالح العامة ويُحافَظ فيها على مكتسبات المقاومة ومنجزاتها.



أحمد فهمي
afahmee@albayan_magazine.com

التسول على الطريقة الاستخباراتية

ذكرت مصادر فلسطينية في غزة أن العدو الصهيوني يقوم بالاتصال برقم جوال يخص مواطناً معيناً من خلال رقم وهو (+٠) حيث يقول المتصل لصاحب الجوال: «إن لك مكافأة ١٠ آلاف دولار إذا أخبرتنا عن مكان الجندي الأسير جلعاد شاليط».

وحاول أحد الفلسطينيين أن يتعرف على المتصل من خلال سؤاله: «من أنت؟» فتبيَّن أنها أسطوانة وضعتها المخابرات الصهيونية لإمكانية الاتصال بأكبر عدد ممكن من المواطنين لتلقى حجم استجابة مع هذا الطلب التجسسي».

وتشير المصادر الأمنية الخاصة إلى أن العدو الصهيوني يقوم كل فترة بمحاولة استحداث أساليبه الاستخبارية في الحصول على المعلومات بشكل عام وبشأن «شاليط» بشكل خاص، وفي اتصال هاتفي مبرمج آخر عبر أسطوانة أيضاً طُلِب من مواطن بأن يتابع مواقع (النت) التي ذكرتها له الأسطوانة الصوتية: «في حال حصلت على معلومات عن الجندي الأسير (جلعاد شاليط) أرسلها إلى موقع الـ .... أو موقع...... أو الضغط على الجوال على الرقم (١)»، وفي الاتصال نفسه تحاول المخابرات الصهيونية إقناع المواطن وتشجيعه لتلبية طلبها فتقول له: «إن الكثير يرسلون لنا معلومات...».

[المركز الفلسطيني للإعلام ١٠/١١/٢٠٠٨م]

لا يحلو الإرهاب إلا بنكهة «إسلامية»

تم تقديم مواطن بريطاني غير مسلم (نيل لوينغتون) له ميول نازية إلى المحاكمة بتهم تتعلق بالإرهاب، وكشفت لائحة الاتهام الموجهة ضده أن الشرطة ألقت القبض عليه في ٣٠ أكتوبر الماضي، بعد محاولته تفجير محطة قطار (لواستوفت) في منطقة (سافولك) شمال شرقي إنكلترا.

ويلفت الانتباه إلى أن وسائل الإعلام البريطانية لم تهتم بإفشال المخطط الذي كان يزمع (لوينغتون) (٤٣عاماً) تنفيذه مثلما اهتمت في الماضي بالمتهمين بالإرهاب من المسلمين الذين ثبتت ضدهم التهم أو الذين أثبتت التحقيقات براءتهم من التهم التي وجهت إليهم.

تضمنت لائحة الاتهام التي وجهت ضد (لوينغتون) ١١ تهمة، عشر منها مصنَّفة بوصفها مخالفات لقانون الإرهاب لعام ٢٠٠٠م، وتهمة واحدة مصنفة بوصفها مخالفة لقانون المتفجرات لعام ٢٠٠٦م. ووَفْقاً للائحة الاتهام سافر (لوينغتون) من مسقط رأسه في مدينة (ريدينغ) الواقعة غرب لندن إلى بلدة (لواستوفت) وفي حوزته عبوتان ناسفتان من صنع منزلي.

وتبيِّن لائحة الاتهام ضد (لوينغتون) أنه متَّهم بحيازة عدد من المواد التي لها علاقة بالتخطيط، كما كلَّف آخرين للقيام بعمل إرهابي والتحضير له والحض على تنفيذه، ومن ضمن المواد التي تم ضبطها وقدمت إلى المحكمة بوصفها دليلاً على تورط (لوينغتون) في العمل الإرهابي: عبوتان ناسفتان، وسبعة أجهزة توقيت، وأربع علب تحتوي على مادة كلوريد الصوديوم ومادة أخرى خاصة بقتل الأعشاب، وثلاث كريات من النوع المستعمل في لعبة كرة المضرب، إضافة إلى عدد من الأصابع التي تستعمل في المواقد لإشعال النار في الحطب أو الفحم.

وكان أبرز المرفقات التي تضمنتها لائحة الاتهام التي قدمها الادِّعاء العام إلى المحكمة بوصفها أدلة لإثبات التهم: بطاقة عضوية في الفرع البريطاني لتنظيم «وافن إس إس» النازي مع دفتر ملاحظات صغير تضمن رسومات وملاحظات مكتوبة بخط اليد، إضافة إلى كتاب يحمل اسم «القنبلة المضادة».

[الرأي الكويتية ٨/١١/٢٠٠٨م]

عبدة «أتاتورك» يهبون من جديد

انتفض عَلْمانيو تركيا مرة أخرى دفاعاً عن رمزهم (مصطفى كمال أتاتورك) الذي يجلّونه إلى درجة «التأليه»، وذلك إثرَ عرض فيلم جديد يظهر حياة (أتاتورك) في صورة رجل وحيد يحتسي الخمر بشراهة وتساوره الشكوك والمشاعر وذلك في ذكرى مرور ٧٠ عاماً على وفاته.

ويقدِّم الفيلم الوثائقي (مصطفى) - الذي يرصد حياة (أتاتورك) من طفولته إلى وفاته في العاشر من نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٣٨م - الزعيمَ التركي بصورة دقيقة تكشف عيوباً نادراً ما شوهدت من قبل، وهو ما أثار غضب العَلْمانيين الذين نادوا بمقاطعته وقالوا: إن الفيلم مخطط مُعَدٌّ لإهانة «الهوية التركية»، واستقطب الفيلم كمًّا هائلاً من التعليقات في الصحف والتلفزيون منذ بدء عرضه قبل شهر، وشاهده نحو نصف مليون مشاهد في الأيام الخمسة الأولى من العرض.

وذكرت صحيفة تركية أن الفيلم - الذي بلغت ميزانيته مليون يورو - «أسقط (أتاتورك) من على قاعدة التمثال».

وهاجم أذناب العَلْمانية التركية الفيلم في وسائل الإعلام مطالبين بمنعه، وكتب الصحفي (بيجيت بولوت) في صحيفة (وطن العَلْمانية) يقول: «هذا الفيلم الوثائقي نتاج جهود لإهانة (أتاتورك) في عيون الشعب التركي»، وأضاف: «لا تشاهدوه وامنعوا الناس من مشاهدته، والأهم من هذا كله أبعدوا أطفالكم عنه لتتجنبوا زرع بذور إهانة (أتاتورك) في اللاوعي عندهم».

وفي يوم ذكرى وفاته في التاسعة وخمس دقائق صباحاً انطلقت صافرات المصانع وتوقفت وسائل النقل ووقف تلاميذ المدارس في وضع الانتباه وهو طقس يتبعه الأتراك منذ ٧٠ عاماً إحياءً للحظة وفاته.

[بتصرف عن ميدل إيست أون لاين ١١/١١/٢٠٠٨م]

سورية تنتقم من (الشهال)

رفض داعي الإسلام الشهّال - أبرز رموز التيار السلفي في لبنان - اتهامات بالارتباط بتنظيم «فتح الاسلام». وقال في تصريح صحافي خلال وجوده في عمان: إن ما نسبه شريط اعترافات «خلية تفجير دمشق من وجود صلة بينه وبين التنظيم عارٍ عن الصحة»، وأكد أنه «غير متوارٍ عن الأنظار» وأنه غادر لبنان قبل صدور الشريط السوري بصورة قانونية وطبيعية، وأضاف (الشهال) أنه سيعود إلى لبنان عندما ينهي جولته الحالية.

واتهم (الشهال) السلطات السورية بمحاولة إضعاف حضوره وقوته في المجتمع السنِّي من خلال إيراد اسمه في الشريط، ويذكر أن (الشهال) كان له دور كبير في إحباط محاولة (حزب الله) اختراق التيار السلفي في لبنان من خلال عقد اتفاقية مصالحة مع بعض المجموعات ذات الحضور الشعبي الضعيف.

[بتصرف عن الرأي ١٢/١١/٢٠٠٨م]

بحر الأنفاق.. هل يبتلع الصهاينة؟

نشرت صحيفة «معاريف» العبرية بتاريخ ٢٤/١٠/٢٠٠٨م تقريراً تحدثت فيه عما أسمته «ازدهار بناء الأنفاق في قطاع غزة»، لافتة إلى أن «حركة حماس تستغل التهدئة في هذه الفترة من أجل بناء مدينة تحت الأرض».

وقال (عامير ربابورت) المحلِّل العسكري للصحيفة في التقرير: «هناك بناء في غزة لا نراه، لكنه مزدهر. نحن نعرف هذا من خلال الطلب على الإسمنت من إسرائيل، فلا يمكن ملاحظة إلى أين يذهب الإسمنت من خلال البناء في الميدان».

وأضاف أنه «في أنحاء القطاع لا يوجد بناء متعدد الطبقات تقريباً، حتى إن عدد العمارات المنخفضة التي لا تزال قيد البناء حالياً قليل»، مستخلصاً أن «من لا يبني إلى الأعلى فإنه يبني في الأعماق، وغالبية البناء ينفذ في هذه الأيام سراً تحت الأرض».

(أبو مازن) يُضيع ورقة التوت

في تصريحات أثارت دهشة كثيرين قال رئيس السلطة الفلسطينية (أبو مازن): إنه لا يوجد أيُّ معتقل سياسي لحماس في الضفة الغربية، وقال (ياسر عبد ربه): «اعطوني اسم عنصر أو مسؤول أو وزير من حماس معتقل لدى أجهزة الأمن الفلسطينية بالضفة، وأتحدى أن يكون هناك معتقل سياسي لحماس، أو لغيرها من الفصائل». وفي الوقت نفسه تؤكد قيادات حماس والجهاد أن سجون السلطة ممتلئة بالمئات من عناصر الحركتين، وقال (أبو القسام) من قيادات الجهاد: «نحن نتحدث عن خطوة خطيرة تطمح من خلالها السلطة إلى طي ملف المعتقلين بإبقائهم في السجون وذرِّ الرماد عنهم في أي حوار قد يعقد، وهو ما يشكل حالة خطر عليهم بالتوجه لتسليمهم إلى العدو الصهيوني في أي صفقة».

[بتصرف عن المركز الفلسطيني للإعلام ١١/١١/٢٠٠٨م]

رجال أمن مهاجرون

أصدرت وزيرة الداخلية البريطانية (جاكي سميث) قراراً بتوجيه طلب إلى (مايك ويلسون) الرئيس التنفيذي لسلطة الصناعة الأمنية؛ لتقديم استقالته نتيجة توظيفه ٣٨ حارساً أمنياً مهاجراً في مراكز حساسة، من دون التحقق من هوياتهم وماضيهم الشخصي، وبعض هؤلاء كان مسؤولاً عن الأمن الشخصي لرئيس الوزراء البريطاني (جوردن براون). [وكالات]

سلام سلاح

ذكر تقرير للكونغرس أن قيمة صفقات الأسلحة الأمريكية في شتى أنحاء العالم ارتفعت نحو ٥٠٪ عام ٢٠٠٧م؛ لتصل إلى ٢٤,٨ مليار دولار، مقارنة بنحو ١٦,٧ مليار دولار في عام ٢٠٠٦م. وذكرت هيئة الأبحاث في الكونغرس في التقرير السنوي الذي يحمل تاريخ ٢٢ أكتوبر؛ أن الولايات المتحدة استحوذت على نسبة ٤١٪ من الصفقات العالمية، تلتها روسيا بإجمالي ١٠,٤ مليار دولار أو ١٧,٣٪. وذكر التقرير - الذي حمل عنوان «شحنات الأسلحة التقليدية إلى البلدان النامية ٢٠٠٠ - ٢٠٠٧م» - أن بريطانيا احتلت المركز الثالث، حيث بلغت قيمة صفقات الأسلحة ٩,٨ مليار دولار بارتفاع عن ١,٤ مليار دولار في عام ٢٠٠٦م.

[رويترز ٣١/١٠/٢٠٠٨م]

(سارة بايلن) تدعو الله

قالت (سارة بايلن) المرشحة السابقة لمنصب نائب الرئيس الأمريكي عن الحزب الجمهوري في إشارة إلى احتمالات ترشحها مرة أخرى في انتخابات الرئاسة: إنه إذا أراد لها الله أن تصل إلى البيت الأبيض فهي تأمل أن يدلها على الطريق، وأوضحت: «أقول في نفسي: حسناً؛ يا إلهي! إذا كان هناك باب مفتوح لي في مكان ما. هكذا أصلي دائماً. أقول في نفسي: لا تفوتي فرصة الدخول في هذا الباب المفتوح. دلني (يا إلهي!) أين يوجد هذا الباب المفتوح»، وقالت أيضاً: «وإذا كان هناك باب مفتوح في العام ٢٠١٢م أو بعده بأربع سنوات وإذا كان شيئاً جيداً لعائلتي وولايتي وبلدي وفرصة بالنسبة لي فسوف أدلف هذا الباب».

[ميدل إيست أون لاين ١١/١١/٢٠٠٨م]

نسيت أن تؤمّن على نفسها

أعلنت شركة التأمين المتعثرة المجموعة الأمريكية الدولية (إيه. أي. جي) أنها سجلت خلال الربع الثالث أكبر خسارة فصلية تمنى بها على الإطلاق، تحت وطأة شطب أصول مرتبطة بالرهون العقارية عالية المخاطر وخسائر رأس المال. وكانت الحكومة الأمريكية تدخلت لإنقاذ الشركة في الأسابيع الأخيرة بتوفير دعم بلغ ١٢٣ مليار دولار، وقالت الشركة: إن صافي خسائر الربع الثالث بلغ ٢٤,٤٧ مليار دولار.

[موقع القناة ١١/١١/٢٠٠٨م]

يموت الشعب .. ويبقى الزعيم

أقرَّ البرلمان الجزائري رفع القيود على فترات الرئاسة، وهو تحرك تقول المعارضة: إنه يسمح للرئيس (عبد العزيز بوتفليقة) بالسعي إلى فترة رئاسية ثالثة والبقاء في المنصب مدى الحياة، وقال بوتفليقة (٧١ عاماً) الذي يشغل منصب الرئاسة منذ عام ١٩٩٩م: إن التغيير سيحسن سلطة الشعب في اختيار قادته ويعزز الديمقراطية، دون أن يوضح ما هي العلاقة بين ثبات الرئيس في منصبه وتعزيز الديمقراطية أو حكم الشعب لنفسه.

[وكالات ١٢/١١/٢٠٠٨م]

- تقول الرابطة الأمريكية لمصنعي مستلزمات الحيوانات: إن نحو ٧١ مليون منزل في الولايات المتحدة - أي: أكثر من ٦٠٪ من الأسر - لديها حيوانات أليفة وإن أصحابها أنفقوا حوالي ٤١ مليار دولار على حيواناتهم في عام ٢٠٠٧م.

[ميدل إيست أون لاين ١١/١١/٢٠٠٨م]

- في عهد (ريتشارد نيكسون) كانت الولايات المتحدة تستورد ٤٠٪ من النفط الذي تستهلكه، ولكن ارتفعت النسبة إلى أكثر من ٦٠٪ حالياً.

وتستهلك أمريكا يومياً ٢٠ مليون برميل، تستورد منها ١٢ مليون برميل، وهي لا تمتلك سوى٢٪ فقط من الاحتياطي النفطي العالمي، ولا تستورد واشنطن من دول الخليج العربي سوى ١,٥ مليون برميل يومياً.

[وكالات]

- تعرضت ٨١ سفينة أجنبية على الأقل لهجوم من قِبَل قراصنة صوماليين في المحيط الهندي وخليج عدن هذا العام، وهو ضعف عدد السفن التي تمَّت مهاجمتها في ٢٠٠٧م، بحسب ما ذكر (نويل شونغ) مدير المكتب البحري الدولي ومقره كوالالمبور في ماليزيا.

[وكالات ١٠/١١/٢٠٠٨م]

- أعلن مسؤولون أمريكيون، أن الرئيس المنتخب (باراك أوباما) قد يلغي نحو ٢٠٠ قرار وأمر تنفيذي أصدرتها إدارة الرئيس (جورج بوش).

ونقلت صحيفة (واشنطن بوست) عن مسؤولين في الكونغرس وفي حملة (أوباما) أن مستشاري الرئيس المنتخب في المرحلة الانتقالية حددوا القرارات والأوامر التنفيذية التي أصدرتها إدارة (بوش) والتي يمكن (لأوباما) إلغاؤها فوراً.

وقالوا: إن عشرات المستشارين يعملون منذ أشهر على تحديد ما هي التغييرات التنظيمية والسياسية التي يمكن إجراؤها بعد وقت قصير من تسلُّم (أوباما) منصبه في ٢٠ يناير المقبل.

[يو بي آي ١٠/١١/٢٠٠٨م]

- مواعيد مهمة في مسيرة (باراك أوباما): ٩/ ديسمبر الموعد النهائي لكي تحل الولايات المختلفة المشكلات الانتخابية العالقة مثل: الطعن، وإعادة الفرز، ١٥/ ديسمبر اجتماع المجمَّع الانتخابي في كل ولاية للإدلاء رسمياً بأصواتهم، ٣/ يناير انعقاد الجلسة ١١١ للكونجرس، ٦/ يناير جلسة مشتركة لمجلسَيْ الكونجرس لعدِّ أصوات المجمع الانتخابي، قبل ٢٠/ يناير يجب أن يُقدِّم (أوباما) ونائبه (بايدن) استقالتيهما من مجلس الشيوخ بوصفهما نائبين عن ولايتي إلينوي وديلاور، ٢٠/ يناير يوم التنصيب حيث يتخلى (جورج بوش) عن جميع صلاحياته الدستورية لـ (أوباما).

[الأخبار القاهرية]

- حسب تقديرات محللين تقدَّر نسبة الناخبين اليهود المتشددين في مدينة القدس المحتلة ٢٧٪ من إجمالي الناخبين اليهود، بينما تقدَّر نسبة المتدينين «المعتدلين» ٣٠٪، وتقدَّر نسبة اليهود العَلْمانيين ٤٣٪.

[الأهرام]

ترجمات عبرية

أحمد الغريب
Ahmedm2@hotmail.com

● نشـــر موقع «يلا كاديما» الصهيوني علـــى الإنترنت صورة للبابا «بنديكيت الســـادس عشر» ووضع عليها صورة للصليب المعقوف (رمز النازيـــة)، في وقت تشـــهد فيه العلاقات بين «إســـرائيل» والفاتيكان تحسنـــاً، وســـرعان ما أن تم حذف تلك الصورة بعد عدة ساعات من على الموقع الذي يشرف عليه مؤيدون لحزب كاديما الحاكم، واستبدلت بصورة للبابا مبتسمـــاً وهو يتطلع لمجموعة من المصلين، وقال موقع: «إن ذلك حدث بناء على طلب من وزيرة الخارجية الإسرائيلية «تسيبي ليفني» زعيمة حزب كاديما.

[موقع نيور إسرائيل ٢/١١/٢٠٠٨م]

● أدَّى التباطؤ الذي يعيشـــه الاقتصاد «الإسرائيلي» إلى انخفاض مستوى المعيشة في «إسرائيل» بنسبة ١,٥٪ في الربع الثاني من العام الحالي، كما بلغت نسبة النمو الاقتصادي ٢,٤٪ مقابل ٦,٥٪ في الربع الأول، وعلى الرغم من أن النصف الأول من العام ٢٠٠٨م شـــهد نمواً للاقتصاد بلغت نســـبته ٥,٣٪ مقارنة بالمدة نفسها من العام الماضي؛ إلا أن الخبراء يعتقدون أن الفترة القادمة ســـتكون الأسوأ، وتوقعوا أن يتباطأ النمو ليصل إلى ١,٥٪ خلال النصف الثاني من العام الحالي، مسجلاً بذلك أسوأ نمو اقتصادي في «إسرائيل» منذ ست سنوات.

[تقرير لدائرة الإحصاء المركزية الصهيونية - صحيفة معاريف ١/١١/٢٠٠٨م]

تصريحات:

● «إن هنـــاك مصالح مشـــتركة تربط البلدين، كمـــا أن العلاقات (الإســـرائيلية) - الروســـية علاقات مبنية على الصداقة، هذا إن لم نرد التحدث عن قرابة مليون شـــخص قدموا من روســـيا للعيش في (إسرائيل)، والتحديات المشـــتركة التي نواجهها في المنطقة والحاجة إلى مواجهـــة تلك التحديات بعضنا مع بعض؛ لذا فليس هناك حاجة لتغيير الصداقة القائمة».

[تسيبي ليفني - وزيرة الخارجية الصهيونية - الإذاعة الصهيونية ٢٨/١٠/٢٠٠٨م]

● «إن الرئيس الســـوري بشار الأســـد معنيٌّ بالسلام مع (إسرائيل) لكنه لا زال يفتح مخازن أسلحته أمام (حزب الله)، بل إنه يمكن القول: إن السوريين فتحوا أبواب ســـورية لحزب الله ووضعوا تحت تصرفه تقريباً كل ما لديهم من قدرات إستراتيجية».

[عاموس يدلين، رئيس الاستخبارات العسكرية الصهيونية - صحيفة هآرتس ٢٧/١٠/٢٠٠٨م]

أخبار التنصير

محمد الهواري
Al7adaka@hotmail.com

● **موت «مانويلا» إحدى قيادات التنصير في مصر**

توفيت زعيمة التنصير الكاثوليكي (مانويلا) الفرنســـية ذات الأصل البلجيكي، والتي عاشت في عزبة الزبالين، وأنشـــأت العديد من المدارس والجمعيات الخيرية التي كانت تعمل على تنصير مسلمي مصر.

وقال الأنبا (بطرس فهيـــم) نائب بطريرك الكاثوليـــك في مصـــر: إن مانويلا فـــي بداية عملها في مصر كانت تحت إشـــراف الكنيســـة الكاثوليكيـــة المصرية، وبدأت عملها من خلالها، إلا أنه بعد ذلك استقلت بنفسها وكوَّنت مؤسسة خاصة بها نتيجة تلقِّيها موارد ضخمة من فرنسا ساعدتها على الاستقلال. ويردِّد من عاش معها أنها كانت متواضعة جداً مع الزبالين في محاولة لاستمالتهم للمسيحية، فعندما زارت المنطقة مع وفد من الراهبات الأجنبيـــات وضعت إحداهن منديلاً علـــى أنفها، فأوقفت الزيـــارة وأمرتهن بالخروج مـــن المنطقة لأنهن يتعالين على الناس، وقد منحتها السلطات المصرية الجنسية المصرية؛ تقديراً لما أسمته جهودها الخيرية.

[المصري اليوم ٢٥/١٠/٢٠٠٨م]

● **مقتل منصرة بريطانية في أفغانستان**

أعلنـــت حركـــة طالبـــان قيامهـــا باغتيال بريطانية تعمل لجمعية متخصصة في مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة في كابول، وذلك بعد أن ثبت قيامها بممارسة التنصير بين المسلمين.

وقال المتحدث باسم الحركة: «قمنا باغتيال هـــذه المـــرأة الأجنبية في كابـــول ونحن نتحمل مســـؤولية ذلك. لقد قتلناها لأنها تعمل لحساب منظمة تبشر بالمسيحية في أفغانستان».

وقد طالب المجلس الإسلامي في أفغانستان مســـبقاً الرئيسَ (حامد كـــرزاي) التابع لقوات الاحتـــلال منع جماعات الإغاثـــة الأجنبية من تنصير الســـكان المحليين، وطالبوا بإعادة العمل بتطبيق عقوبة الإعدام في مكان عام.

[وكالة فرنس برس ٢٠/١٠/٢٠٠٨م]

قصة قصيرة

رَفيفُ العَنادلِ

نور الجندلي

لطالما نسجتُ أحلامي الصّغيرة بعد تخرّجي.. كأن أصحو على صوت جميل.. صوت يشبه إلى حدٍّ ما صوت العندليب.. لكن أحلامي كانت تذهبُ هباءً، فالعنادلُ مخلوقات تحب الحياة، ولا تقبل العيش في غرفة لا ترى النّور كالتي أعيش فيها.

فأجدني مضطراً اليوم وكل يوم إلى أن أهبَّ فزعاً وأُخرِس هذا الاختراع المزعج الذي لا يتوقف عن الرّنين. السابعة تماماً.. موعدُ وصول الحافلة، أتلفّتُ حولي فأجدُ الكلّ يحدّق في ساعته ليتأكد من عقرب الدقائق، فهم عادة يضبطون ساعاتهم على ساعة العم كمال سائق الحافلة المؤدية إلى وسط المدينة. وتأخرُ دقيقة واحدة يعني معاناة كبيرة في إيجاد وسيلة للمواصلات تقودك حيثُ تريد، وبالسّعر الذي تريد.

تخرجتُ منذ تسعة أشهر، كانت حُبلى بالوهم، ولم تلد أيامي أية بُشرى.

ها أنا أعيشُ الهمَّ ذاته كل يوم، أتأمل المناظر غير الطبيعيّة ذاتها التي تلوحُ لي على الطرقات.

حفرة شارع المحبّة وشاخصة التحذير التي تسبقها، مبنى المستوصف الذي يوشكُ على السقوط؛ لتقادم الزمان عليه قبل أن يكتمل بناؤه، الرّصيف الذي صدمته شاحنة منذ عام فبدا مشوّهاً.. كل شيء يتكرر، إلا الطقس فهو في تجدُّد دائم.

وصلتُ أخيراً إلى محطتي اليوميّة.. زيارة خاطفة إلى دائرة العمل، وكالعادة موظّفٌ غائب، وآخر غافٍ خلف الجريدة!

الآن عرفتُ دور الصحف في حياة الموظّفين. أما الأوراق المقدّمة المدعمة بالطوابع والأختام فإنها لا تتوقف أبداً عن النّمو.

- أوراقك قيد الدّراسة يا بُني! وهناك آلاف من الجامعيين مثلك ينتظرون الوظائف، لا أمكنة شاغرة حالياً، ورجاءً لا تَعُد إلا بعد شهر على الأقل!

لم يعد هنالك من داعٍ لأن أسمعها منه، فقد حفظتُها عن ظهر قلب، كما كنت أحفظ مناهج الثانويّة العامّة؛ لأحقق حلمي بأن أكون جامعياً، وكما حفظتُ المحاضرات الجامعيّة ببراعة؛ لأتخرج متسكعاً على الأرصفة، يتسوّلُ عملاً ولا محسنين في المكان!

خطوات قليلة وأصل إلى قهوة العاطلين. هكذا أدعوها أنا وأصدقائي، حيث قرّرنا أن نتحالف هناك ونكوّن ثلّة، ثم سافرت بنا الأفكار بعيداً فدعوناها رابطة العاطلين عن العمل، ولعل الخيال يبحر أكثر فأعيّن مديراً لتلك الرابطة؛ فقد كان طموح والدي - رحمه الله - أن أكون مديراً لشركة كبيرة.

مسكينٌ والدي فقد توسّم الخير بولده، ولم تسعفه الأمنيات كي يرى حلمه يتحقق.

كوبٌ من الشاي مع كثير من السّكر.. إنني حقاً أحتاجُ إلى سعرات حرارية إضافيّة تعينني على الحركة، فالبحثُ قد جعل عظامي تتآكل، إنها تُصدر صوتاً غريباً كالباب الصدئ.

تعبتُ وأنا أجوبُ الشوارع، وأمشّطُ الأحياء بحثاً عن

وظيفة محترمة، لشاب جامعي طموح ومحترم.

وتعبت أمنياتي من الإخفاق، ولم يعد قلبي يحتملُ أن يرى بصيص الأمل يخبو في عينَيْ أمي الحبيبة التي طالما حلمت لابنها بعملٍ مرموق.

موعدُ الحافلة العائدة إلى ضاحيتنا قد اقترب، وجيبي يعلمني بأنها القروش الأخيرة التي يملكها، ولعلها تكفي ثمناً للعودة إلى البيت، وثمناً لأدوية المسكنات التي أتناولها ليتوقف الصداع الذي لا يكترث بي.

وسؤال يقرع قلبي كناقوس يردِّد كلمات تزلزلني: إلى متى؟ وماذا تنتظر؟!

لم أولد لكي أغدو عاطلاً عن العمل، ولم تكُن جلُّ أمنياتي أن أغفوَ خلف جريدة، ولا يبهجني منظر الرصيف المكسور والحفرة التي تبتلع ضحاياها كل فترة فأراقبها في صمت.

أنا جامعي.. ولكن من أبَهَ لي ولشهادتي وتعبي إذ طافت بي الهموم في شوارع المدينة؟ من سمع أنَّات جوعي؟ ومن مسح دموع ألمي التي أحاول ألا أظهرها تمثلاً بالرجال الشجعان؟

سأرمي بأحلامي عرض الحائط، ولأنسج أحلاماً أخرى على قياسي؛ فأنا ما زلتُ على قيد الحياة.

من الغد سأرتدي أقدم ثيابٍ أملكها، وأعتمرُ قبعة تحميني من وهج الشمس، وألحقُ بركب العمَّال.. أحاولُ أن أكون يداً تصنعُ وتجني لقمة عيشها بجدارة.. سأردمُ تلك الحُفرة، وأعملُ على إصلاح ذلك الرصيف، وأعودُ إلى أمي محمَّلاً بفاكهة وحلوى.. ستبكي فرحاً وتدعو لي كثيراً.

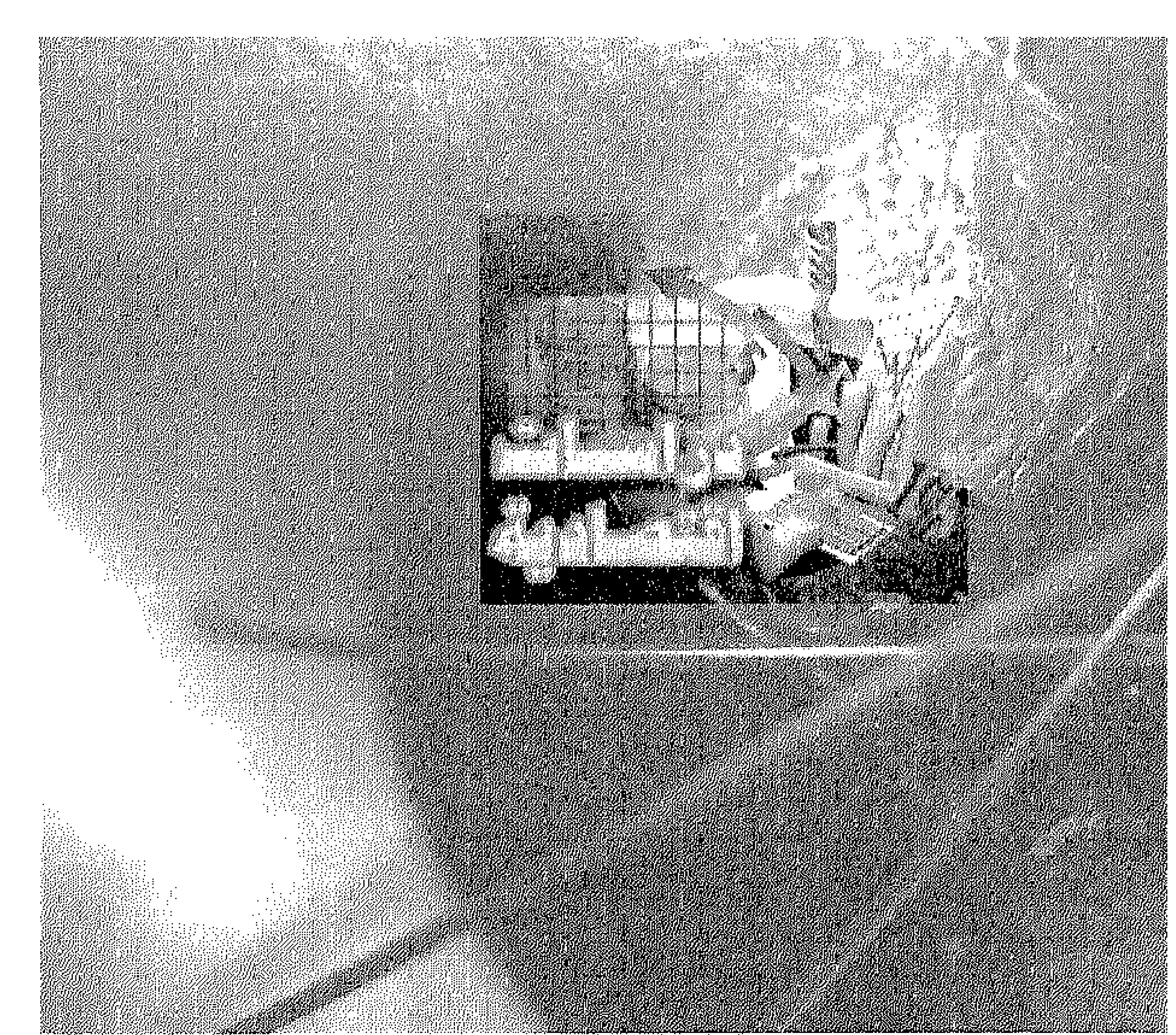
لن يغيِّر ذلك من كوني إنساناً جامعياً مثقفاً، فالثّقافة لم تكن يوماً تسكُّعاً وبطالة، وبكاء على أطلال أحلام ضائعة.

سأجني مالاً يساعدني على تكوين ذاتي، ومدّ العون إلى غيري.

سأديرُ ثُلّتي الخاصّة بمفاهيمي الجديدة، ولتكن ثورة على الخمول، وليتبعني من يؤمنُ بأن العمر لا ينتظر.

لن يضيء جبيني إلا بحبات العرق تتساقط لتشعرني أنني على قيد الحياة.

سيشتري كلّ عاطلٍ منا عندليباً كي يحرره من قفصه، ويطلقه بعيداً ليرفرف على هواه، ويغرّد كما يحب، وليكن تغريداً بلا غُصّة قيدٍ تحوّله عبداً لما يمكن.. ولنخترق بذلك جدار المستحيل ونتحرر.



الأزمة المالية العالمية

دروس وعبر

هتلان بن علي الهتلان(*)

تعيش الأسـواق الماليـة الغربية والشـرقية هذه الأيام حالـة هلع وخوف إثرَ حوادث الانهيـار والإفلاس التي تعرَّض لها عدد من الشـركات والبنـوك الأمريكية، وهي درس عملي لمن انبهر بالحضارة الغربية وكان يطالب بأن تحذو شـركاتنا وبنوكنا وأسـواقنا حذوها، وها هي الرأسمالية الغربية تترنَّح في أسواقهم، معرِّضة اقتصادهم لأكبر أزمة مالية نشهدها في هذا العصر، وربما تلطخت بأوحال هذه الأزمة كل الشـركات والبنوك المساهمة في تلك الأسواق في طول العالم وعرضه.

وللاسـتفادة مما وقـع وأخذ العبـرة والموعظة؛ لا بد من بيان المشـكلة التي أدت إلى أكبر كسـاد وانهيار يشهده الاقتصاد الأمريكي. ويمكن تلخيص ذلك في أن البنوك قامت بإقراض العملاء حتى الفرد الذي كان لا يسـتطيع الحصول على قرض لشـراء مسكن؛ لمحـدودية دخله الشهـري، وهو ما جعل الناس ينكبُّون على هذا الاقتراض وبفائدة ربوية عالية مع إغراء العميل بتخفيض أسعار الفائدة في المدة الأولى.

ومع اسـتمرار أسـعار البيوت في الارتفاع قامت البنوك بإغـراء العملاء المقترضين بإمكانيـة تحقيق أرباح مجزية؛ حيث إن بيوتهم أصبحت قيمتها أكثر من القيمة المشـتراة، فقدمت لهم قروضاً أخرى مقابل رهن جزء من البيت.

إلا أن العملاء لم يدركوا خطـورة العقد وما تضمنه من غرر كبير وغبن فاحش بأن أسـعار الفائدة متغيرة وليسـت ثابتـة، حيث إنها تكـون منخفضة في البدايـة ثم ترتفع مع الزمن. وهناك فقرة تقول: إن أسـعار الفائدة سـترتفع كلما رفع (البنك المركزي) أسـعار الفائـدة. وهناك فقرة أخرى تقول: إذا تأخر عن دفع أي دفعة فإن أسعار الفائدة تتضاعف بنحـو ثلاث مـرات. والأهم من ذلك فقـرة أخرى تقول: إن المدفوعات الشـهرية خلال السـنوات الثلاث الأولى تذهب كلها لسداد الفوائد، وهذا يعني أن المدفوعات لا تذهب إلى ملكية جزء من البيت إلا بعد مرور ثلاث سنوات.

وبعد أشـهر رفع (البنك المركزي) أسعار الفائدة الربوية فارتفعت الدفعات الشـهرية، ثم ارتفعت مرة أخرى بعد مرور عـام كما نص العقـد، فعجز أكثر المقترضين عن السـداد وتأخـروا، فتراكمت عقوبات إضافيـة وفوائد على التأخير، ثـم توقفوا عـن الدفع، وهو مـا جعل البنك يسـتولي على العقار ويضطر المقترض إلى بيع البيت ويسـتوفي أقساطه المجحفة، فتفاقمت المشكلة وانتشرت، وأدت في النهاية إلى انهيار أسواق العقار.

وإن أرباح البنك الذي قدَّم قرضاً للعملاء يجب أن تقتصر علـى صافي الفوائـد التي يحققها من هـذا القرض، ولكن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد، فقد قام البنك ببيع القرض على شكل سندات لمستثمرين؛ بعضهم من دول الخليج بل من جميع أنحاء العالم وحتى حكومات الدول اسـتثمرت في هذه السندات، وأُخذت عمولة ورسوم خدمات منهم، وهو ما يعني أن البنك كسـب كل ما يمكن أن يحصـل عليه من عمولات، وحوَّل المخاطرة إلى المستثمرين.

المسـتثمرون الآن يملكون سـندات مدعومة بعقارات، ويحصلـون على عوائـد مصدرها مدفوعـات المقترضين البؤساء الشهرية، وهذا يعني أنه لو أفلس المقترضون - وهذا ما حصل - فإنه يمكن أخذ البيت وبيعه لدعم السندات، ولكن هؤلاء المستثمرين رهنوا هذه السندات بوصفها أصولاً، مقابل ديون جديدة للاستثمار في شـراء مزيد من السندات. نعم! استخدموا ديوناً للحصول على مزيد من الديون؛ والمشكلة أن البنوك تساهلت كثيراً في الأمر إلى درجة أنه يمكن استدانة ٣٠ ضعف كمية الرهن.

وقـام البنك بتحويل الدين إلى سـندات وباعها إلى بنك اسـتثماري، الذي احتفظ بجزء منها وقـام ببيع الباقي إلى

(*) القاضي بالمحكمة الجزائية في الخبر - السعودية.

صناديق تحوط وصناديق سيادية في أنحاء العالم كافة؛ فكل من العميـــل والبنك التجاري والبنك الاســـتثماري يعتقد أنه يملك البيت، والمستثمرون يعتقدون أنهم يملكون سندات لها قيمة؛ لأن هناك بيتاً في مكان ما يدعمهم.

القصة لم تنته بعد؛ فبما أن قيمة الســـندات الســـوقية وعوائدها تعتمد على تقييم شـــركات التقييم لهذه السندات بنـــاء على قـــدرة المدين على الوفاء، وبمـــا أنه ليس كل من اشـــترى بيتاً له القدرة نفســـها على الوفاء؛ فإنه ليســـت كل الســـندات سواسية. فالســـندات التي تم التأكد من أن قدرة الوفاء فيها ستكون أكيدة ستكسب تقدير «أ»، وهناك سندات أخرى ستحصل على «ب»، وبعضها سيُصنَّف على أنه لا قيمة له؛ بســـبب العجز عن الوفاء. ولتلافي هذه المشـــكلة قامت البنوك بتعزيز مراكز السندات عن طريق اختراع طرق جديدة للتأمين؛ بحيث يقوم حامل الســـند بدفع رسوم تأمين شهرية كي تضمن له شـــركة التأمين ســـداد قيمة السند إذا أفلس البنك أو صاحب البيت، وهو الأمر الذي شـــجع المستثمرين في أنحاء العالم كافة على اقتناء مزيد من هذه السندات التي سميت فيما بعد بـ (المسمومة).

وفي النهاية لما توقف المقترضون عن ســـداد الأقساط لارتفاع سعر الفائدة؛ فقدت السندات قيمتها، وأفلست البنوك الاستثمارية وصناديق الاستثمار المختلفة. أما الذين اشتروا تأميناً على ســـنداتهم فإنهم حصلوا على قيمتها كاملة، فنتج عن ذلك إفلاس شركة التأمين «أي آي جي».

وأجبرت عمليات الإفلاس البنوك على تخفيف المخاطر عـــن طريق التخفيض في عمليات الإقراض، وهو الأمر الذي أثَّر في كثير من الشـــركات الصناعية وغيرها التي تحتاج إلى ســـيولة لإتمام عملياتها اليومية، وبدأت بوادر الكساد الكبير بالظهور، وهو ما أجبر الحكومة الأمريكية على زيادة السيولة عن طريق ضخ كميات هائلة لإنعاش الاقتصاد الذي بدأ يترنَّح تحت ضغط الديون للاســـتثمار في الديون؛ لذا وقع الانهيار الكبير للاقتصاد الرأسمالي الليبرالي وأفلس أكثر من ١٠٠٠ بنك في أمريـــكا، من ضمنها أكبر بنكيـــن ضمن أكبر أربعة بنوك أمريكية؛ أحدها: مصرف «ليمان برذرز» الذي ســـجل بإفلاسه أكبر عملية إفلاس في التاريخ الأمريكي، وعمره أكثر من ١٦٠ ســـنة وهو أغنى بنك فـــي العالم، وكذا بنوك أخرى وشـــركات استثمار وشـــركات تأمين كبيرة جداً؛ حيث أُممت أكبر شركتي رهن عقاري، فسيطرت الحكومة الأمريكية على ٨٠٪ من شـــركة (أي آي جي) مقابل قـــرض بقيمة ٨٥ مليار دولار لدعم سيولة الشركة، وسُرِّح أكثر من ١٥٩,٠٠٠ موظف مـــن أعمالهم، ونال هذا الانهيار أكثر دول العالم على نســـب متفاوتة، فأفلســـت بنوك كبيرة في بريطانيا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وفرنسا، وغيرها.

لقـــد جربت بعض الـــدول (النظام المالي الماركســـي) فثبت فشله، وسقط الدول التي كانت تتبنَّى الفكر الشيوعي، وانقســـمت بعضها إلى دويلات.... واليوم ثبت فشل (النظام الرأســـمالي) الذي تبنَّته مجموعة من الدول الغربية، وها هو اليوم يترنَّح على ســـمع العالم وبصره، ويعرض اقتصاد أكبر دولة للانهيار، ولا زالت محاولاتهم قائمة لانتشاله.

وأي اقتصاد يتعرض لمثل هذه الهزة العنيفة، ويكون سبباً في تشـــريد آلاف الموظفين من أعمالهم، وسبباً في إفلاس شـــركات وبنوك كبرى؛ هو اقتصاد فاشـــل مهما استمر لمدة من الزمن.

الغربيون ينتقدون والمنهزمون يعلِّلون:

ليس مفاجأة لنا - نحن المســـلمين - أن يترنَّح اقتصاد يقوم على مبدأ الحرية المطلقة، ويتغذى على الربا، ويســـتند إلى الســـندات والديون، ويبيع ويشتري بالهامش والبيع على المكشـــوف، ويقامر حتى الثمالـــة..! ولكن ما حصل مفاجأة للعالم المتحضـــر الـــذي لا يؤمـــن إلا بالقيـــم الرأســـمالية، ولا يمتثـــل إلا لأفكارها، ولا يحترم إلا أبجدياتها وأدبياتها..! كما أنه مفاجأة وإحراج لكل من نحا نحوهم، أو دار في فلكهم، أو ســـبَّح بحمدهم، ولهذا أخذ هؤلاء المســـبحون بحمدهم يعتذرون عن الهزة التي تعرض لها النظام الرأســـمالي الذي تتزعمه أمريكا؛ بأنها ليســـت بسبب النظام الرأسمالي الذي يؤمـــن بالحرية المطلقـــة، وإنما - بزعمهم - بســـبب بعض الممارســـات الخاطئة في السوق؛ في الوقت الذي تنشر فيه بعض جرائد الدول الغربية انتقاداً لاذعاً للرأسمالية.

أما المسلمون فقد تعلموا منذ أكثر من أربعة عشر قرناً أنه لا توجد في الســـوق حرية مطلقة، وأن الربا كبيرة من الكبائر، وأنـــه لا يأتي إلا بالدمار وخـــراب الديار ولهيب الويلات ومحق المال والبركات ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]. بل تعلم ذلك قبلهم اليهود والنصارى في كتبهم المنزلة من السماء، كما أشار إلى ذلك الخالق - سبحانه - في قوله: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ١٦١].

كما حرم علماؤنا المعاصرون الكثير من صور بيع الديون المســـتجدة، وبيع الهامش، والبيع على المكشوف، والتأمين التجاري... وصـــدرت بذلك القـــرارات المجمعية والفتاوى الفقهية منذ سنوات.

وحيث إن أســـواقهم لا تدين إلا بالرأســـمالية، ولا تؤمن إلا بالنظم التي تقنِّن تحصيـــل المال؛ فقد تنكَّب هذا الخلق الضعيف طريق الحق، وخالفوا تعاليم الخالق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُـوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وتفنَّنوا في تشـــريع قوانين أرضية تناهض قوانين الســـماء، فأصدروا قانوناً يبيح الربا،

ويقنّن الحصول عليه، وأسسوا مبادئ «رأسمالية» تحترم رأس المال، ولا تحترم الآدمي ذاته؛ لهذا جوَّزوا للشركات الزراعية - مثلاً - أن تتلف محاصيلها، وأن تلقيها في المزابل، وتدفنها تحت التراب، لتحافظ على حركة العرض والطلب ولو تضور الفقراء جوعاً..! بل وضعوا تشريعات تنحني للغني على حساب المسكين وذي العيلة، وتسبِّح بحمد رجل الأعمال ولو وُضع الفقير بسببها تحت الأشغال الشاقة.

ولأن هذه المبادئ والمثل الرأسمالية من وضع البشر وليست من وضع خالق البشر؛ فقد تراجع دعاتها وحماتها اليوم عما كان له صفة القداسة بالأمس، حيث رفعوا منذ سنوات عدة شعار حرية السوق، وها هم اليوم يمرِّغون هذه الحرية بالطين؛ لإنقاذ أسواقهم المالية وشركاتهم الرأسمالية التي تترنَّح تحت وقع الإفلاس، وها هو الكونجرس الأمريكي يصوِّت على اقتراح الرئيس الأمريكي بضخِّ ٧٠٠ مليار دولار لإنقاذ بعض شركاتهم من الإفلاس، وبهذا يصبح التدخل الحكومي للإنقاذ مسماراً آخر في نعش الرأسمالية، ناهيكَ عما قنَّنوه بالأمس من أنظمة تسمح بالبيع على المكشوف، ثم أوقفوه اليوم حتى إشعار آخر، وذلك حين اكتشفوا أثره السلبي والخطير على أسواقهم وشركاتهم، وهلمَّ جراً.

الإسلام حذَّر من المشكلة قديماً:

ولو رجعنا إلى الوراء أربعة عشر قرناً؛ لوجدنا أن الإسلام قد قيَّد الحرية التي لا ترعى بالاً للفقير والمسكين، أو تلك التي تحترم الفرد على حساب الكل؛ فحرَّم الربا، ومنع من الإقراض بالفائدة؛ لما يؤديان إليه من أثر سلبي وخطير على الفقراء، وعلى الاقتصاد العام كلياً، كما حرَّم العقود المشتملة على الغرر أو القمار، أو ما فيه جهالة، وأباح البيع المغلوم في المباحات وكذا ما كان بمعنى البيع من الشركات وأنواع الإجارات؛ ليتحقق العدل والمواساة بين أفراد المجتمع في تدوير المال فيما بينهم وعدم احتكاره لدى طائفة بعينها دون البقية، كما قال الحق - سبحانه -: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧]، وسمح بالدَّيْن ولكن في حدود الحاجة، وبضوابط شرعية تمنع من وقوع أزمات، أو حدوث انهيارات تضر بأصحاب الأموال، أو تلحق الضرر بالاقتصاد العام، وها نحن اليوم نرى أزمة الائتمان المفتوح في أمريكا، وما خلَّفته من ضحايا في طول العالم وعرضه، ثم توزيع هذه الأزمة بالمجان على البنوك والشركات والأفراد عبر السندات سيئة الصيت. ولهذا نجد الشارع الحكيم قد وضع للدَّيْن ضوابط كثيرة، تكبح جماحه، وتسمح بالاستفادة منه بالقدر الذي لا يضر بالفرد والمجتمع، فنجد نصوصاً شرعية كثيرة تلمح إلى خطر الدَّيْن، كما في استعاذته ﷺ من المَغْرَم (وهو الدَّيْن)، ومن ضَلَع الدَّيْن (أي: ثقله) كما في حديث البخاري: «كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل والجبن والبخل، وضَلَع الدين وغَلَبة الرجال». وفي صحيح البخاري أيضاً عنه ﷺ أنه كان يدعو في الصلاة ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم. فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله! من المغرم؟ فقال: إن الرجل إذا غَرِمَ حدَّث فكذب، ووعد فأخلف». وفي سنن النسائي أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم إني أعوذ بك من غَلَبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء». واليوم نرى كيف غلبت الديون بنوكاً وشركات كبرى، وأرغمتها على الإفلاس. ولفظ الغَلَبَة كلمة دقيقة تشير إلى إعجاز نبوي في المعنى، وما تحمله من بُعد، ممن أُوتي جوامع الكلم ﷺ.

كما ألمح إلى خطر الدَّيْن عدم صلاة النبي ﷺ على من تُوفِّي وعليه دين، بل بيَّن خطره، وأنه من الأشياء التي لا تُغفر للعبد مهما بلغ صلاحه، وقد جاء في صحيح مسلم: «يُغفَر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن».

ولحرص الشارع على إطفاء أثر الدَّيْن، وحسم نتائجه المُرّة على الفرد والمجتمع؛ فقد تكفل بيتُ مال المسلمين بتسديد دَيْن المعسرين، وهو ما يسمى اليوم بـ (وزارة المالية)؛ حفظاً لأموال المسلمين من الضياع، ولتجنيب أفراد المجتمع ومؤسساته وشركاته من خطر الإفلاس، كما جاء في الحديث المتفق عليه: «أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفَّى عليه الدَّيْن، فيسأل: هل ترك لدَيْنه من قضاء؟ فإن حدث أنه ترك وفاءً صلى عليه، وإلا قال: صلوا على صاحبكم! فلما فتح الله عليه الفتوح قال: أنا أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي عليه دَيْن فعليَّ قضاؤه». وفي رواية للبخاري: «فمن مات ولم يترك وفاء...».

ولتثقيف المسلم بضرورة إعادة الدَّيْن إلى صاحبه؛ فقد أمر الشارع بتحسين النية عند اقتراض المال للحاجة، كما جاء في صحيح البخاري: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله». وهذا فيه تحذير من تبييت المقترض للنية السيئة، وإضمار عدم السداد؛ وذلك محافظة على الأموال، وصيانة لها من الأيدي العابثة، وحرصاً على عدم تعريض المجتمع إلى هزات عنيفة بسبب الديون المتراكمة. ولهذا حرمت الشريعة الإسلامية على الموسر المماطلة في السداد، فقال - عليه الصلاة والسلام -: «مَطْلُ الغني ظلم، يحل عرضه وعقوبته».

وكما أجاز الإسلام الدَّيْن بضوابط شرعية - ومنها: أن لا يكون الثمن والمثمن مؤجلاً - فقد أجاز القرض الحسن؛ ليشيع بين أبنائه روح المحبة والتكافل، ولذا حرَّم القرض بالفائدة؛ لأنه ابتزاز للمحتاج الذي ألجأته الضرورة أو الحاجة إلى اقتراض المال. وبما أن النظام الرأسمالي يسمح بنظام

القرض بالفائدة فقد أضر به ضرراً بالغاً في أسواقه المالية؛ حيث تسببت هذه القروض الربوية - إلى جانب الديون منخفضة الكفاءة - في أعنف زلزال عرفته الشركات، والبنوك الأمريكية؛ إذ أصبح الجو الأمريكي مشحوناً بالدَّين، ولهذا توالى الإعسار بالدَّين، وتدحرجت كرة الثلج وعظُمت، وتوالت حوادث الإفلاس! وكان من الطبيعي أن يتعرض الاقتصاد البشري لهزات عنيفة، وضربات موجعة، تفقده السيطرة على نفسه، ليترنح في أسواقهم المالية، وشركاتهم ومؤسساتهم البنكية، ويغدو في صورة من يتخبطه الشيطان من المسِّ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أما الاقتصاد الإسلامي فهو كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، ولهذا سيبقى شامخاً أبد الدهر - ما دام أنه لم يشوَّه بيد أبنائه - لأنه يرتكز على مبادئ وأصول تنأى به عن التعرض لهزات، وتجعله في مأمن من الوقوع في أزمات.

مظاهر تنظيم الإسلام للاقتصاد:

لقد نظَّم الإسلام الحياة الاقتصادية بشرع محكم من الخالق جل وعلا؛ لينعم الخلق بحياة اقتصادية آمنة، تحترم الغني والفقير، وتراعي المصلحة العامة والخاصة، وتحفظ للناس حقوقهم.

لذا أجازت الشريعة الإسلامية البيع، فالأصل حل المعاملات، ولم تحرم منها إلاَّ ما استثني، ومن ثَمَّ فهي وسَّعت من هامش الحلال. وحرمت الربا والقرض بالفائدة؛ لأنه يكرس الطبقية في المجتمع، ويغرس في النفوس التواكل والبطالة على حساب الآخرين، ويشحن الجو المجتمعي بحب الذات والأنانية المفرطة. ومنع الإسلام من بيع السندات؛ لأنه يسهم في تقنين الربا، وتعليبه في قوالب ورقية، وتوزيعه على أكبر قدر ممكن من أفراد المجتمع؛ ليتلطخ الجميعُ بأوساخه وأوضاره. كما حرم بيوع الغرر، والتغرير، والقمار؛ لأنها أكل لأموال الناس بالباطل.

وأَذِنَ الإسلام في التجارة، ومنع من الاحتكار؛ لأنه ينزع اللقمة من أفواه الناس ويؤدي إلى رفع الأسعار على العامة، ومنع الإسلام أيضاً بيع البائع ما لا يملك، أو ما ليس في حوزته، ومن ربح ما لا يضمن... ليقتسم الجميع الربح والخسارة. ومنع المقامرة على فروق الأسعار في سوق المال بأرقام خيالية لا تعبر عن حقيقة واقع الشركة؛ لتجنيب السوق عمليات وهمية... إلخ. منع الإسلام أيضاً تلقِّي الركبان؛ لأنه يضر بالسوق؛ حيث يؤدي إلى التحكم في العرض، وهو ما يؤثر سلباً في الأسعار وارتفاعها.

ولو أخذت النظم الحديثة بهذا القانون الإلهي العادل؛ لم تحتج إلى تجربة شيوعية، ولا رأسمالية يثبت فشلها مع مرور الأيام، وتتعرض الأسواق بسببها للانهيار، والشركات للإفلاس والتقبيل، ولكن كما قيل: (ليس بعد الكفر ذنب).

ولكن اللوم يقع علينا - نحن المسلمين - إن سرْنا في ركابهم، وتركنا تعاليم ديننا التي جاءتنا من لدن الرب الحكيم العليم جل في علاه.

دروس كبيرة ومواعظ عظيمة لأولي الألباب:

١ - منها: ظهور سنة الله - تعالى - في المتعاملين بالربا، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٦]، إي، والله! إنه لمحق، وأي محق؟ محق حسي ومحق معنوي، فقد تكون أموال المرابي كثيرة لكنها معدومة البركة، وغيره يملك مالاً أقل وراتباً وظيفياً أقل لكنه يدخر منه؛ لزيادته عن حاجته بحصول البركة فيه. أما المرابون فأموالهم ممحوقة وأسواقهم القائمة على الربا ممحوقة واقتصادياتهم الربوية ممحوقة.

كيف لا تمحق وهم يحاربون الجبار جل جلاله؟ ألم يقل الخالق الرازق - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]؟ وهل يستطيع أحد أن يحارب الله؟ وماذا ستكون عاقبته في حربه عياذاً بالله؟

ما أعظمَ حِلْمَ الله! وما أشد نقمته وعذابه!

فهل يتوب إلى الله من يتعامل بالربا أو يعمل في البنوك الربوية؟ هل من توبة صادقة؟ هل تتوب الدول التي تقوم اقتصادياتها على الربا والغرر والقمار والحرية المطلقة الظالمة من ذلك، وتستفيد مما حصل وتتعظ قبل أن ينالها ما نال أكبر اقتصاد في العالم؟ وسنن الله لا تحابي أحداً ولا تستثني آخرين. فهل من مدَّكر؟ وهل من متعظ؟

٢ - ومن الدروس: أن ما حصل هو سوء عاقبة الظلم.. إي والله! فما أشد عاقبة الظلم! وما أسوأ نهايته! وما أقبح خاتمته! فكم ظلمت هذه الدولة الكافرة المستكبرة، وكم طغت وبغت، وكم اغترت وقالت: إنها أشد الناس قوة ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

لطالما ناصرت أمريكا الدولة الصهيونية في ظلمها وبطشها بالفلسطينيين وأمدَّتها بالسلاح الذي تقتل به الأبرياء، ووقفت معها في المحافل الدولية مناصرة ومدافعة عنها وعن ظلمها وبغيها وعدوانها، ولا يخفى ماذا فعلت أمريكا وتفعل في العراق وأفغانستان، وماذا حصل من فتن كبيرة في هذين البلدين بسببها؛ من تقتيل وتدمير، وتشريد وتيتيم وترميل، ونشر للفواحش والمنكرات، ونهب للخيرات، وسرقة للأموال والأرزاق، وتعطيل لمصالح الناس، وتخويفهم وعدم أمنهم على أموالهم وأنفسهم وأهليهم وأعراضهم.

وصدق الله العظيم: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ

رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١].

نعم! هكذا تكون العاقبة، وهذه بعض عقوبات الجبار - جل في علاه -: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧]. قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: (هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعُّمهم فيها، وتقلُّبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذَّات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله «متاع قليل» ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلاً ويعذبون عليه طويلاً، هذه أعلى حالة تكون للكافر).

٣ - وتأمَّل أخي المسلم! - رحمك الله - كيف انتقم الله من هؤلاء القوم الظالمين، وماذا سلَّط عليهم من جنوده، فلم يسلِّط عليهم عدواً خارجياً يستبيح بيضتهم بأسلحة دمار شامل، سبقوا العالم في تصنيعها وحيازتها؛ فيقال: إنهم أُخِذُوا على حين غِرَّة، وبأسلحة لا يُحاط بها، ولا بآثارها، ولم يُرسل الجبار - سبحانه وتعالى - عليهم أعاصير وزلازل وكوارث تبيد الأخضر واليابس، مع أنهم يصطلون بلهيبها سنوياً؛ فيقول الناس: إنهم أُخِذُوا بأشياء طبيعية لا من قِبَل علومهم وأنظمتهم وسياساتهم، بل أخذهم الله - تعالى - بحكمته وعزته من قِبَل ما يفاخرون به العالم، وما يُسَوِّقونه لهم، ويُرَوِّجُونه فيما بينهم، بل ويَعِدُون الناس ويُوعِدُونهم من أجله، بل ويحاربون ويحتلون الدول ويستبيحون بيضتها ومحارمها؛ بحجة تطبيقه ونشره بين الناس، ويفرضون العقوبات ويضيِّقون الاقتصاديات، ويحدُّون من التحركات؛ لأجل مخالفة نظامهم الرأسمالي الليبرالي الحرّ، والذي تتجلى أبرز صوره في حرية السوق والاقتصاد، بل إن القوة العظمى لهذه الدولة الكافرة هي القوة الاقتصادية، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، إي وربي! فقد ظنوا - وظنهم كاذب - أن اقتصادهم وسياساتهم الاقتصادية تمنعهم من الله تعالى، فضلاً عن الناس. وصدق الله حين قال في يهود بني النضير: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر : ١ - ٢].

فأكثر الناس ظنوا - وقد أخطؤوا - أنه لا يمكن أن ينهار الاقتصاد الأمريكي، أو أن تحل به أزمة كالذي حصل ﴿ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ﴾ [الحشر: ٢]، كما أن الأمريكان أنفسهم ظنوا أن أنظمتهم وقوانين السوق عندهم ورأسماليتهم وليبراليتهم، وحريتهم المزعومة الكاذبة؛ ستمنعهم كلها من بأس الله ونقمته وعذابه ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر: ٢]، فيا سبحان الله! لقد تدخلوا في أسواقهم ولم يتركوا لها الحرية التي زعموا، والديمقراطية التي صنعوا، وخالفوا رأسماليتهم ونقضوا بنيانها، وخربوها بأيديهم ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [الحشر: ٢]، فتعالى الخالق العزيز الجبار جل في علاه، وصدق - سبحانه -: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١].

٤ - ومن الدروس: أن ما حصل هو بداية سقوط النظام الرأسمالي الليبرالي وظهور عوراته وسوآته للناس وإفلاسه وفشله. لقد نسفت هذه الأزمة كثيراً من مبادئ الليبرالية الاقتصادية التي كانت تبشر بها أمريكا، كما أنها أثبتت أن ترك الأمر لقوانين السوق دون أي ضبط ومراقبة يؤدي إلى كوارث تصيب الاقتصاد الكلي في مقتل؛ نتيجة لبعض الرغبات الجامحة لدى بعض الرأسماليين الجشعين للثراء الفاحش، دون النظر في عواقب الأمور. وها هو العالم بأسره يقع اليوم ضحية لمقامرة بعض تجار (وول ستريت)؛ ليعلم المخدوعون بحقيقة هذا النظام المرة وعدم صلاحيته لتسيير أمور الناس، وأن الحق والعدل والخير والرحمة في المنهج الإسلامي الفريد المنزَّل من لدن لطيف خبير ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٥ - ٦٦]. فبالإيمان بالله وبما شرع، وتحقيق تقواه واتباع شريعته؛ تتحصل الخيرات وتعم البركات وتتنزل الرحمات ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٦ - ١٧].

٥ - ومن الدروس المستفادة: أن على الهيئات الشرعية في البنوك الإسلامية، أو ذات النوافذ الإسلامية؛ أن يحذروا ويدركوا الخطر العظيم والإثم المبين في كثير من معاملات الديون المستجدة، وعدم التساهل بتسميتها سندات أو صكوكاً إسلامية، وأن لا يتسامحوا في تجويز بعض الصور التي يحرمها جمهور علماء الإسلام المعاصرين، فيتسببوا - لا قدَّر الله - في حدوث نكبات اقتصادية، أو ذهاب أموال كثير من الناس وإفلاسهم. في الوقت الذي بدأ فيه بعض علماء الاقتصاد الغربيين بالمناداة لانتهاج الاقتصاد الإسلامي وتطبيقه.

اللهم! الطف بأحوال المسلمين في كل مكان.

اللهم! أخرجهم من هذه المحنة سالمين غانمين تائبين منيبين.

اللهم! إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم! ادفع عنا وعن المسلمين الغلاء والوباء والكساد والدمار، وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، يا ذا الجلال والإكرام!



البطل الأسطوري والتدليس على الأمة


مروان كُجك(*)
mrkujuk@yahoo.com

يحسن بنا قبل الدخول في صميم الموضوع الإلمام بمعنى التدليس لغوياً.

ففي القاموس المحيط: الدَّلَس: الظُّلْمة.

والتدليس: كتمان عيب السلعة عن المشتري.

وفي معجم تاج العروس: هو لا يدالسُك: أي لا يخادعك ولا يخفي عليك الشيء.

والدَّوْلَسيُّ: الذريعة المُدَلِّسة.

ومنه حديث سعيد بن المسيب: «رحم الله عمرَ، لو لم ينهَ عن المتعة لاتخذها الناس دَوْلَسِيّاً للزنا» أي ذريعة.

والتدليس في اصطلاح علماء الحديث ليس كذباً وإنما هو ضَرْبٌ من الإيهام.

أما التدليس على الأمة بدعوى الانتصار، فليس بالوسيلة الطارئة؛ غير أنه يمارَس بصورة أكثر مكراً ومخادَعة في أيامنا الحاضرة؛ وليس جديداً انطلاء الحيلة على الناس حتى على كُبَراء ممن يوصَفون برجاحة العقل، والثقافة العليا، والقدرة على الفهم وتلمُّس الحقيقة؛ وخاصة حين يأتي التدليس عقب ما يوسَم بأنه انتصار للأمة على أعدائها وتحقيقٌ لآمالها وتطلعاتها، على يد أحد أبنائها ممن تُرسَم له صورة ساحرية من الفذاذة والعبقرية تُبعِد عنه الريب في أي تصرف ولو أدى هذا التصرف إلى انكسار الأمة والدفع بمصائرها إلى أيدي أعدائها.

• تدليس أتاتورك:

كان أحد أولئك الذين صُوِّروا أبطالاً منقذين ومحاربين أشداء (مصطفى كمال أتاتورك) الذي أهَّلته صور البطولة الخادعة إلى الإقدام على إلغاء الخلافة الإسلامية، وانساح في بحر المخادعة مَنْ كان ينبغي أن يكونوا أبعد عن الوقوع في حبائل الكذب؛ حتى إن أمير الشعراء (أحمد شوقي) خادعته اللعبة فانطلق متغنياً بالبطل الأسطوري:

اللهُ أكبرُ كم في الفتح من عَجَبِ
يا خالدَ التُّرْكِ جَدِّدْ خالدَ العربِ

(*) كاتب وشاعر من سورية – مقيم في السعودية.

وقــد أثبتت الأيام أن ما فعله (أتاتــورك) لم يكن فتحاً لخير أبــداً بل إغلاقاً لأبواب العزة والمنعة، تحولت بســببه تركيا على يد بطلها الأسطوري المخادع إلى مجرد ذرات تدور في فلك مستذليها وقاتليها، وانقلبت شعوب الأمة الإسلامية إلى ما يشبه الأيتام على مآدب اللئام.

هكذا جاءت سكاكين تقطيع جســد الأمة براقة لامعة، صنعتها خديعة منتصر أفَّاك، انطلت ألاعيبه حتى على عِلْية الناس ولُبِّست عليهم أفانين المكر والتآمر.

● نكبة لا نكسة:

ومــن هــذا التدليس أيضاً تســميةُ الحكم الشــمولي للهزيمة الكبرى التي حلت بالعرب في حزيران/يونيو ١٩٦٧م بـ (النكســة). والفرق شاســع بين مدلــول كل من الهزيمة والنكســة. وقد ادَّعى حــزب البعث في ســورية يومها أن تلك الحرب لم تســفر عن هزيمة، بل كانت نصراً لســبب وحيد هو أن حزب البعث ظل حياً يُحْكِمُ الخناق على شــعبه على الرغم من ســقوط هضبة الجولان السورية بمرتفعاتها الشماء الشــامخة، ومواقعها الاستراتيجية الحصينة بأيدي جنود دويلــة العصابات اليهــوديـــة، والتــي ما تزال حتى اليوم محتلة؛ على حين سارعت القوات السورية بعد سنوات كان ينبغي أن تكون اســتعداداً لتحرير الجولان - ســارعت للمشــاركة تحت قيادة أمريكا بأريحية يعربية وشكيمة ثورية في تحرير الكويت من الغاصب العراقي الغادر!

● هل كانت حرب أكتوبر نصراً؟

وفي عام ١٩٧٣م وفي اليوم الســادس من شهر تشرين الأول/ أكتوبر الموافق للعاشــر مــن رمضان ١٣٩٣هـ قامت حرب جديدة بين العرب واليهود ابتــدأتها مصــر وســورية، ما يزال كثير من الناس يفاخر بها على الرغم من أن اليهود، نتيجة لهذه الحرب، وصلوا إلى السويس قاطعين سيناء، كما فقدت ســورية عدة قرى جديدة، وكان من ثمراتها اتفاقيات كامب ديفيد مع الســادات التي غيَّرت كثيراً من السياسات الدولية، وأركســت العرب فــي حمأة التشــرذم والنزالات الدينكوشوتية بين حكامهم؛ حتى غدا المواطن العربي مستعداً للهتــاف لغــراب البين إذا تظاهر بشــيء من تحدي أمريكا أو العدو الصهيوني، أو ببغاء يردد الكلمات تلذذاً بجَرْســها، وانغماســاً في إيقاعها دون أن يعي لهــا معنى أو يدرك لها بُعداً؛ فالجماهير المغلوبة على أمرها لم تكتسب من حكامها، الثوريين خاصة، شــيئاً ســوى أنها أصبحت تجيد فنوناً من الرقص، وأنواعاً من المجون، وقد دربت نفســها على إجادة الكذب على حكامها طمعاً في السلامة من بطشهم، وتحصناً ضد تقارير عملائهم ومخابراتهم.

بعد عــام ١٩٤٨ وهو العــام الذي أتم فيــه اليهود ما احتلوه من فلســطين - حــدود ما قبــل الخامس مــن حزيران ١٩٦٧ - وأقر العرب جميعاً بالهزيمة أمام عصابات الهاجانــاه اليهودية وغيرها - بعــد ذلك التاريخ خرج علينا حكام التهريج بتعريف للهزائم جديد يقول لنا إنها انتصارات لا هزائم؛ فالعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، صُوِّر فيه صمود أهل مدينة بور ســعيد في وجه اليهود وكأنه انتصار الزعيم الملهم، وظل ســرد أحاديث البطولات الشعبية لأهل المدينة الأبية الباسلة تتردد أصداؤه في كل مكان من الوطن العربي. نعم! كان لأهل بور ســعيد بطولات شــعبية صادقة رائعة تستحق الدراسة وأن توضع مجرياتها بين أيدي أبنائنا لمطالعتها والتأســي بأبطالها، ولكن الجيش المصري انهزم بســبب قيادته التي أجادت حرباً كلامية، وأدارت سياســة خرقاء متعالية لم تتمكــن من خلالها من رد العدوان، وهذا أمر طبيعــي إزاء عدوان ثلاث قوى، شتــان منها عالميتان: بريطانيا وفرنســا؛ إضافة إلى محظية الغرب المدلَّهة دويلة الاغتصاب اليهودي.

ولكن الشــعارات الرنانة التي ســبقت العــدوان والتي أطلقتها القيادة الناصريــة آنئذ كانت قد أدخلت الطمأنينة بل الكبرياء لا إلى قلب كل مصري فحســب، ولكن إلى قلب كل عربي ومســلم. غير أن ما آلت إليــه الأمور كان صدمة للعقلاء من الأمة الذيــن يَزِنون الأمور بالأهداف والمقدمات قبل النتائج والخواتم، وبقي البســطاء مادة للَّعب بعواطفهم وإشــعارهم أن بطولات أهل بور ســعيد التي لا مِراء فيها، واســتمرار القيادة الملهَمة في أداء دورهــا الخطابي أغنيا العرب عــن نصر كانوا يتوقعونه من أقــوى قوة ضاربة في الشــرق الأوســط كما كان حكام ذلك العصر يطلقون هذا التعبير على القوات المصرية.

لقد اســتغرقت جهــود إعــداد خطــابــات الــزعيم الملهم ثــم إلقــاؤهــا علــى مســامــع الجماهيــر وقتــاً من عمر الأمة، ومالاً للإعلام والاســتخبارات والعملاء أكثر من الجهــود والأمــوال التــي خصِّصت لإعــداد الســلاح ليــوم ســوف يتكــرر كثيراً في حياة العرب ما دام اليهود يحتلون فلسطين.

وبين حربيّ ١٩٨٢م، و ٢٠٠٦م على لبنان شَبَهٌ كبير؛ فكلتا الحربين اشتملتا على بطولات لا يمكن نكرانها، وكلاهما لم تسجِّلا نصراً بالمعنى الفعلي الحقيقي للنصر وإن انطويتا على دروس وعبر ودعاوى متهافتة:

وكـل يـدعـي وصـلاً بليلى
وليلى لا تقـر لهـم بذاكا

• القذافي يطفو على السطح:

وعندما طفا القذافي على سطح الأحداث العربية إثر ما دعاه بثورة الفاتح الانقلابية على آخر ملوك ليبيا (إدريس السنوسي) التي جاءت من خلال انقلاب عسكري في الأول من شهر أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٩ مبتدئاً ذلك بإغلاق القاعدة الجوية الأمريكية في ليبيا في (بويلس)، وأظهر مُسحة من الانحياز إلى الإسلام والعروبة، وهو ما جعل كثيراً من الشباب العربي - ومنهم كاتب هذه السطور - في ذلك الوقت يعقدون آمالاً كباراً على هذا القائد الشاب الذي أتى من ظهر الغيب، وخاصة أن جمال عبد الناصر وقف إلى جانبه وباركه، حتى قال له جمال عبد الناصر: «أرى فيك شبابي» وهو ما أشعل في رأسه فتيل الغرور، ونفخ فيه روح الكبرياء؛ فظن نفسه شيئاً حتى في مجال الأفكار والعقائد، فألف كتاباً أو أُلِّف له ما سماه (الكتاب الأخضر) وأخذ بعد موت عبد الناصر يهذي بزعامة العرب وقيادتهم، وعظم هذيانه، وراح يناطح السادات الذي سماه (مجنون ليبيا). ولما تعاظم بَرَمُ السادات به وحنقه عليه قرر القضاء عليه بأي سبيل، ولكن السادات لم يكن ليفعل شيئاً دون مشورة أمريكا، فأعلمها نيته في التخلص من الجار (المجنون) فلم توافق على ذلك وقالت له: «القذافي عنصر استقرار في الشرق الأوسط» ولم يكن في مقدور السادات - ومعظم السادات - إلاَّ أن يستمع القول فيتبع أسوأه.

وأُرخي العنان للأخ العقيد ليزيد الحياة العربية تعقيداً وفرقة وجنوناً على الرغم من لُهاثه نحو وحدة عربية من أي نوع ولو لنصف يوم كما كان في وحدته مع تونس؛ ليكون زعيماً يضارع قائد النكسة الذي دغدغ مخيلته حين قال له: «أرى فيك شبابي» ولم تطُل الآمال المعقودة على الأخ العقيد حتى تبددت، واسَّاقطت الرؤى الهائمةُ للشباب العربي، لينتهي صاحب الكتاب الأخضر إلى إوزة تعوم بمهارة ثورية في بركة أمريكية آسنة، وليس أمامه إلاَّ حشائش شيطانية تنمو على حوافها المنتنة.

• أسطورة صدام والبعث:

ثم جاء (صدام حسين) ليقتنص صورة البطل الأسطوري من خلال عدة صواريخ وجهها إلى الكيان الصهيوني كان قد رشق بمثلها مدينةَ الرياض في السعودية، فصفقت له الجماهير المستعدة للخداع وهامت في (سيمفونية) قصفه التهريجي للكيان اليهودي، والجدِّي على السعودية، كان صدام آنئذ ما يزال غارقاً في أكذوبة (البعث العربي الاشتراكي) ناسياً ومتجاهلاً قول الشاعر العربي (المقنَّع الكِنْدي) الذي طالما تغنى القوميون بقوله:

وإن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لمختلفٌ جِدًّا
فإن أكلوا لحمي وَفَرْتُ لحومَهم
وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا
ولا أحمل الحقدَ القديمَ عليهمُ
وليس كريمَ القوم من يحملُ الحقدا

غير أننا لا نملك إلا أن نقول: «رحمه الله وغفر له» فقد كان آخر كلامه من الدنيا: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» قبل إعدامه على يد الصفويين الجدد.

• أسطورة حزب الله:

وأخيراً - لا آخراً - يأتي (حسن نصر الله - موديل ٢٠٠٦) ليأخذ مكانة البطل الأسطوري حتى في عالم أهل السنة، وهو الذي لا يماري في ارتباطه العقدي والتنظيمي بولاية الفقيه التي تمثل بحقٍّ (الصفويين الجُدُد). ولم يرَ بعض البسطاء من أبناء هذه الأمة بأساً - ومنهم أفراد يوسَمون بأنهم مثقفون أو حتى أكاديميون - في أن يطلقوا على حسن نصر الله لقب (صلاح الدين) بل إن بعض السذج لم يُمَهِل في منحه زوراً لقب (خليفة المسلمين) من خلال غبار المعركة التي لم تكن حقيقتها قد انجلت آنئذ لدى كثير من الناس، ومن خلال إعلام لم يجد غضاضة ولا ذنباً في تضليل الجماهير في سبيل النيْل من جهات عربية على وجه الخصوص، متذرعاً بموقفها من تورط حزب الله في إشعال فتيل فتنة أتاحت للصهاينة شن حرب غاشمة ظالمة أظهر فيها اليهود من فنون الهمجية والحقد على الجميع ما سيكون له شأنه في مستقبل الأمة.

كل ذلك والذين يمثلون صورةَ (طِبق الأصل) لحسن نصر الله في العراق يَقْتُلون العراقيين من أهل السنة خاصة، والشرفاءَ من سكان أرض الرافدين بصورة عامة، ومما قاله



نصر الله في تسويغ ما دعاه وحزبَه إلى اختطاف الجنديين أن الدولـة الصهيونية أجمعت أمرها علـى غزو لبنان في تشـرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦م، وهذا القـول يعني أن فعل حزب الله جاء لقطع الطريق على الدولة الصهيونية ومنعها من غزوة تشرين المزعومة، وكان أعلن قبل ذلك أن القصد هو الدفع في اتجاه إجراء مبادلة الجنديين المخطوفين بالأسرى اللبنانيين الثلاثة؛ فلأي الهدفين كان إشعال الحرب؟ الأحداث لم تؤكد أحدهما؛ لأن عدد الأسـرى اللبنانيين وصل نتيجة نباهة (السيد) والأجندة الصفوية في المنطقة إلى ثلاثة عشر أسيراً؛ فهل ستشـمل المطالبة إطلاق الأسرى الجدد، أم أن الأمر يسـتدعي المزيد من مخطوفين يهوداً؟ وكان حزب الله قبل هذه المغامرة يرفض دخول الجيش اللبناني إلى الجنوب قبل تحرير مزارع شبعا، فدخل الجيش اللبناني ومعه قواتٌ إضافية من الأمم المتحدة أطبقت على الشـريط الحدودي الذي صار يشكل حاجزاً أكثر أمناً لليهود، إلى جانب اعتراف هامس من حسـن نصر الله أنه لو كان يقدِّر ما ستصل إليه الأمور وتكون عليه النتائج لـما أقدم على تلك المغامرة؛ غير أنه بعد مدة نسي تصريحه الهامس المتطامن ذاك الذي ثقل على سمع الجماهير ولم تتح لها فرصة تأمُّله ليرفع نبرته من جديد ويبلغ بها عنان السماء متزاهياً بأن هذه المغامرة كانت تعبر عن (النصر الإلهي) لـ (الوعد الصادق) بإطلاق سـراح سـمير القنطار من الأسر لدى إسرائيل من خلال محادثات بين حزب الله وإسرائيل بوساطة ألمانيَّة دون التصريح باسم الجانب الإسـرائيلي الواعد، وكأن علـى اللبنانيين والعرب والمسـلمين أن يدوروا معـه حيث دار مكافـأة له على فكِّ طلاسم عُقم الأمة والإبقاء على السلاح في أيدي عسكره.

وكان ما شـهده العالم يوم ٢٠٠٨/٥/٧م في بيروت حين أمر حسـن نصر الله مقاتليه باجتياح الأحياء السـنية من بيروت، وما فعله هؤلاء المقاومون الأشاوس أبناء الولي الفقيه من ترويع للآمنين وقتل للأبرياء وتخريب وحرق للمنشـآت، دليلاً على الأهداف التي تتلظـى خلف الإصرار على إبقاء هذا السلاح الغاشم في أيدي صبية حزب الله الذين يعلمون ما تعنيه أنفاس السـيد المطاع والقائد الأسطوري المعصوم عن الهزيمة والمبرَّأ من الأخطاء. وللمرء أن يتساءل: هل يوم ٢٠٠٨/٥/٧م هو (يوم الجائزة) الذي اقتضاه (النصر الإلهي) الذي حافظ من خلاله حزب ولاية الفقيه على صُفرة أعلامه رغم حُمرة دماء أكثـر من ألف ومائتي ضحية لبناني قضوا ثمناً لمغامرة غير مدروسة ولا ممحَّصة تمخضت عن أسيرين صهيونيين اثنين لا ثالث لهما باغتتهما عملية السيد الهامس، أم أن سلاح المقاومة المذهبية الذي لم يعُد له مكان في الجنوب للمناوشة والمهاوشة يُخشى عليه من الصدأ، فكان لا بد من صقله وتلميعه بدماء سُنِّية بريئة في بيروت الغربية؟

كل الذي كسبه (حسـن نصر الله) هو البريق الإعلامي المجنـون والهتاف العبثي الطائش الذي أخذ يتلاشـى كما تلاشى بريق من سبقه ممن لم يصنع للأمة من خلال ترَّهاته شيئاً حقيقياً يخلصها مما هي فيه من ذل وهوان.

وعندما يهـدأ روع الجماهير وتنتظم أنفاسـها، وتبدأ عمليات الحسـاب الدقيقة للمكاسـب والخسائر، والدوافع والأهـداف، والشـركاء والأعوان، والصـدق والكذب الذي رافـق تلك الأحداث الأليمة وخالطها؛ عند ذلك يبدأ الوعي بإدراك الحقيقة الـمُرَّة بأن الذين ألَّفوا (السيمفونية) وقادوا (الأوركسـترا) لم يعلنوا عن نواياهم ولا أهدافهم الحقيقية الكامنة وراء تصرف أرعن لم يستشيروا فيه أحداً ليسألهم: هـل أعددتم للأمر عدته، وقلَّبتم صحائف البحث عن كل ما يمكن توقعه وطبيعة التعامل معه؟

إن حريقاً هائلاً يمكن إشـعاله من عود ثقاب تقذف به يد رعناء، ثم تعجز عن إطفائه فرق متخصصة تمتلك أحدث الأدوات والمواد وتكابد في ذلك أشـد المكابدة دون أن تفلح في إطفائه في الوقت المناسب. وكذلك الفتن يُطْلِق شرارتها أشـرار أو أغبياء من ورائهم جهات لا تؤمن بالنُّبْل ولا تميل إلى الإحسان، يُفرحها القتلُ، ويُطربها عويل الثكالى، ويمسح على ناصيتها أنين المعذبين، وزفير المتحشرجين.

قد ينمِّق المنافـق كلامه حتى يخاله المـرء حقاً، بل إن المنافق لا يرى بأساً بقولٍ حقٍ على حين يريد به باطلاً، وقد امتلأ غيظاً على الحق وأهله، وإلى ذلك تشير الآيات: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦].

وفي الختام: لا بد للمسـلمين وهم أمة الإسـناد وعلم الرجـال من إنزال النـاس منازلهم والبحـث عن أصولهم، ومعرفة معتقداتهم؛ وكذلك الشـأن في كل دعوى تطلق هنا أو هناك، لا بد من الإحاطة بمرجعيتها العقائدية؛ فإن ذلك يؤهل للوقـوف على جوانب الحق والباطـل في كل قضية، ويُجنِّب الوقوع في حبائل بطل أسـطوري يكفر بالحق ويقتل أهله ثم نصفق له ونهتف باسمه ونحسب أننا على شيء.





خالد بن أكرم الحسيني

من الغريب أن يطمح الإنســـان إلى التفوُّق بين أقرانه، وإلى خدمة أمته وبلده، وهو لا يحب القراءة في مجالات المعرفة، بل الأعجب أنَّ رجال أمتنا ونساءها من أقلِّ الشـــعوب قراءة للكتب، مع أن أول كلمة نزلت في قرآننا هي: (اقرأ). وتجد القرآن والسنة مليئان بالحثِّ عليها بشتى الأساليب والصور.

لن تجدَ أمةً متحضرة على مدار التاريخ قامت حضارتُها على الجهل، بل إنك ترى القراءة هي الركيزة الكبرى للبناء الحضاري لديها، وإذا شـئت أن تسـتوثق من هذا فانظر إلى الحِكَم والأمثـــال والمقولات التي بين أيدينا الحاثَّة على العلم والقراءة؛ لتتيقن أن أكثرها قيل حين كانت أمتنا هي أرقى شـعوب العالم حضارةً وتمدُّناً، ثم انظر إلى عصرنا؛ لتـــرى أعلى إنتاج حضاري عند الأمم المتفوقة في تعليمها وإقبالها على القراءة، وترى الجهل أكبر سِمَة للشعوب الضعيفة في شتى الميادين. لن يطول بك الفكر لتســتيقن أن نقص العلـم عندنا في الدين والدنيا هو الذي دفع بنا إلـى الحضيـض.

ادخُـــلْ غـرفةً حالكة الظلمة، ثم حـاول أن تبصـر ما فيها! لن ترى شـيئاً بالطبــع، لكنك إذا أضأتها أبصرت ما تريد... كـذا المعرفة للعقل، كالنور للعين. ولنبْســطَ الفرقَ بين المتعلم وغيره؛ فلنقارن بـين رجلين: أحدهما: قد تخرَّج من الجامعـة بامتيـاز، والآخر: راعٍ فـي الصحراء لم يرَ مدينة قـط! إنه كما قيل: (المعرفة خبز الدماغ).

النداء الكبير: (القراءة هي الحياة).

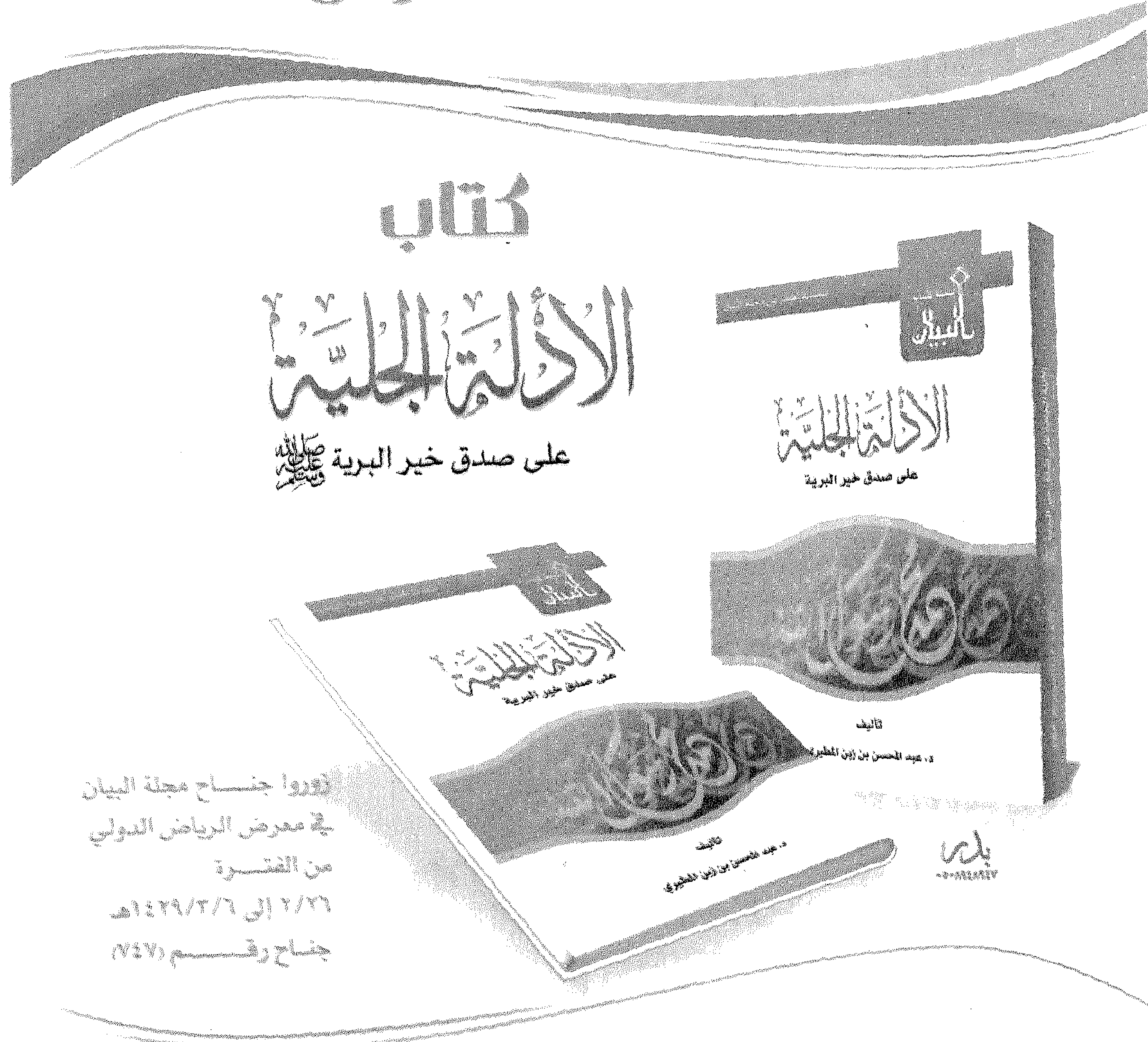
فاسعَ إليها كما تسعى إلى رزقك.


لتحيا روحك كما يحيا بدنك.



الآن..

جديدنا في الأسواق





إعلامنا ومواجهة حروب الإعلام الدعائية

عبد الرحمن سلوم الرواشدي(*)
rawashdee@76news.net

يمكن أن نحدد ثلاثة أنواع من الحروب الدعائية التي شنها الإعلام الأمريكي المحتل والإعلام الموالي له عند غزوه للعراق، على أن هذه الحروب تتداخل فيما بينها ويتكامل أحدها مع الآخر؛ فهي منظومة دعائية متكاملة. وهذه الأنواع هي: الحرب النفسية، وحرب الشائعات، وحرب المصطلحات. وسنعرِّج بالحديث عن هذه الحروب من حيث التنظير والتمثيل من واقع المعركة الجهادية في العراق، ثم نعقب ذلك بتقديم آلية مواجهة هذه الحرب الدعائية من خلال الإعلام الجهادي.

أولاً: الحرب النفسية:

يعرِّفها (بول لينبارجر) في كتابه (الحرب النفسية) بأنها: استخدام الدعاية ضد العدو مع إجراءات عملية أخرى ذات طبيعة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية مما تتطلّبه الدعاية. والدعاية عنده: هي استخدام مخطط لأي شكل من أشكال الإعلام بقصد التأثير على عقول أو عواطف مجموعة معادية أو محايدة أو صديقة، وذلك لتحقيق هدف استراتيجي أو تكتيكي معيّن[1].

(*) المشرف العام على وكالة حق الاخبارية.

(١) الحرب النفسية، د. أحمد نوفل، ص ٣٤.

مما سبق ندرك أن وسائل الإعلام تقوم بالدور الرئيسي في الحرب النفسية، حتى يمكن وصفها بأنها حرب وسائل الإعلام؛ ففي الحرب الباردة بين موسكو وواشنطن نجدُ أن إذاعة موسكو قامت ببناء ألفي وحدة إرسال بهدف التشويش على إذاعة صوت أمريكا. وبالفعل تمكنت هذه الوحدات من بث ٢٢٠٠ ساعة بـ ٨٦ لغة مختلفة، وهو الأمر الذي أثار قلق مسؤولي إذاعة صوت أمريكا من احتمال فقدهم لعدد كبير من مستمعيهم، وهذا ما دفع الرئيس الأمريكي آنذاك (ريغان) إلى ضخ ملايين الدولارات ليكسر حاجز التشويش.

فالحرب النفسية تكاد تكون إعلاماً كما بيّنا سابقاً، فلا غرو أن تكون على صلة وثقى بالإعلام والدعاية وفنون الاتصال وأساليب الإقناع والتأثير على الجماهير، وخاصة أن الإعلام غدا علماً تُنشأ له كُلياته. ولذا كلما زاد خبير الحرب النفسية صلة بموضوع الإعلام ووعياً به وبالأدوات والوسائل والتكتيكات المتبعة فيه؛ كان أقدر على ممارسة الحرب النفسية وأكفأ في مغالبة الخصوم في هذا الميدان.

• **الحرب النفسية والجهاد في العراق:**

في الحرب على العراق بادرت أمريكا إلى شنِّ حربها النفسية واستطاعت أن تسيطر عليها، مما مهّد لها أن تكسب المعركة عسكرياً بسرعة فاجأت الجميع، ومنهم قادة الحرب، واستطاعت أن تسقط النظام والدولة العراقية، ومن ثم احتلال بغداد في يومين بعد تسعة عشر يوماً من بدء العمليات العسكرية.

وبعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣ بدأت معركة جديدة لم تكن في حسبان القيادة الأمريكية، تميزت بأن خصمها الجديد يستند إلى عقيدة دينية، وهذا ما كانت تخشاه، مما جعلها تسارع إلى إعداد جديد لحرب نفسية تتطلب جهداً كبيراً وإقناعاً ليس من السهولة تحقيقه.

ومما ينبغي الاعتراف به أن الجهاد في العراق يواجه حصاراً إعلامياً فرضته الآلة الإعلامية الأمريكية، التي ألزمت نقل المادة الإعلامية عن طريق الانضمام إلى فريقها الإعلامي، وإلا تتحمل مسؤولية سلامته. وأول ما عملت عليه قوات الاحتلال في حربها النفسية ضد المجاهدين والمقاومة الوطنية هو تشويهها وافتراء الأكاذيب عليها، وأول تلك المزاعم هي القول بأن المقاومة هي من بقايا النظام السابق الساعي إلى إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، وحاولت أن تحمّل المقاومة تبعات كل ذلك. وبعد إعلان بعض المجاميع الجهادية عن هويتها؛ روجت الوسائل الإعلامية مصطلح (المثلث السني)، الذي أريد منه حصر المقاومة بفئة أشيع أنها الجهة التي انتفعت من النظام السابق وهم العرب السنة، وكذلك حصرها في منطقة جغرافية ضيقة، أصبحت فيما بعد هدفاً أوسع للعمليات العسكرية والإبادة. وعندما تهاوى هذا الأمر أيضاً بسبب توسُّع المقاومة ودخول أطياف أخرى، فضلاً عن سقوط دعوى الأغلبية الشيعية وخاصة بعد الانتخابات الأولى؛ كان لا بد من إثارة شبهة أخرى تجلّت بدعوى المقاتلين الأجانب وتهويل شأنهم، وحصر القتال بهم، وما تبعه من ترويج مصطلح الإرهاب وما صاحبه من عمليات استهدفت الأبرياء بصورة وحشية.

لا يرتاب أحد بضلوع دوائر مخابراتية لدول لها مطامع ونوايا سيئة في العراق، وهدفت قوات الاحتلال من ذلك إلى تشويه المقاومة الجهادية والتقليل من شأنها أولاً، وإلى حشد الدعم الدولي والدعم الداخلي في الولايات المتحدة لغرض تبرير استمرار الاحتلال، وتخصيص الأموال الطائلة التي تجاوزت كل التوقعات. كما استغلتها القوى الموالية للاحتلال والمعادية للمقاومة داخل العراق لتبرير منهجها وتحالفها مع الاحتلال؛ لتقدم نفسها على أنها البديل الأوفى الذي يستحق التعامل معه من بين القوى العراقية. وتمادياً في تغييب الجانب العراقي في الجهاد والمقاومة؛ ردد الإعلام الأمريكي والإعلام المنقاد له بعدم وجود مشاريع سياسية لهذه المجاميع وعدم وجود قيادات معلنة، وكذلك إثارة مصطلح المقاتلين الأجانب. ولا يخفى على مطّلع أسباب عدم إعلان القيادات الجهادية عن نفسها لدواعٍ أمنية، وخاصة أنها تخوض حرب مدن مع قوات الاحتلال والقوات الموالية لها مع انتشار الجواسيس والعملاء والمكافآت المغرية، ثم الترويج لمصطلح الإرهاب واتهام الناس به، وكذلك اعتقال التجار بتهمة دعم الإرهاب.

ومن أشد أساليب الحرب النفسية التي انتهجتها القوات الأمريكية والتي وجهتها للذين يؤيدون الجهاد ويدعمون المقاومين؛ تدميرُ المدن المقاومة، وتهديم البيوت على ساكنيها من خلال عمليات عسكرية واسعة وبمشاركة القوات العراقية الموالية لها، واستخدام الأسلحة المحرمة دولياً، واعتقال الآلاف من أبنائها حتى النساء والأطفال، والتعذيب الوحشي غير الإنساني وغير الأخلاقي بحق المعتقلين من أجل المساس بكرامتهم وإذلالهم أمام أهاليهم.

وما زادت الحرب النفسية المجاهدين إلا ثباتاً وإصراراً، وشهدت الساحة العراقية تصعيداً في العمليات الجهادية، مما أحرج قيادة الاحتلال الأمريكي وكذلك الحكومة العراقية،

فجاءت فكرة التشـــويه الإعلامي للمجاهدين؛ فكانت فضائح ســـجن (أبي غريب) التي جاءت مباشـــرة بعد هزيمة القوات الأمريكية في موقعة الفلوجة الأولى (نيسان ٢٠٠٤م)، وكذلك برنامج (الإرهـــاب أمام العدالة) ســـيئ الصيت الذي امتلأ بالأكاذيب، والذي يدفع الشخصيات الدينية للاعتراف بأمور سيئة لم يرتكبوها، ثم تمادت وسائل الإعلام الموالية للاحتلال في تشـــويه المواقف الوطنية فضلاً عـــن الجهادية من خلال الإعلانات التي تبثها.

وما دامت معركتنا مع أمريكا متواصلة فلا بد لنا أن ندرك نهج أمريكا في حربها النفســـية تجـــاه الحركات والجماعات الإسلامية، وخاصة المقاومة، والذي يتجلى من خلال التضييق الاقتصادي عليها، واتهامها بمناهضة الحرية وأنها جماعات اســـتبدادية قمعية وحركات دينية راديكالية (تشـــبيه ذهني بالقـــرون الوســـطى)، وأنها منعزلة عن العالـــم وخارجة عن الشرعية الدولية، وأخيراً أنها إرهابية.

ثانياً: حرب الشائعات:

يعرِّف الإعلاميون الشـــائعة بأنها: الترويج لخبر مختـــلق لا أساس له من الواقع، أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في ســـرْد خبر فيه جانب ضئيل مـــن الحقيقة، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو النوعي، تحقيقاً لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة، أو عدة دول، أو النطاق العالمي بأجمعه (٢).

- **خطورتها:**

يعد علماء الحرب النفسية الإشاعةَ من أهم الأسلحة التي يُلجـــأ إليها في الحرب داخلياً وخارجياً؛ لأنها تثير عواطف الجماهيـــر وتعمل على بلبلة أفكارهم، وتثير فيهم الشـــكوك والريب، وتحطم معنوياتهم، وتفقدهم الثقة بأنفسهم وبقادتهم، وتنشر الفتن والضغائن بين الطوائف والطبقات، وكل ذلك من العوامل التي تفكك وحدة الأمة وتصدّع كيانها (٣).

- **أنواعها:**

- شـــائعة الأماني: دافعها الرغبة فـــي تحقيق الرغبات والأماني؛ فتنتشـــر هذه الشـــائعة بســـرعة بين الناس؛ لأنها تشعرهم بالرضا وتشبع فيهم هذه الرغبات.

وخطورة هذه الشـــائعة في انتشارها عند أوساط الذين يميلون إلى الدعة والرخاء. ومن أمثلتها في الحرب الأمريكية على العراق: (شـــائعة التحرير والديمقراطية)؛ فهذه الشائعة روّجت لهـــا الآلة الإعلامية للقوات الأمريكية للعراق قبل بدء المعركة، وادعت أن العراقيين ســـوف يستقبلون القوات التي تحررهم من النظام الســـابق بالورود والأفراح. وفعلاً صوّرت وسائل الإعلام ذلك بالتنسيق مع مواليهم الذين جاؤوا معهم، وسُـــمي الحدث تحريراً، والقوات محـــرِّرة، وعاش الناس في أحلام الديمقراطية والمساواة والتعمير. ووسائل الإعلام تزين ذلك من أجل امتصاص ردة الفعل، ولم ينجُ من هذه الشـــائعة إلا المجاهدون ومؤيدوهم، ثم انكشف زيْف هذه الشائعة للعالم أجمع ومنهم المروجون لها، بل بدؤوا يتندرون بها.

- شـــائعة الكراهية: دافعها التعبير عن شـــعور الكراهية والبُغض. وخطورة هذه الشـــائعات أنها تســـاعد على نشـــر الخصومة والبغضاء بين فئات الشعب وبين المجاهدين، بل بين المجاهدين أنفسهم. ويمثل لها بـ (شائعة الإرهاب والاستهداف الطائفي)؛ فقد تصدرت هذه الشـــائعة وســـائل إعلام العدو وحلفائه، وخاصة بعد تصاعد وتيرة الأعمال الجهادية وتزايد الدعم والتأييد الشعبيين لها؛ ليس على مستوى العراق وإنما على مســـتوى العالم العربي والإســـلامي والدولي. ومما زاد الترويج لهذه الشائعة تصاعد الأعمال الإجرامية ضد الأبرياء والأطفال، وكان الهدف منها تشـــويه العمل الجهادي، وتقليل الدعم والتأييد الشعبي له بل تخويف الناس منه، وخاصة بعد ترتيب المساءلة القانونية على ذلك (٤).

- شـــائعة الخوف والقلق: دافعها سيطرة الخوف والقلق على الناس. فالإنســـان في حالة الخوف والقلق مســـتعِدٌّ لأنْ يتوهم أموراً كثيرة لا أساس لها من الصحة.

وتسبِّب الشائعة التي تســـتند إلى ذلك أضراراً جسيمة؛ لأنها تعمل على نشـــر الخوف وإشاعة الذعر في الناس، وإذا استولى الخوف والذعر على الناس ضعفت معنوياتهم وانهارت ثقتهم بأنفســـهم. ويمثل لها بـ (شائعة الحرب الأهلية)؛ فبعد الفشل السياسي الذي منيت به العملية السياسية التي ترعاها الإدارة الأمريكية في العراق، وانكشاف المأزق الأمريكي؛ سَعَتْ إلى ترويج شائعة الحرب الأهلية. وليس تأثيرها على الوسط الشـــيعي بقدر ما سعت إلى ترويجها في أوساط أهل السنة؛ لدفعهم إلى المشـــاركة في العملية السياســـية، ومن ثم كسب رضاهـــم في إبقاء قوات الاحتلال؛ فهي أهون عليهم من فِرق الموت والميليشـــيات الطائفية، وكذلك فتح جبهة واسعة أمام

(٢) الرأي العام والحرب النفسية، د. مختار التهامي، ص ١٢٧.

(٣) الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، ص ١٧٦.

(٤) انظر: قانون الإرهاب، رقم ١٤، الصادر عن الحكومة في العراق.

الإعـلام الأخرى؛ فلا بـد من تمحيـص المصطلحات قبل اسـتعمالها؛ فإذا كان المصطلح فيه ارتياب أو كان فضفاضاً يتسـع لأكثر من احتمال فاتركه إلى غيـره، وهذا هو المنهج القرآني في التعامل مع المصطلحات. يقول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

• **سقوط النظام - سقوط بغداد - احتلال العراق:**

سقوط النظام هو المصطلح الذي أخذ يمثل نقطة مفصلية في تاريخ العراق الحديث. والآلة الإعلامية للعدوان هي التي روجت لهذا المصطلح حتى شاع في الأوساط النظيفة من دون تروٍّ وتفكير. والأصل أن قوات الاحتلال لا تشـيع مصطلحاً بريئاً.. هكـذا ينبغي أن نتعامل معهـم. نعم! نحن نعرف أن النظام سـقط، ولكن التركيز على هـذا المصطلح يحمل في طياته مخاطر كبيرة، منها:

١- اختزال جريمة الاحتلال المتمثلة بإسـقاط دولة ذات سيادة وتدمير كل مؤسساتها بسقوط النظام.

٢- أن استخدام هذا المصطلح يعني محاولة التستر على الأهداف الحقيقية للاحتلال.

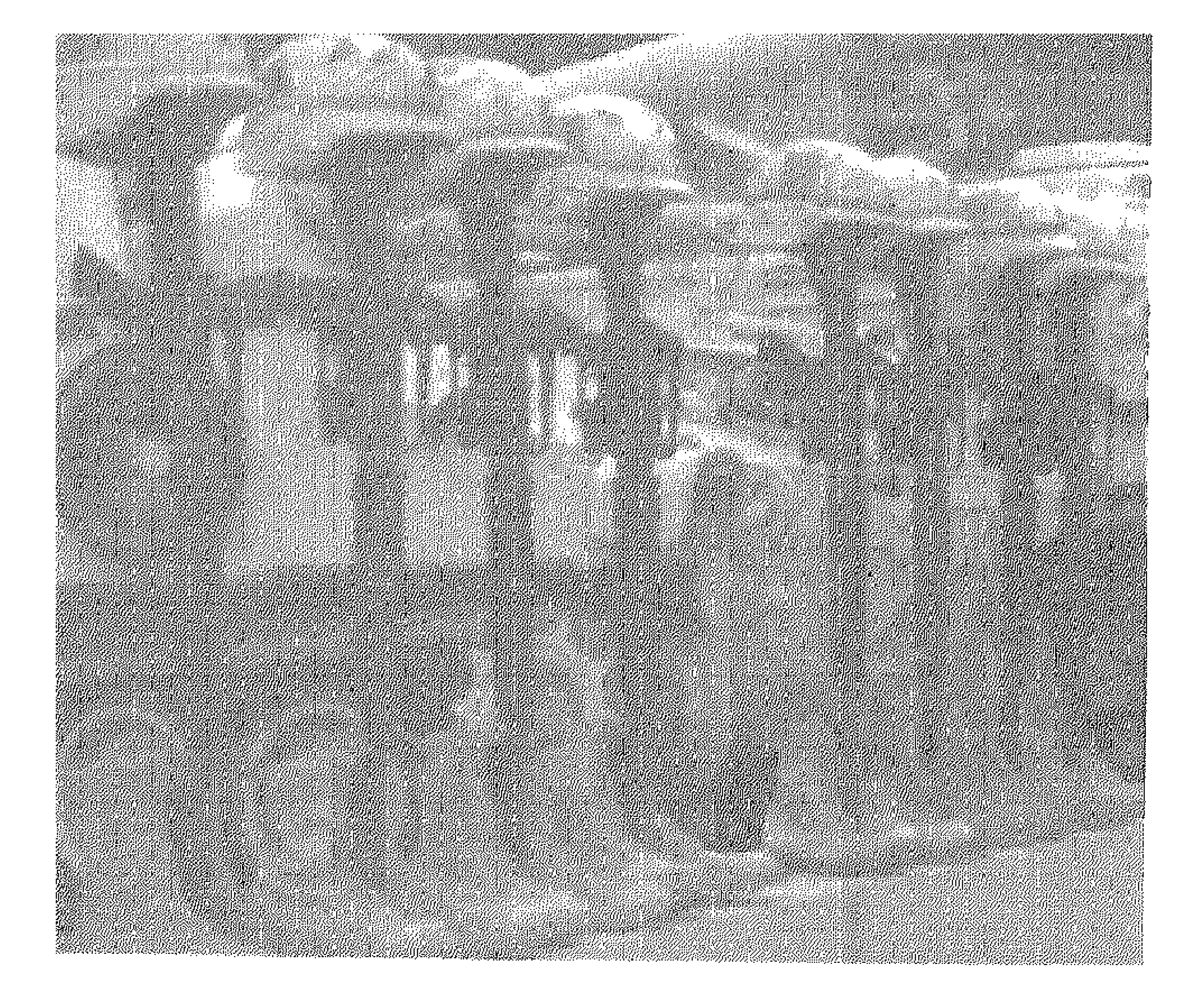
٣ - أن استخدام هذا المصطلح يعني أن المقاومة لا تدافع عن بلد اسـمه «العراق» وإنما تقاتل من أجل «النظام». وفي هذا محاولة مكشوفة لإضعاف شرعية المقاومة وحرمانها من بعض التأييد.

والحقيقـة أن المصطلـح المتعارف عليه فـي مثل هذا الحال أن نقول: «سـقوط بغداد»، لكن هـذا المصطلح مؤلم وجارح للقلب، وربما هذا ما دفع بعض المخلصين أن يتحاشاه ويستخدم مكانه «سـقوط النظام»؛ فهذا أهون على النفس. لكن الحقيقة أن بغداد قد سقطت بيد الغزاة.

ونحن نسـتغرب تأكيد لفظة (السـقوط) مع أن تاريخنا حفـظ لنا مصطلحاً أطلقه المؤرخون على اسـتيلاء الأعداء على الدول العربية والإسلامية في التاريخ المعاصر، وله دلالته القانونية؛ وهو مصطلح (الاحتلال)! لذا، من الأسلم أن نطلق على هذا الحـدث الجلل احتـلال العـراق أو احتلال بغداد؛ ليتم تجاوز المخاطر التي تصاحب مصطلح سـقوط النظام، وكذلـك ليتم تفنيد المصطلح الـذي روّجه أعوان المحتل وهو تسمية الحدث (تحرير العراق).

• **كيف يواجه الإعلام الجهادي هذه الحروب؟**

تتطلب مواجهة الحرب الدعائية النفسية للمحتل وأعوانه إيجاد مراكز أو مؤسسـات إعلامية تدار من قِبَل المختصين



المجاهدين، وإضافة تحدٍّ جديد أمامهم تذمّر من وجوده أهل السـنة وطالبوا المجاهدين بصده. لـذا؛ على المجاهدين أن يحرصوا على تأكيد عدم قيام حرب أهلية بالمفهوم الشـعبي، وحتى إن كان الصراع السياسي قائماً.

• **مقاومة الشائعات:**

إن مقاومة الشائعات لا بد أن تكون بأساليب مؤثرة، ومنها: عدم الاسـتماع للأخبار غير الموثوقة، وعدم تداول الإشاعة أو نقلهـا، وتوعيـة العناصر والقادة والأنصـار، وتحصينها ضد الحرب النفسـية، والتفتيش عن مصدر الخبر قبل نقله وتداوله، والتشـكيك والسـخرية من الأخبار المشكوك بها، وتفنيد الإشـاعة بإظهار الحقيقة، والوثوق بالقادة وبالقنوات الرسمية، ومشاغلة نظر المخاطبين.

ثالثاً: حرب المصطلحات:

حـرب المصطلحات امتـداد آخر للحرب النفسـية في الحروب عمومـاً، وفي إعـلام الحرب خصوصـاً. كما أن المصطلحات تلعب دوراً مهماً في رسم السياسات وفي افتعال الأزمات؛ فتجد مصطلحاً واحداً له تداعيات وآثار يؤدي إلى حروب دولية، وإلـى صراعات حضارية. ولسـيطرة الغرب على الوسـائل الإعلامية، لذا فإنه يعتمد سياسـة التلاعب الاصطلاحي الذي يساهم في تغييب الحقيقة، وخلْق مساحة مـن الغموض تمكّنه من تمرير ما يهـدف إليه في النهاية[٥]، وهذا يفرض التبعية الإعلامية له والتي لم يُكشـف عنها إلا بشكل محدود[٦].

لـذا، على الإعـلام العربي عموماً والإعـلام الجهادي خصوصـاً أن ينتبه إلـى المصطلحات المتداولة في وسـائل

(٥) من فقه المقاومة، د. محمد عياش.

(٦) مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، رشدي شحاتة، ص ٢٥٨.

الإعلاميين، الذين يبنون حربهم الإعلامية وفق آلية مدروسة ومخطط لها، وأن تقوم الخطط الإعلامية والدعائية للإعلام الجهادي على أسس علمية تعتمد تقسيم الجمهور المستهدَف والهدف من الرسالة الإعلامية، ومن ثم اختيار الوسيلة الإعلامية المناسبة لتوصيل تلك الرسالة إلى الجمهور.

ولا بد لهذا المخطط الإعلامي أن يقف على الأسس والمنطلقات الدعائية التي يستند إليها المخطط الدعائي للاحتلال وأعوانه، ليتسنى له بناء خططه في الرد على تلك الادعاءات وتفنيدها، واستخدام الوسائل الإعلامية المناسبة لإيصال الرسائل الإعلامية التي يراد إيصالها والتي سيتم تحديدها وفقاً للجمهور المستهدَف.

وبذلك فإن المجاميع الجهادية أو المؤازرين لها بحاجة إلى إنشاء مركز إعلامي موحد متخصص بالإعلام الجهادي يدار من قِبَل المختصين والأكاديميين من الإعلاميين، ويستعين بخبرات المحللين السياسيين والعسكريين.

ويمكن إجمال بعض المنطلقات الدعائية التي يستند إليها المخطط الدعائي للاحتلال وحكومته العميلة في العراق، كما يلي:

١ – الادعاء بأن حكومة العراق هي حكومة وطنية منتخبة من قِبَل الشعب وأنها تمثل أطياف الشعب العراقي كله.

٢ – الادعاء بأن الذين يقومون بالعمليات المسلحة هم طرفان: الأول: من بقايا النظام السابق الذين يريدون العودة بالعراق إلى الحكم الدكتاتوري المستبد، والذين لا يروق لهم أن يروا عراقاً ديمقراطياً تُنْتَخَب حكومته من الشعب. والثاني: هم من المقاتلين العرب الذين قدموا من الخارج ويريدون تصفية حساباتهم مع أمريكا على أرض العراق، دون الاكتراث بالويلات التي لحقت بشعبه جراء هذا الصراع؛ فهم (صدّاميون أو تكفيريون).

٣ – الادعاء بأن المجاميع المسلحة بدأت تنهار، وأن معظم المنتمين لها (وخاصة القياديين) قُتِلوا، أو قُبِض عليهم وزُجَّ بهم في السجون، وأنها مسألة وقت حتى ينتهي العمل المسلح ضد الاحتلال وأعوانه.

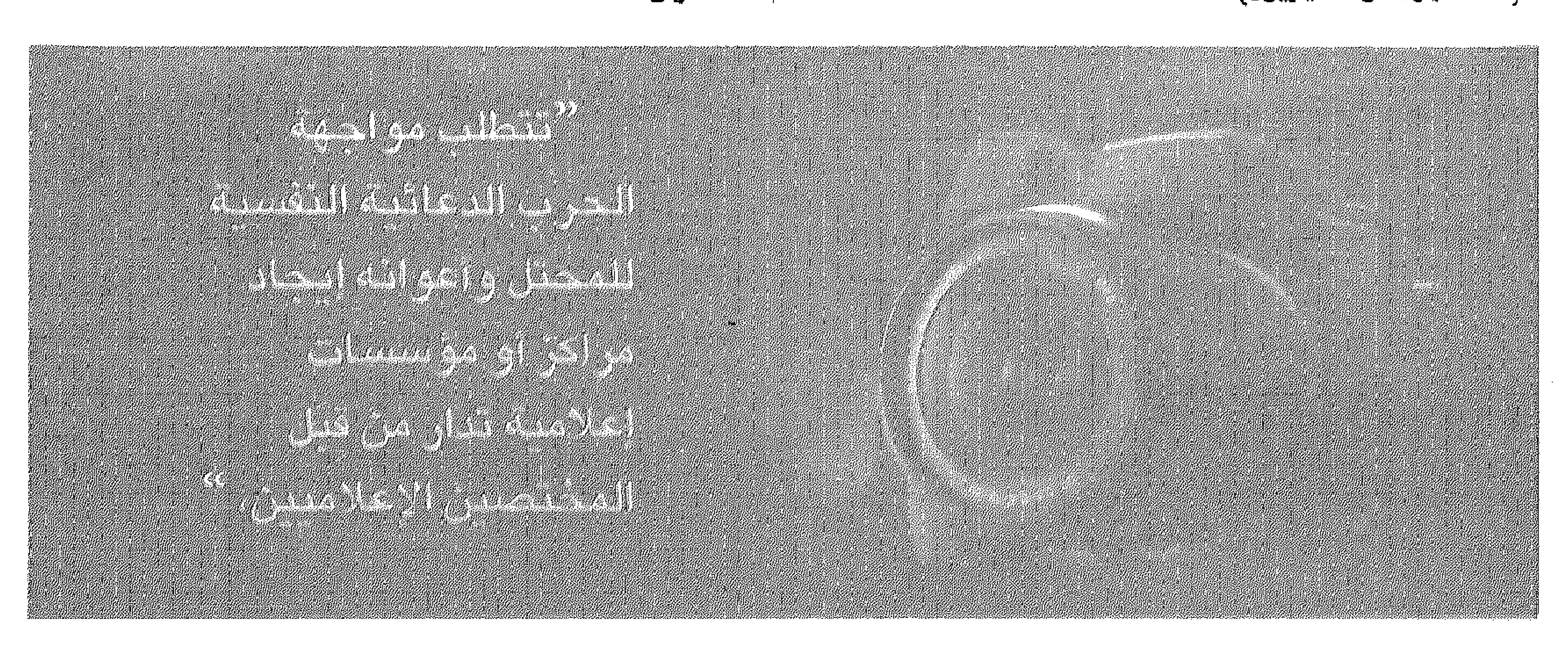
٤ – الادعاء بأن الخطط الأمنية التي تنفذها القوات الحكومية وقوات الاحتلال تهدف إلى إحلال الأمن والسلام للمواطنين كافة، ولتخليصهم من الإرهابيين (التكفيريين والصداميين).

٥ – الادعاء بأن المجاميع المسلحة تهدف إلى إحداث الفتنة الطائفية وجرِّ العراق إلى حرب أهلية تحرق الأخضر واليابس؛ لكي يخلقوا الأجواء المناسبة لبقائهم؛ وأنهم يستهدفون المدنيين الأبرياء بعملياتهم.

٦ – الادعاء بأن العشائر والأهالي في المناطق التي تحدث فيها الهجمات المسلحة على المحتل وأعوانه وقعوا أسرى بأيدي المسلحين الذين يسيطرون على تلك المناطق، وأن المسلحين يعرِّضون حياة المدنيين للخطر باختبائهم في المدن في أثناء مهاجمة قوات الاحتلال والقوات الحكومية التابعة لها، وأن القوات الحكومية - وبإسناد من قوات الاحتلال - سوف تقوم بتحريرهم من هؤلاء الإرهابيين.

٧ – الادعاء بأن المجاميع المسلحة المقاومة لمشروع الاحتلال ترتبط بمخابرات دول أجنبية؛ لها أجندات تريد تحقيقها على أرض العراق، ومن ثم هم لا يكترثون بشعب العراق واستقرار أمنه ووحدة أراضيه.

٨ – الادعاء بأن المجاميع المسلحة التي تقاوم مشروع الاحتلال ليس لديها رؤية واضحة لمستقبل العراق وليس لهم برنامج سياسي، وهم لا يستطيعون قيادته، والهدف من أعمالهم المسلحة هو إحداث الفوضى للحيلولة دون استقرار العراق.



بعد ذلك يمكننا أن نضع السياسة الإعلامية التي يمكن من خلالها الــرد على تلك الافتــراءات ومجابهتها إعلامياً، وذلك وفقاً لما يأتي:

١ - تأكيد أن هذه الحكومــة هي حكومة عميلة للمحتل قام بتنصيبها تحت تهديد السلاح والاحتلال المباشر وبإجراء انتخابات زائفة، وتســعى هذه الحكومــة إلى تحقيق أهداف المحتــل في بناء نموذج لدولة مواليــة للمحتل وحليفة له في حربه على الإسلام والمسلمين.

٢ - تأكيــد أن المقاومة الجهادية هي من أبناء هذا البلد الخيرين المدافعين عن بلدهم والذين رفضوا وقاوموا مشروع المحتل وتصدوا له؛ وأنهم الممثلون الحقيقيون لإرادة العراقيين الرافضين للاحتلال ومشاريعه، وأن المقاومة المسلحة لا تدين بالــولاء إلا لله ثم لبلدها، وأن أعمالهم المســلحة تهدف إلى تحرير العراق من الاحتلال ومرتزقته، وبناء دولة العراق التي يختار شكلها أهل العراق دون تدخل خارجي.

٣ - تأكيــد أن المجاميع الجهادية تــزداد قوة في العدة والعدد، وأنها قوات منظمة أربكت المحتل وعطلت مشــاريعه في العراق من خلال مقاومتها المســلحة له؛ وخير دليل على ذلك هو الخســائر اليومية التي يُمنى بهــا المحتل وأعوانه، والضربات الموجعة التي توجهها المقاومة للمحتل والتي تزداد يومــاً بعد يوم، مما أحرج المحتــل وأعوانه وجعلهم يتخبطون في اتخاذ القرارات وأحرجهم أمام شــعوبهم، لكونهم خسروا الحرب في العراق بعد أن وعدوا شعوبهم بالنصر الناجز.

٤ - تأكيــد أن المجاهدين يتبرؤون من كل عمل يتنافى مع الجهاد، وأن المحتلــين وأعوانهم هم (الصليبيون والمتصهينون والصفويون والعمــلاء والخونة) الذين التقت مصالحهم على حرب العراق وإبادة شعبه.

٥ - تأكيد أن الخطط الأمنية والعمليات العســكرية التي تقوم بها الحكومة - وبإســناد من قوات الاحتلال - تستهدف المناطق الســنية فقط، والهدف منها هــو اعتقــال أو قتل الرجال، والاعتداء على حرمات أهل السنة، والاعتداء عليهم بالسب والشتم وسب أصحاب رسول الله ﷺ من قِبَل القوات الحكومية، وتمهيد الطريق أمام الميليشــيات الطائفية لتهاجم هــذه المناطق وتقتل شــبابها وتهجِّر أهلهــا بعد أن صادرت القوات الحكومية الأسلحة وقتلت واعتقلت الرجال، والهدف من ذلك هــو تمكين الصفويين من احتــلال العراق بعد قتل وتهجير المسلمين لإقامة الدولة الصفوية الموالية للاحتلال.

٦ - تأكيد أن المحتل بعــد أن يئس من مواجهة المقاومة المســلحة، يسعى إلى إشــعال نار الحرب الأهلية على أسس طائفيــة، مســتعيناً بأعوانه مــن رموز الحكومــة الحالية والميليشــيات المسلحة التي سعى إلى إطلاق يدها في العراق، وخيــر دليل على ذلــك: أن أعمال القتــل الطائفي تفاقمت بعد تفجير مرقدي ســامراء وجاءت انتقاماً من أهل الســنة والجماعــة، وتقوم بهــا أجهزة الدولة مــن مغاوير الداخلية وقوات الحرس الحكومي والميليشــيات الطائفية التابعة لتلك الحكومة، مثل: ميليشيات جيش المهدي، وميليشيات فيلق بدر، وغيرها.

٧ - تأكيد العلاقــة المتينة بين المقاومة الجهادية وأهالي المناطق التي تحدث فيها المقاومة المسلحة، وأن الناس يقومون بواجبهــم تجاه دينهم وبلدهــم، ويقدمون الدعــم للمقاومة الجهادية المنضبطة بالمال والسلاح والمعلومات.

٨ - تأكيــد أن المقاومــة الجهادية تحرص على أن تجعل عملياتهــا بعيدة عن المدنيين، وأن معظم العبوات التي تنفجر بين المدنيين هي من طرف المحتل أو من الحكومة، وهي تهدف إلى إيقاع الفتنة بين المقاومــة الجهادية وأهلهم من المدنيين، وأن المقاومة تحتكم إلى الشرع الإسلامي في كل عملها.

٩ - تأكيد أن المقاومة الجهادية المسلحة تهدف إلى تحرير العراق من الاحتلالين: الأمريكي المتصهين، والإيراني المتنفذ بالصفويين، وأنها لا ترتبــط بأية جهة أجنبية، وأن الحكومة الحالية هي حكومــة موالية لإيران؛ لكونهــا تتألف من كتل سياسية نشأت وترعرعت في إيران، ومن ثم فهي تنفِّذ رغبات إيران ومخططاتهم في القضاء على المســلمين ونشــر الفكر الصفوي بما يســمى بـ (تصدير الثورة الإسلامية الإيرانية)، وبناء الإمبراطورية الفارســية التي تمتد من بلاد فارس حتى العراق وسورية ولبنان وشمال السعودية.

بعد تحديد المنطلقات الدعائية التي يستند إليها المخطط الدعائي للاحتلال وأعوانــه وكيفية الرد على تلك المنطلقات وتفنيدها؛ لا بد للمخطط الإعلامي الذي يشرف على إعلام المقاومة الجهادية من اختيار الوســيلة الاتصالية المناســبة لإيصال تلك الرسائل إلى الجمهور.

نســأل الله - تعالى - أن نكون قــد وُفقنا في عرض هذا الأمر، وأن نتنبّه جميعاً لخطورته وللمســؤولية التي يجب أن يتحملها الإعلاميون؛ أداءً لرســالتهم وخدمةً لقضايا أمتهم، والله الموفق.



تراث ابن تيمية..

القبول والشغب



د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف(*)
www.alabdlltif.net

تتابع البلاء على ابن تيمية وعلى تلاميذه ومؤلفاته؛ فكان إظهار مؤلفاته آنذاك يوجب العقوبة والسجن، كما كشف عن ذلك تلميذه ابن عبد الهادي قائلاً: (لَمَّا حُبس - ابن تيمية - تفرَّق أتباعه، وتفرَّقت كتبه، وخوَّفوا أصحابه من أن يُظْهروا كتبه، وذهب كل أحد بما عنده وأخفاه، ولم يُظْهروا كتبه، فبقي هذا يهرب بما عنده، وهذا يبيعه أو يهبه، وهذا يخفيه ويودعه، حتى إن منهم من تُسرق كتبه فلا يستطيع أن يطلبها، ولا يقدر على تخليصها)(1).

ولم يقف العناء والأذى على مجرد إظهار مصنفات ابن تيمية، بل امتدَّ الخوف إلى مجرد تدوين أسماء مصنفاته، حيث جاء في رسالة وجَّهها عبد الله بن حامد - أحد علماء الشافعية - إلى ابن رُشَيِّق في رثاء ابن تيمية، إذ يقول ابن حامد: (والله ما كتبتها إلا وأدمعي تتساقط عند ذكره أسفاً على فراقه، وعدم ملاقاته... لكن لما سبق الوعد الكريم منكم بإنفاذ فهرست مصنفات الشيخ، وتأخّر ذلك عني، وأعتقد أن الإضراب عن ذلك نوع تقية، أو لغدر لا يسعني السؤال عنه؛ فسكتُّ عن الطلب، خشية أن يلحق أحداً ضررٌ - والعياذ بالله - بسببي..)(2).

وتكالب أهل البدع والأهواء على عداوته والحط منه؛ سواء كانوا من الروافض أو المتصوفة أو المتكلمين ونحوهم، بل بلغ بهم النَّزَق والحمق إلى تكفيره وتضليله؛ فالحصني - مثلاً - يجاهر بتكفير ابن تيمية، وأسوأ من ذلك العلاء البخاري الذي يكفِّر من سمَّى ابن تيمية شيخَ الإسلام!

ولحق - في ذيل تلك القافلة المتعثرة - شرذمة من المتساقطين المنتكسين في هذا الزمان؛ إذ تتابع نعيقهم وشغبهم، فأحدهم يهذي قائلاً: إن ابن تيمية مرَّ بأزمة روحية. ثم اختلق «الممسوخ» كذبة صلعاء وافترى على ابن تيمية قائلاً: (إن جميع الكفار سيغادرون النار إلى جنة الخلود!)(3).

وأما الآخر فكان مراوغاً فترةً يتهم ابن تيمية بالتشدد؛

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(1) العقود الدرية، ص ٤٨.

(2) العقود الدرية، ص ٣٤٤؛ باختصار.

(3) موقع إيلاف، ٢٢/٧/٢٠٠٧م.

لأن عبـارة: (يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل) تكررت في عدة مواطن من مؤلفاته! وتارةً ينتقل هذا المتلوِّن إلى نقيض ذلك فيكتب عن التعددية عند ابن تيمية[1].

وثالثٌ من أُغَيْلِمَة الصحافة يطعن في موقف ابن تيمية من الفلسفة، ويتهافت في الدفاع عن الفلسفة ويتدثر في لمزه وهمزه بالعُجْمة والغموض... (فابن تيمية يُغيِّب الأيديولوجي في ثنايا النظر الابستمولوجي!)[2].

وفي غمـرة هذه الأحوال الحالكة، والشـغب المتلاحق؛ تتحقق الفراسة الإيمانية التي سطَّرها الشيخ أحمد بن مُرِّي - بعـد وفاة ابـن تيمية -: (والله - إن شـاء الله - ليقيمنَّ الله - سبحانه - لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه؛ رجالاً هم الآن في أصلاب آبائهم)[3].

(وقـد برَّت يمين ابن مُرِّي - بحمـد الله ومنّته - فقام الشـيخ عبد الرحمن بن قاسم (ت ١٣٩٢هـ) بمساعدة ابنه محمد (ت ١٤٢١هـ) بعد نحو ستة قرون؛ بهذه المهمة الجليلة في (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية). وهذا المجموع غُـرَّة في جبين الدهر، زينة لأهل الإسـلام، لسـان صدق للعلماء، عمدة للباحثين، نفع الله به أقواماً بعد آخرين، وقد انتشر في العالمين انتشـار العافية، وكتب الله له من القبول والانتشار ما يعزّ نظيره في جهود المتأخرين، فالحمد لله رب العالمين)[4].

وحَفَل هذا العصر بإصدار موسوعات ومطولات ورسائل متعددة لابن تيمية، مثل: الفتاوى الكبرى، وجامع الرسـائل (ت: محمد رشاد سالم)، والدرء، ومنهاج السُّنّة النبوية (ت: محمد رشاد سالم)، والمجموعة العلية (ت: هشام الصيني)، وجامع المسـائل (ت: عزيز شمس، وعلي العمران)، وغيرها كثير جداً. ولا يزال أهل الإسـلام والسنة (يَرِدون من بحره العذب النمير، يرتعون من فضله في روضة وغدير)[5].

وقد حظيت هذه المؤلفات بالانتشار والاحتفاء والقبول ما لم يتحقق لغيرها، ولا يزال هذا الإبريز[6] يزداد تألقاً ولمعاناً مع مـرور الأيام، وأضحى هذا التراث مـورداً للباحثين في شتى العلوم الشرعية والتاريخية والتربوية... بل إن جملة من المفكريـن البارزين أظهروا انبهارهم بابن تيمية وتراثه، مثل: محمـد عمارة في كتابه (رفع المـلام)، وأبو يعرب المرزوقي وغيرهما.

لقد أجلب الجناة بخيلهم ورَجِلهم، وتكالبوا على مؤلفات ابن تيمية بشـتى أنواع الكيد والمكر؛ فكذبـوا عليه وزوَّروا، وخوَّفوا وحذَّروا، بل كفَّروا وحرَّقوا مؤلفاته! لكن خاب سعيهم، وتعثَّر شـأنهم، فلا تزال هذه المؤلفات ملء السمع والبصر، قد حفظها الله تعـالى، وبـارك فيهـا؛ إذ هـي مما يُبتغى به وجه الله؛ إذ ما كان لله فهو ينفع ويـدوم[7]. وقـال ابـن عبد الهادي - في شأن هذا الحفظ الرباني -: (ولقد رأيت مـن خَرْق العادة في حفظ كتبه وجمعها وإصلاح ما فَسَـد منهـا، وردّ ما ذهب منها ما لو ذكرته لكان عجباً، يعلم به كل مصنف أن لله عناية به وبكلامه؛ لأنه يذبّ عن سُنة نبيه ﷺ تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين)[8].

وما أجمل ما قاله بهاء الدين السـبكي: (والله يا فلان! ما يبغض ابن تيميـة إلا جاهل أو صاحب هوى؛ فالجـاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصدّه هواه عن الحق بعد معرفته به)[9].

ومع نفاسـة هذا التراث وما يحويه من التحقيق البديع، والعمق والرسوخ، والسعة والشمول، وحسن الترتيب، وجزالة الأسـلوب؛ إلا أن بعض متسـنّنة هذا العصر قد زهدوا في هذا التراث، وفتروا عن تحصيل العلوم الشـرعية، وشُغفوا بما استجد من معارف حادثة بما يسمى (البرمجة العصبية) و (تطوير الذات) و (تفجير الطاقات)...!

إن عموم جيل الصحوة الإسـلامية يحتـاج إلى تقريب وتيسير لهذا التراث، إضافة إلى أن العبارات المتشابهة التي يشـغِّب بها أهل الأهواء فإنها تُرَدّ إلـى عباراته وتقريراته المُحْكَمة البيّنة، كما يُحتفى بإبراز ما تحويه هذه المصنفات من تقعيد متين، وتأصيل فريد للعلوم الشرعية، وما تتضمنه من فقه للمقاصد وتحقيق لسـدِّ الذرائع، ومعالجة للنوازل والمسـتجدات، ودراية بأحـوال النفوس وأدوائهـا. وبالله التوفيق.

(١) جريدة الوطن، ١٣/٧/٢٠٠٢م.
(٢) جريدة المحايد، ٢٩/١/٢٠٠٢م.
(٣) الجامع لسيرة ابن تيمية، ص ١٠٢.
(٤) المداخل لآثار ابن تيمية، لبكر ابو زيد، ص ٢.
(٥) الدرر الكامنة لابن حجر، (١/١٦٧).
(٦) الإبريز: الذهب الخالص

(٧) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٣٢٩).
(٨) العقود الدرية، ص ٤٨.
(٩) الردّ الوافر، لابن ناصر الدين، ص ٩٩.

كن شريكنا في الدعوة



أهداف المكتب..

- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.
- طباعة الكتب والمطويات والبطاقات الدعوية.
- كفالة الدعاة.
- إقامة الدروس والمحاضرات.
- نسخ الأشرطة وتوزيعها.
- إقامة المسابقات بجميع اللغات.

ساهم معنا تكن شريكنا في الدعوة..

34060801011127

من مشاريعنا..

مشروع طباعة الكتب والمطويات
34060801000312

مشروع المسلم الجديد..
34060801011135

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالفايزية ببريدة

كن شريكنا في الدعوة

هاتف: ٣٨٣٨٨١١
فاكس: ٣٨٥٨٨١١
ص.ب: ١٠٤٦٦
بريدة: ٥١٤٣٣
القسم النسائي
٣٨٢١١١٨

ولا أسهل!


الآن.. منتجات دواجن الوطنية أصبحت أكثر تنوعاً وأكثر سهولة لتناسب كافة الأذواق، لتكون اختيار الأم الحقيقي
AL-WATANIA POULTRY
دواجن الوطنية
غذاؤكم ترعاه أيد أمينة
SGS
ISO 9001:2000 REGISTERED COMPANY
www.al-watania.com • الرقم المجاني ٨٠٠١٢٤٤٦٦٦ • إنتاج المملكة العربية السعودية

هاتف وفاكس: ٠٧٣٢٨٠٩٥٨ جوال : ٠٥٥٧٧٦٤٥١٥/٠٥٠٦٤٤٧٢٢٣

حساب المكتب في مصرف الراجحي:

الدعوة (٢٢١٦٠٨٠١٠١٣٦٧٣٠) الزكاة (٢٢١٦٠٨٠١٠١٣٦٧٢٢)

m-alhusayni@hotmail.com